الموازنة

بين

علاقة المرأة بالرجل الأجنبي في شريعة الإسلام وحضارة الغرب

تأليف
مصطفى أبو الغيط عبد الحي

المجلد الأول

دار الفلاح

الموازنة

بين

علاقة المرأة بالرجل الأجنبي

في شريعة الإسلام وحضارة الغرب

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

٢١٩/١
٤ م م

الموازنة

بين

علاقة المرأة بالرجل الأجنبي في شريعة الإسلام وحضارة الغرب

(١)

تأليف
مصطفى أبو الغيط عبد الحي

دار الفلاح
للبحث العلمي وتحقيق التراث
١٨ شارع أحمس - حي الجامعة - الفيوم
ت ٠١٠٠٠٥٩٢٠٠

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

جميع الحقوق محفوظة لدار الفلاح
ولا يجوز نشر هذا الكتاب بأي صيغة
أو تصويره PDF إلا بإذن خطي من
صاحب الدار الأستاذ/ خالد الرباط

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٩ / ٢١٠٥٠

دار الفلاح
للبحث العلمي وتحقيق التراث
١٨ شارع أحمس - حي الجامعة - الفيوم
ت ٠١٠٠٠٥٩٢٠٠
Kh_rbat@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين. وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وحده شريك له، إلٰه الأوّلين والآخرين. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إمام المتقين، وخاتم النبيين، وخيرته من خلقه أجمعين، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلٰه وصحبه الطيّبين الطاهرين، وعلىٰ إخوانه من النبيين والمرسلين، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسائر عباد الله الصالحين، من أهل السموات والأرضين، وسلَّم تسليمًا.

وبعد.

لا ريب أن الإسلام أنصف المرأة وكرمها وحررها من قيود إما في ديانات محرفة أو قوانين من وضع البشر تختلف باختلاف أهوائهم فالمرأة في الإسلام تجد حريتها . . تجد سعادتها . . تجد جميع حقوقها التي تبحث عنها، فالتحرير الحقيقي للمرأة في إسلامها لله رب العالمين وفي الألتزام بمنهج الإسلام.

وأما ما يردده ببغاوات الشرق من الهتافات والدعايات وما تحمله نساء المؤتمرات من الشعارات والنعرات لتحرير المرأة فهي شعارات يعلم أصحابها جيدًا زيفها.

ومن العجب أنهم يصرون علىٰ رقي المرأة الغربية واستقرار حالها وحسن منهج حياتها وينادون بأن تكون الأُوْلىٰ بالاتباع والتقليد من أمهات المؤمنين -رضوان الله تعالىٰ عليهنَّ- متعامين عن حقائق دامغة يقرُّ بها الغربيون أنفسهم، ويفكرون لها في مخارج ترحمهم من هَمٍ ثقيل، وعبء يَؤُدٍ.

فالدول التي رفعت لواء «تحرير المرأة» فقد جنت علىٰ نفسها بهٰذا التحرر المزعوم من الدعارة والمجون والانحلال والإباحية ما يهدد كيانها وما تلاه من تفكك الأسر وفشو الأمراض الفتاكة... و.. و..إلخ.

ولقد حفظ الإسلام المرأة من الوقوع في الهاوية فحدد علاقتها بالرجل الأجنبي عنها ووضع الضوابط والقيود فهي علاقة لا إفراط فيها ولا تفريط وعاشت المرأة في كنف الإسلام تجد سعادتها وحريتها.

فهي دائمًا تعيش في عطف الأبوين أو في حماية الزوج أو في حنو الأولاد، وأما المرأة في المجتمع الغربي فكانت إلىٰ عهد ليس ببعيد تعيش داخل بيتها بين أسرتها، محتشمة، محجبة حين تخرج من بيتها إلىٰ أن حل العصر الحديث وحدثت كارثة ما يسمىٰ بتحرر المرأة ومعنىٰ التحرر أن تعيش الحياة بلا قيم ولا ضوابط ولا هدىٰ.

وخرجت المرأة لتختلط بالرجال، ولتظهر بأبهىٰ زينة، وأجذبها للجنس الآخر وتجاوز ذلك التبرج الحدود كلها واحدًا بعد واحد، ليصل إلىٰ العري المشين والسقوط في الهاوية.

بل ليصل بهم الأمر، كما يعتقد الأمريكيون إلىٰ أن بقاء البنت عذراء قد يسبب لها الإصابة بمرض السرطان فيتخلصون من ذلك بسرعة.

وهكذا تحررت المرأة الغربية من كل معنىٰ للفضيلة أو العفة أو الحياء، وغدت سلعة معروضة في الشوارع والطرقات والمصانع لمن يدفع الثمن، بل قد تدفع هي الثمن.

ولم يعد الرجل بحاجة لأن يتزوج أو ينشئ أسرة، ويتحمل تكاليفها ومسئوليتها، فالدافع الجنسي الذي يقهره علىٰ تحمل ذلك يمكن إشباعه بأسهل الطرق وأيسرها، فلم كل هٰذا العناء!؟

وضاعت المرأة، وأضاعت الرجل، وفسدت الأرض وهلك الحرث والنسل.

وبذلك تحطمت في المجتمع الغربي كل القيم الدينية والخلقية نتيجة هٰذا التحرر.

وخسرت المرأة الغربية فيما ظنته مكسبًا كل شيء، خسرت معنىٰ الحياة ومعنىٰ أن تعيش في الحياة.

فلا تجد رعاية وَالِدَين، أو حماية زوج، أو حنو أولاد، أو عطف مجتمع عليها.

هٰذا إجمال وفي الكتاب بيان وتفصيل.

وأسأل الله ﷻ أن يتقبل مني إنه هو السميع العليم وصلّىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

مصطفى أبو الغيط عبد الحي عجيب

مصر- القاهرة- شبرا

الباب الأول

علاقة المرأة بالرجل الأجنبي عنها

في شريعة الإسلام

الفصل الأول
علاقة المرأة بالرجل الأجنبي عنها
من حيث النظر

نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي عنها

ولا يخلو نظر المرأة إلىٰ الرجل الأجنبي عنها من حالات ثلاثة:

الحالة الأولىٰ:

أن تنظر المرأة إلىٰ الرجل الأجنبي عنها إذا كان ثمة حاجة أو ضرورة تقتضي ذلك كنظرها إليه عند مداواته ومعالجته، وكنظرها إليه إذا عزمت علىٰ الزواج منه إلىٰ غير ذلك من الضرورات أو الحاجات التي تقتضي ذلك، وهٰذه الحالة اتفق فيها الفقهاء علىٰ أنه يحل للمرأة أن تنظر إلىٰ الرجل الأجنبي عنها.

الحالة الثانية:

أن يكون نظرها إليه بشهوة أو عند خوف ثورانها، وهٰذه الحالة لا خلاف فيها بين الفقهاء علىٰ أنه يحرم عليها أن تنظر إليه في هٰذه الحالة.

الحالة الثالثة:

أن يكون نظرها إليه بغير شهوة وعند أمن الفتنة وكان نظرها هٰذا لغير حاجة أو ضرورة تقتضي ذلك.

وفي هٰذه الحالة يجوز للمرأة حينئذٍ أن تنظر إلىٰ الرجل الأجنبي عنها ما ليس بعورة منه.

دلَّ علىٰ ذلك ما يلي:

عن عائشة قالت: لقد رأيتُ رَسُولَ الله ﷺ يومًا علىٰ باب حُجْرَتي والحبشةُ يلعبون في المسجد ورسول الله ﷺ يَسْتُرُني بردائه أنظرُ إلىٰ لَعِبِهِمْ(١).

وجه الدلالة:

---

(١) أخرجه البخاري (١/٦٥٣ - ٦٥٤ رقم ٤٥٤)، (٢/ ٥٥٠ رقم ٩٨٧، ٩٨٨)، (٦/ ٦٣٩ رقم ٣٥٢٩)، (٩/ ١٦٤ رقم ٥١٩٠)، (٩/ ٢٤٨ رقم ٥٢٣٦)، ومسلم (٢/ ٦٠٨ - ٦٠٩ رقم ٨٩٢) [١٧، ١٨].

بين هٰذا الحديث أن عائشة رضي الله عنها نظرتْ إلىٰ بني أرفدة وهم يلعبون في المسجد بحرابهم وتروسهم، ورأت من أبدانهم ما ينكشف منها أثناء لعبهم، فلو كان النظر إلىٰ مالا يعد عورة من الرجل محرمًا لما سألت رسول الله ﷺ أن تنظر إليهم أو لأنكر عليها ذلك، فدلَّ هٰذا علىٰ أن للمرأة أن تنظر من الرجل الأجنبي عنها ما ليس بعورة منه.

٢ - عن أبي بكر بن أبي الجهم قال: سمعت فاطمة بنت قيس تقول: أرسل إليَّ زوجي أبو عمرو بن حفص بن المغيرة عياش ابن أبي ربيعة بِطَلَاقِي، وأرسلَ معه بخمسة آصُعِ تَمْرٍ وخمسة آصُعِ شعير، فقلت: أما لي نفقةٌ إلا هٰذا؟ ولا أعتدُّ في منزلكم؟ قال: لا، قالت: فشددْتُ عليَّ ثيابي وأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقال: «كم طلَّقك؟» قلتُ ثلاثاً، قال: **«صدق ليس لكِ نفقة، اْعتدِّي في بيت ابن عمِّك ابن أمِّ مكتومٍ؛ فإنَّه ضريرُ البصرِ، تُلقِي ثوبك عنده فإذا انقضت عدَّتك فآذِنيني»**[١].

وجه الدلالة من الحديث:

أمر رسول الله ﷺ فاطمة بنت قيس أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم، ومقامها عنده يقتضي أن ترىٰ منه في دخوله وخروجه ما ليس بعورة منه، ولو كان نظر المرأة إلىٰ الرجل الأجنبي عنها محرمًا لما أمرها رسول الله ﷺ أن تعتد في بيته، فدل هٰذا علىٰ جواز نظر المرأة البالغة ما ليس بعورة من الرجل الأجنبي عنها.

٣ - عن عبد الرحمن بن عابس قال: سمعت ابن عباس قيل له: أشهدْتَ العيدَ مع النَّبِيِّ ﷺ؟ قال: نعم، ولولا مكاني من الصِّغر ما شهدتُهُ، حتَّىٰ أتىٰ العَلَمَ الذي عند دار كثير بن الصَّلْتِ، فصلَّىٰ، ثُمَّ خطب، ثُمَّ أتىٰ النِّساء، ومعه بلال، فوعظهُنَّ وذكَّرَهُنَّ وأمرَهنَّ بالصدقة، فرأيتُهُنَّ يَهْوِينَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢/١١١٩ - ١١٢٠ رقم ١٤٨٠) [٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠].

بأيديهنَّ، يَقْذِفْنَهُ في ثَوبِ بلال، ثُمَّ ٱنطلق هو وبلالٌ إلىٰ بيته[1].

وجه الدلالة من الحديث:

أفاد هٰذا الحديث أنه لم يكن ثمة حائل بين هٰؤلاء النساء وبين رسول الله صلىٰ الله علي وسلم وبلال، وهٰذا يدل علىٰ أنهن قد نظرن إلىٰ رسول الله ﷺ عندما وعظهن، وقول ابن عباس: فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفنه في ثوب بلال يقتضي أن يكون هٰؤلاء اللائي تصدقن بحليهن قد نظرن إلىٰ بلال حين وضعن صدقاتهن في ثوبه وإلا أخطأنه، ومن يجمع ثوبه علىٰ نحو يحفظ هٰذه الصدقات التي تلقىٰ فيه لابد وأن يكون قد بدا من بدنه غير الوجه والرقبة والكفين كقدميه وبعض ساقيه، كذلك فإن نظرهن إلىٰ ذلك منه بدون نكير عليهن أو بدا منه ذلك لهن ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ؛ فإنه يدل علىٰ أن للمرأة أن ترىٰ من الرجل الأجنبي عنها ما ليس بعورة منه.

٤ - إن النساء لو منعن من النظر إلىٰ الرجال الأجانب عنه لوجب علىٰ الرجال الحجاب كما وجب علىٰ النساء حتىٰ لا ينظرن إليهم ولٰكن الرجال عادة يمشون بإزار واحد ومثله لا يمنع من رؤية النساء لهم.

٥ - إن ما سوىٰ هٰذه العورة التي حددت قبلاً في حق النظر ليس بعورة من الرجل في الصلاة فلا يكون عورة منه في غير الصلاة.

٦ - إن العمل قد جرىٰ واستمر علىٰ خروج النساء إلىٰ المساجد والأسواق والأسفار منتقبات؛ لئلا يراهن الرجال، ولم يؤمر الرجال قط بالانتقاب حتىٰ لا تراهم النساء، فدل هٰذا علىٰ مغايرة الحكم بين الطائفتين.

٧ - إن الرجل والمرأة يستويان في إباحة النظر إلىٰ ما ليس بعورة منهما، فإذا كان الرجل لا يحل له أن ينظر من المرأة الأجنبية عنه ما يعد عورة

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٤٠٢ رقم ٨٦٣)، (٢/ ٥٣٨ رقم ٩٧٥)، (٢/ ٣٥٩ رقم ٩٧٧)، (٩/ ٢٥٥ رقم ٥٢٤٩)، (١٣/ ٣١٦ رقم ٧٣٢٥).

منها فكذلك لا يباح لها أن تنظر من الرجل الأجنبي عنها ما يعد عورة منه[1].

نظر الرجل إلى المرأة

ولا يخلو نظر الرجل إلىٰ المرأة من الصور الآتية:

الصورة الأولىٰ:

أن ينظر الرجل إلىٰ المرأة وكانت ثمة حاجة أو ضرورة تقتضي ذلك كنظره إليها؛ لمداوتها وعلاجها، أو للبيع والشراء، أو للشهادة، أو لخطبتها، وفي هٰذه الصورة يجوز النظر. وكل ذلك فصلته في كتابي: «فقه النظر».

الصورة الثانية:

أن يكون نظر الرجل إلىٰ المرأة مصحوبًا بشهوة، وفي هٰذه الصورة يحرم النظر سواء كانت المرأة كبيرة أو شابة أو صغيرة.

وقد دلَّ علىٰ ذلك ما يلي:

١ - قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾.

٢ - عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**إياكم والجلوس علىٰ الطرقات**». فقالوا: ما لنا بُدٌّ، إنما هي مَجَالِسُنا نتحدَّثُ فيها. قال: «**فإذا أبَيْتُم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقَّها**». قالوا: وما حقُّ الطريق؟ قال: «**غضُّ**

---

(١) قلت: وأما ما يروىٰ عن أم سلمة أنها قالت: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال النبي ﷺ: «**أحتجبا منه**»، فقلنا: يا رسول الله، أليس أعمىٰ لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال النبي ﷺ: «**أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه**».

فهٰذا الحديث في سنده نبهان وهو مجهول كما قال ابن حزم ونقله عنه الذهبي في «ذيل الضعفاء» وأقره. وقال ابن عبد البر: حديث فاطمة بنت قيس يدل علىٰ جواز نظر المرأة إلىٰ الأعمىٰ وهو أصح من هٰذا. يعني من حديث أم سلمة، وكذا حديث عائشة أنها كانت تنظر إلىٰ الحبشة، وهم يلعبون فىٰ المسجد بحرابهم والمسألة فيها أقوال أخرىٰ وقد ذكرتها في كتابي: «فقه النظر» ص ٢٠٨ - ٢٢٩.

البصر، وكفُّ الأذىٰ، وردُّ السَّلام، وأَمْرٌ بالمعروف، ونَهيٌ عَنِ المنكر»[(١)].

٣- عن جرير بن عبد الله قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن نَظَرِ الفُجَاءَةِ[(٢)] فأمرني أن أصرفَ بصري[(٣)].

٤ - عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: **«إن الله كتب علىٰ ابن آدم حظَّهُ من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تَمَنَّىٰ وتَشْتَهِي، والفَرْجُ يُصَدِّقُ ذلك**[(٤)] **كُلَّهُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٣٤ رقم ٢٤٦٥)، (١١/ ١٠ رقم ٦٢٢٩) ومسلم (٣/ ١٦٧٥ - ١٦٧٦ رقم ٢١٢١) [١١٤]، (٤/ ١٧٠٤ رقم ٢١٢١) [٣].

(٢) قال النووي - رحمه الله -: الفجاءة بضم الفاء وفتح الجيم وبالمد ويقال: بفتح الفاء وإسكان الجيم والقصر لغتان: هي البغتة.
ومعنىٰ نظر الفجاءة، أن يقع بصره علىٰ الأجنبية من غير قصد، فلا إثم عليه في أول ذلك، ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال، فإذا صرف في الحال، فلا إثم عليه، وإن ٱستدام النظر أثم لهٰذا الحديث، فإنه ﷺ أمره بأن يصرف بصره مع قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾.

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٩٩ - ١٧٠٠ رقم ٢١٥٩) (٤٥).

(٤) قال النووي: معنىٰ الحديث أن ابن آدم قدر عليه نصيب من الزنا، فمنهم من يكون زناه حقيقيًا بإدخال الفرج في الفرج الحرام، ومنهم من يكون زناه مجازًا بالنظر الحرام، أو الٱستماع إلىٰ الزنا وما يتعلق بتحصيله، أو بالمس باليد بأن يمس أجنبية بيده أو يقبلها، أو بالمشي بالرجل إلىٰ الزنا أو النظر أو اللمس، أو الحديث الحرام مع أجنبية و نحو ذلك أو بالفكر بالقلب، فكل هٰذه أنواع الزنا المجازي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه": معناه أنه قد يحقق الزنا بالفرج وقد لا يحققه بألَّا يولج الفرج في الفرج وإن قارب ذلك، والله أعلم.
قال ابن القيم - رحمه الله- في «روضة المحبين»: فبدأ بزنا العين؛ لأنه أصل زنا اليد والرجل والقلب والفرج، ونبه بزنا اللسان بالكلام علىٰ زنا الفم بالقبل، وجعل الفرج مصدقا لذلك إن حقق الفعل أو مكذبًا له إن لم يحققه، وهٰذا الحديث من أبين الأشياء علىٰ أن العين تعصي بالنظر وأن ذلك زناها .أ هـ.

ويُكذِّبُه[1]».

الصورة الثالثة:

أن يكون نظره إليها بغير شهوة وعند أمن الفتنة، ولم يكن هناك حاجة أو ضرورة تقتضي ذلك، وهٰذه الصورة لا تخلو من ثلاث حالات:

الحالة الأولىٰ: أن يكون المرأة المنظور إليها عجوزًا لا تشتهىٰ لكبرها، وهٰذه يجوز النظر إليها ما دام بغير شهوة.

دلَّ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾.

والمراد بالقواعد: النساء العجز اللواتي قعدن عن التصرف؛ لكبر السن، أو قعدن عن الولد والمحيض، وعلىٰ هٰذا فإن العجوز الكبير التي ذهبت شهوتها، وقلت رغبتها في الرجال، ولم يبق لها أمل في الزواج، أو المرأة الآيسة من المحيض يجوز لها أن تلقي خمارها، وذلك لأن الأنفس قد ٱنصرفت عن مثل هٰؤلاء، فلا مذهب للرجال فيهن، فأبيح لهن ما لم يبح لغيرهن، وأزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن، ومع هٰذا لا يسمح بتجاوز الحد الشرعي في خلع الثياب مطلقًا، بل أحل لهن ذلك شريطة عدم التبرج، وإظهار الزينة المغرية.

قال ابن العربي[2]:

القواعد من النساء هن اللواتي قعدن عن الحيض والولد، فليس فيهن رغبة لكل أحد، ولا يتعلق بهن القلب في النكاح، ويجوز النظر إليهن ٱ هـ.

وأيضًا:

إن ما حرم من أجله نظر الرجل إلىٰ المرأة الأجنبية عنه وهو خوف

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٨ رقم ٦٢٤٣)، (١٠/ ٥١١ رقم ٦٦١٢) ومسلم (٤/ ٢٠٤٦ رقم ٢٦٥٧) [٢٠].

(٢) أحكام القرآن (٣/ ١٤٠٠).

الاَستشهاء معدوم من جهة هٰذه المرأة فأشبهت ذوات المحارم.

الحالة الثانية:

أن تكون المرأة المنظور إليها صغيرة ولم تبلغ حدًا تشتهىٰ فيه، وفي هٰذه الحالة يجوز نظر الرجل إليها، وذلك لأنه إذا كانت علة حرمة النظر إلىٰ المرأة هي خوف الفتنة فإن هٰذه العلة منتفية في النظر إلىٰ الصغيرة، وذلك لأنه لا تخشىٰ الفتنة عند النظر إليها إذا كانت لا تشتهىٰ.

وأيضًا قد جرىٰ عُرْف الناس علىٰ النظر إليها في جميع الأعصار والأمصار من غير نكير، ومن ثم قيل: إن حكاية الخلاف في جواز النظر إليها يكاد أن يكون خرقًا للإجماع.

الحالة الثالثة:

أن تكون المرأة المنظور إليها شابة، وهٰذه الحالة اَختلف العلماء فيها علىٰ أقوال

فمن قال: إن وجه المرأة ويديها ليسا بعورة قال بجواز النظر إليهما بدون شهوة، ومن قال بأنهما عورة ألزم المرأة بوجوب النقاب، وحرم علىٰ الغير أن ينظر إليها ولو بدون شهوة.

الفصل الثاني

علاقة المرأة بالرجل الأجنبي عنها من حيث المس والمصافحة

العلاقة بين الرجل والمرأة من حيث المس والمصافحة

وهٰذا المبحث لا يخلو من صور ثلاث:

الصورة الأولىٰ: أن يكون مس الرجل المرأة الأجنبية عنه ومسها له؛ لضرورة أو حاجة. وهٰذه الصورة لا خلاف بين الفقهاء علىٰ حل مس الرجل المواضع التي تدعو الضرورة أو الحاجة إلىٰ مسها من المرأة الأجنبية عنه عند فحصها أو مداواتها، أو توليدها أو علاجها أو تمريضها، ولو كان الموضع الذي يحتاج إلىٰ مسه منها هو الفرج.

وقد دلَّ علىٰ الجواز في هٰذه الصورة ما يلي:

أولاً: دليل الكتاب:

١ - قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

وجه الدلالة:

دلت الآية علىٰ أن الحرج مدفوع في الشريعة الإسلامية؛ وعليه يجوز لمس الرجل للمرأة الأجنبية لمداواتها، وكذلك العكس؛ لرفع الحرج.

٢ - وقال ﷻ ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾

وجه الدلالة:

أفادت الآية الكريمة أن الحرمات الشرعية يسقط ٱعتبارها لمكان الضرورة، وعليه تسقط حرمة لمس الرجل للمرأة الأجنبية عند مداواتها وذلك للضرورة.

ثانيًا: دليل السنة:

١- عن جابر رضي الله عنه: أن أم سلمة ٱستأذنتْ رسولَ اللهِ ﷺ في الحجامة، فأمر النَّبِيُّ ﷺ أبا طَيْبَةَ أَنْ يَحْجُمَهَا[1]

وجه الدلالة:

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٣٠ رقم ٢٢٠٦) [٧٢].

أمر رسول الله ﷺ أبا طيبة أن يحجم أم سلمة، وعملُ الحاجمِ يقتضي منه أن يمس الموضع الذي يحجمه، فدلَّ هٰذا علىٰ حل مس الرجل ما تدعو الحاجة إلىٰ مسه من بدن المرأة الأجنبية عنه عند المداواة أو العلاج وما شابههما.

٢ - عن الربيع بنت معوذ قالت: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَسْقِي، ونُداوِي الجَرْحَىٰ، ونَرُدُّ القَتْلَىٰ المدينة[١].

٣ - عن أنس بن مالك. قال: كان رسولُ الله ﷺ يغزو بأمِّ سُلَيْم ونِسْوَةٍ مِنَ الأنصارِ معهُ إِذَا غَزَا فَيَسْقِينَ الماءَ ويُدَاوِينَ الجَرْحَىٰ[٢].

٤- عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بالنساء وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحىٰ ويحذين من الغنيمة[٣].

وجه الدلالة:

بينت هٰذه الأحاديث أن رسول الله ﷺ كان يتخذ معه إذا غزا بعض النساء؛ لمداواة الجرحىٰ وتمريضهن، ولا شك أن قيامهن بمداواة وتمريض الجرحىٰ يقتضي مس أبدانهم عند القيام بذلك، فدل هٰذا علىٰ حل مس بدن الرجل الأجنبي عنها عند مداواته أو علاجه أو تمريضه أو ما شابهها من أعمال تقتضيها الضرورة أو الحاجة.

قال ابن بطال[٤]:

قال المهلب: فيه مباشرة المرأة غير ذي محرم منها في المداواة وما شاكلها.

٤ - عن أنس بن مالك قال: كنا مع النبي ﷺ مَقْفَلَه من عُسفان، ورسول الله ﷺ علىٰ راحلته، وقد أردف صفية بنت حُيَيٍّ فعثرت ناقته فصرعا جميعًا، فاقتحم أبو طلحة فقال: يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: «عليك

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٩٤ رقم ٢٨٨٢، ٢٨٨٣)، (١٠/ ١٤٢ رقم ٥٦٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٤٣ رقم ١٨١٠) [١٣٥].

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٤٤ رقم ١٨١٢) [١٣٧، ١٣٨].

(٤) شرح البخاري (٥/ ٧٩).

المرأة» فقلب ثوبًا علىٰ وجهه وأتاها فألقاه عليها، وأصلح لهما مركبهما فركبا واكتنفنا رسول الله ﷺ فلما أشرفنا علىٰ المدينة قال: «**آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون**» فلم يزل يقول ذلك حتىٰ دخل المدينة(١).

قال الحافظ(٢):

وفي الحديث: أنه لا بأس للرجل أن يتدارك المرأة الأجنبية إذا سقطت أو كادت تسقط، فيعينها علىٰ التخلص مما يخشىٰ عليها.

قال ابن بطال:(٣)

وفيه أنه لا بأس أن يتدارك الرجل امرأة غيره إذا سقطت أو همَّت بالسقوط ويعينها علىٰ التخلص مما يخشىٰ حدوثه عليها وإن كانت ممن لا يجوز له رؤيتها، لأن المؤمنين إخوة وقد أمرهم الله بالتعاون. اهـ.

٥- عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه فكنت أعلف فرسه، وأستقي الماء، وأخرز غربه، وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوىٰ من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ علىٰ رأسي وهي مني علىٰ ثلثي فرسخ، فجئت يومًا والنوىٰ علىٰ رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال: «إخ إخ» ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغيرَ الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضىٰ فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلىٰ رأسي النوىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٢٢، ٢٢٣ رقم ٣٠٨٥، ٣٠٨٦)، (١٠/ ٤١٢ رقم ٥٩٦٨)، (١٠/ ٥٨٤ رقم ٦١٨٥) ومسلم (٢/ ٩٨٠ رقم ١٣٤٥) [٤٢٩].

(٢) «فتح الباري»: (١٠/ ٣٩٩).

(٣) «شرح البخاري» (٩/ ١٨٧).

ومعه نفرٌ من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك. فقال: والله لحملك النوىٰ كان أشد علي من ركوبك معه. قالت: حتىٰ أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني[1].

قال النووي[2] رحمه الله: فيه - أي في الحديث- جواز إرداف المرأة التي ليست محرما إذا وُجدت في طريق قد أعيت لا سيما مع جماعة رجال صالحين، ولا شك في جواز مثل هٰذا أهـ.

ثالثًا: دليل المعقول:

١ - إن قواعد الشريعة الإسلامية نصت علىٰ أن المشقة تجلب التيسير، وأن الضرر يزال، والمشقة مترتبة علىٰ الحكم بالمنع، فجاز التيسير بالرخصة، والضرر موجود في المرض فجازت إزالته بالمداواة مع اشتمالها علىٰ محظور الكشف والنظر واللمس.

٢ - إن موضع المرض أو الألم لا يلتذ بالنظر إليه أو لمسه، بل قد يقشعر منه البدن، فلا يخشىٰ ثوران الشهوة أو خوف الفتنة عند المس، فجاز للطبيب أن ينظر إليه، وأن يمسه من المرأة عند مداواته أو معالجته لها.

الصورة الثانية:

أن يكون مسُّ الرجل للمرأة الأجنبية أو العكس بشهوة.

وفي هٰذه الصورة يحرم المس سواء كانت المرأة صغيرة أو شابة أو عجوزًا، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ .﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾.

فإذا حرم النظر بشهوة، فلا شك أن اللمس بشهوة أولىٰ في التحريم من النظر بشهوة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٩٠ رقم ٣١٥١)، (٩/ ٢٣٠ رقم ٥٢٢٤) ومسلم (٤/ ١٧١٦- ١٧١٧ رقم ٢١٨٢) [٣٤].

(٢) «شرح مسلم» (١٤/ ١٦٥).

- عن ابن مسعود: أن رجلًا أتىٰ النبيَّ ﷺ فذكر أنَّه أصاب من ٱمرأة قبلة أو مسًا بيد أو شيئًا كأنه يسأل عن كفارتها قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾[1] [هو: ١١٤].

- عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم ممَّا قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: **«إنَّ الله كَتَب علىٰ ابن آدم حَظَّه من الزِّنا أدرَك ذلك لا مَحَالة فزنا العين النَّظَر وزنا اللِّسان المنطق، والنفس تمنىٰ وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كلَّهُ أو يكذبه»**[2]. وزاد مسلم: **«واليد زناها البطش»**

الصورة الثالثة:

ألا تدعو حاجة أو ضرورة إلىٰ مسِّ الرجل للمرأة والعكس ولا يصحب هٰذا المس أو المصافحة شهوة وهٰذه الصورة لا تخلو من حالات ثلاث:

الحالة الأولىٰ:

أن تكون المرأة صغيرة ولا تبلغ حد الأشتهاء وفي هٰذه الحالة يجوز مسها وتقبيلها، وذلك لأن علة حرمة المس إلىٰ المرأة وهي خوف الفتنة منتفية هنا وذلك لأنه لا يخشىٰ الفتنة عند لمسها إذا كانت لا تشتهىٰ، وأيضًا قد جرىٰ عرف الناس علىٰ لمس الصغيرة وتقبيلها في جميع الأعصار والأمصار من غير نكير.

الحالة الثانية:

أن تكون المرأة عجوزًا وفي هٰذه الحالة يرىٰ الحنفية[3] والحنابلة[4]

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٢ رقم ٥٢٦)، (٨/ ٢٠٦ رقم ٤٦٨٧) ومسلم (٤/ ٢١١٥-٢١١٦ رقم ٢٧٦٣) [٣٩، ٤٠، ٤١].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) «بدائع الصنائع» (٦/ ٢٩٥٩)، و«البحر الرائق» (٨/ ٢١٩، ٢٢١).

(٤) «الفروع» (٥/ ١٥٨)، و«كشاف القناع» (٥/ ١٦).

جواز مصافحتها محتجين بأنَّ حرمة مس بدن المرأة الأجنبية من أجل خوف الفتنة، فإذا كانت المرأة عجوزًا لا تشتهىٰ، فلا بأس بمصافحتها وكذلك الحال بالنسبة للرجل، وذلك لانعدام خوف الفتنة، وكذا إذا كانا شيخين كبيرين لانعدام الشهوة فيهما.

وذهب المالكية[١] والشافعية[٢] إلىٰ أنه لا يجوز للرجل مس بدن المرأة العجوز الأجنبية عنه أو مصافحتها ولا يجوز لها ذلك منه.

الحالة الثالثة:

أن تكون المرأة الأجنبية شابة، وفي هٰذه الحالة ٱختلف الفقهاء في جواز مصافحتها لغير ضرورة أو حاجة مع ٱنتفاء الشهوة علىٰ مذاهب

فيرىٰ أكثر الفقهاء[٣]: حرمة مصافحة الرجل المرأة الأجنبية الشابة حتىٰ لو ٱنتفت الشهوة وأمنت الفتنة.

وروي عن أبي حنيفة[٤]: أنه يجوز للرجل إن كان كبيرًا يأمن علىٰ نفسه أن تثور شهوته عند مس الشابة الأجنبية عنه أن يمسها حينئذٍ ويصافحها.

ويرىٰ الشافعية[٥]: أنه يحل للرجل مصافحة المرأة الأجنبية عنه بشرط وجود حائل، وأمن الفتنة عند المصافحة.

---

(١) «شرح منح الجليل» (١/ ١٣٣)/ و«حاشية العدوي» (٢/ ٤٣٧).

(٢) «روضة الطالبين» (٧/ ٢٧)، و«مغني المحتاج» (٣/ ١٢٩).

(٣) «بدائع الصنائع» (٦/ ٢٦٥٩)، و«حاشية العدوي» (٢/ ٤٣٧)، و«مغني المحتاج» (٣/ ١٢٨)، و«كشاف القناع» (٥/ ١٦).

(٤) «حاشية سعدي جلبي علىٰ العناية» (٨/ ٩٩).

(٥) «نهاية المحتاج» (٦/ ١٩١).

الفصل الثالث

علاقة المرأة بالرجل الأجنبي عنها

من حيث الخلوة

حكم خلوة الرجل بالمرأة

والمقصود بالخلوة هنا: هي ٱجتماع رجل وامرأة أجنبية عنه في موضع يأمنان فيه من ٱطلاع الغير عليهما.

ويحرم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه دلَّ علىٰ ذلك ما يلىٰ:

١- عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول علىٰ النساء** فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو(١)؟ قال: **الحمو الموت**(٢)».

٢- عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم**». فقال رجل: يا رسول الله، إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج؟ فقال: «**ٱخرج معها**»(٣)

---

(١) الحمو: أخ الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه. قاله الليث بن سعد كما أخرجه عنه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧١١).
قال النووي رحمه الله: في «شرح مسلم» (٤/ ١٥٤) ط دار الريان.
قوله ﷺ: «الحمو الموت» فمعناه أن الخوف منه أكثر من غيره، والشر يتوقع منه والفتنة أكثر؛ لتمكنه من الوصول إلىٰ المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه بخلاف الأجنبي. والمراد بالحمو هنا: أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه، فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت، وإنَّما المراد: الأخ وابن الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم، وعادة الناس المساهلة فيه، ويخلو بامرأة أخيه فهٰذا هو الموت، وهو أولىٰ بالمنع من الأجنبي؛ لما ذكرناه، فهٰذا الذي ذكرته هو صواب معنىٰ الحديث، والله أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٢٤٢ رقم ٥٢٣٢) ومسلم (٤/ ١٧١١ رقم ٢١٧٢) [٢٠].

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٨٦ رقم ١٨٦٢)، (٦/ ١٦٦ رقم ٣٠٠٦)، (٦/ ٢٠٦ رقم=

٣- عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحًا أو ذا محرم»**[(١)].

قال النووي:

في هٰذا الحديث والأحاديث بعده تحريم الخلوة بالأجنبية وإباحة الخلوة بمحارمها وهذان الأمران مجمع عليهما.

وقال أيضًا:

قال العلماء: إنما خصَّ الثيب؛ لكونها التي يدخل إليها غالبًا، وأما البكر فمصونة متصونة في العادة في مجانبة للرجال أشد مجانبة فلم يحتج إلىٰ ذكرها؛ ولأنه من باب التنبيه لأنه إذا نهي عن الثيب التي يتساهل الناس في الدخول عليها في العادة فالبكر أولىٰ.[(٢)] اهـ.

وفي حديث الإفك قال رسول الله ﷺ: **«والله ما علمت علىٰ أهلي إلا خيرًا ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا، وما يدخل علىٰ أهلي إلا معي»**[(٣)].

- فلا يحل لشخص بعد هٰذه النصوص أن يخلو بامرأة لا تحل له.
- فلا يحل لقريب الزوج كأخيه وابن عمه أن يأتي إلىٰ البيت في غياب الزوج ويخلو بالزوجة.

= ٣٠٦١)، (٩/ ٢٤٢ رقم ٥٢٣٣) ومسلم (٢/ ٩٧٨ رقم ١٣٤١) [٤٢٤].

قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ٦٦٢):

واستدل به علىٰ عدم جواز السفر للمرأة بلا محرم، وهو إجماع في غير الحج والعمرة، والخروج من دار الشرك، ومنهم من جعل ذلك من شرائط الحج. اهـ.

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧١٠ رقم ٢١٧١) [١٩].

(٢) «شرح مسلم» (١٤/ ١٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٤٩٦ رقم ٤١٤١)، ومسلم (٤/ ٢١٢٩ - ٢١٣٧) [٥٦ - ٥٧].

- ولا يحل لصديق الزوج أن يأتي إلىٰ المنزل في غياب الزوج ويخلو بالزوجة، ولا يحل له أن يخلو بها في حضور الزوج في البيت ويغلق علىٰ الأجنبي مع الزوجة بابٌ.

- ولا يحل لمدرس أن يخلو بفتاة يعلمها، ولا أن يغلق عليهما باب، فهٰذا باب عظيم من أبواب البلاء.

- وكذلك لا يحل لمحفظ قرآن أن يخلو بامرأة يعلمها القرآن.

- وكذلك لا يحل لمعالج يعالج بالقرآن أن يخلو بامرأة يعالجها.

- ولا يحل لطبيب أن يخلو بمريضة ولا بممرضة.

- ولا يحل لرجل أن يستأجر فتاة للعمل ويخلو بها.

- وكذلك لا يحل لمدير أن يخلو بسكرتيرة.

- ولا يحل كذلك لخاطب أن يخلو بمخطوبته، فهو لا يزال رجلًا أجنبيًا عنها.

- كذلك لا يحل لرجل أن يخلو بالخادمة التي تخدم في بيته، فليست هي من محارمه.

- ولا يحل لسائق أن يخلو بامرأة من يعمل عنده فهو رجل أجنبي كذلك.

حالات تستثنى من الخلوة المحرمة

وهناك حالات تستثنىٰ من الخلوة المحرمة وهي:

الحالة الأولىٰ: أن تقتضي الضرورة ذلك كأن يختبئ رجل عند ٱمرأة في بيتها خوفًا من عدو أو لص يريد قتله.

أو أن يجد ٱمرأة أجنبية منقطعة في الطريق أو نحو ذلك، فيباح له ٱستصحابها، بل يلزمه ذلك إذا خاف عليها لو تركها وهٰذا لا اختلاف فيه، وقد دلَّ علىٰ ذلك ما روي في حديث الإفك عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين أزواجه، فأيُّهُنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب، فكنت أُحْمَلُ في هودَجِي وأُنْزَل فيه فسِرْنا، حتىٰ إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتىٰ جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلىٰ رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جَزْع ظفارٍ قد ٱنقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ٱبتغاؤه. قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يُرَحِّلُونِي فاحتملوا هودجي فرحلوه علىٰ بعيري الذي كنتُ أركبُ عليه وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خِفافًا لم يَهْبُلن ولم يغشهُنَّ اللحم، إنما يأكلن العُلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفَّة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عقدي بعد ما ٱستمر الجيش. فجئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأىٰ سواد إنسان نائم، فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه

كلمة غير ٱسترجاعه، وهوىٰ حتىٰ أناخ راحلته فوطىء علىٰ يدها فقمت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتىٰ أتينا الجيش[١]... الحديث.

فدلَّ حديث عائشة -رضي الله عنها- علىٰ جواز خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه إذا ٱقتضت الضرورة، فقد أناخ صفوان ﷺ راحلته وحمل عليها عائشة -رضي الله عنها- لما وجدها منقطعة في موضع يخشىٰ عليها منه ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ ذلك.

الحالة الثانية: وقوف الرجل مع المرأة الأجنبية عنه في طريق مسلوك؛ ليقضي حاجتها، أو يفتيها، أو يشير عليها بما هو أصلح لا يعد ذلك من الخلوة المحرمة

دلَّ علىٰ ذلك ما روي عن أنس أن ٱمرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة فقال: **«يا أم فلان ٱنظري أي السكك شئت حتىٰ أقضي لك حاجتك»** فخلا معها في بعض الطرق حتىٰ فرغت من حاجتها[٢].

وقد بوبَّ البخاري -رحمه الله- في «صحيحه» علىٰ الحديث بقوله: باب ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس.

قال ابن بطال[٣]:

قال المهلب: فيه من الفقه أنه لا بأس للعالم والرجل المعلوم بالصلاح أن يخلو بالمرأة إلىٰ ناحية عن الناس وتسرّ إليه بمسائلها وتسأله عن بواطن أمرها في دينها، وغير ذلك من أمورها.

فإن قيل: ليس في الحديث أنه خلا بها عند الناس كما ترجم.

قيل: قول أنس: «فخلا بها» يدل أنه كان مع الناس فتنحىٰ بها ناحية،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٨٦، ٥٢٣٤، ٦٦٤٥)، ومسلم (٤/ ١٨١٢ - ١٨١٣ رقم ٢٣٢٦) [٧٦] و(٤/ ١٩٤٨ - ١٩٤٩ رقم ٢٥٠٩) [١٧٥].

(٣) «شرح البخاري» (٧/ ٣٦٠-٣٦١).

ولا أقل من أن يكون مع أنس راوي الحديث وناقل القصة، ولم يرد بقوله: «فخلا بها» أنه غاب عن أبصارهم، وإنما خلا بها حيث لا يسمع الذين بحضرته كلامها ولا شكواها إليه، ألا ترىٰ أنهم سمعوا قوله لها: «أنتم أحب الناس إلي» يريد الأنصار قوم المرأة!

قال الحافظ[١]: قوله: (باب ما يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة عند الناس) أي لا يخلو بها بحيث تحتجب أشخاصهما عنهم بل بحيث لا يسمعون كلامهما إذا كان مما يخافت به كالشيء الذي تستحي المرأة من ذكره بين الناس، وأخذ المصنف قوله في الترجمة (وعند الناس) من قوله في بعض طرق الحديث: فخلا بها في بعض الطرق أو في بعض السكك. وهي الطرق المسلوكة التي لا تنفك عن مرور الناس غالبًا.

قال النووي[٢]: قوله (خلا معها في بعض الطرق) أي وقف معها في طريق مسلوك؛ ليقضي حاجتها، ويفتيها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية؛ فإن هٰذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها، لٰكن لا يسمعون كلاهما، لأن مسألتها مما لا يظهره. والله أعلم.

وفي «الآداب الشرعية» لابن مفلح[٣]:

قلت لأبي عبد الله يعني الإمام أحمد والكحال يخلو بالمرأة وقد أنصرف من عنده النساء هل هٰذه الخلوة منهي عنها؟ قال: أليس هو علىٰ ظهر الطريق؟ قيل: نعم. قال: إنما الخلوة تكون في البيوت اهـ.

مسألة: إذا وجد شخص رجلًا مع امرأة في طريق سالك هل ينكر عليهما؟

قال ابن مفلح[٤]:

---

(١) «الفتح» (٩/ ٢٤٤)

(٢) «شرح مسلم» (٥/ ١٨٠)

(٣) «الآداب الشرعية» (٢/ ٦٤)

(٤) «الآداب الشرعية» (١/ ٨٥).

قال القاضي في «الأحكام السلطانية» فيما يتعلق بالمحتسب: وإذا رأىٰ وقوف رجل مع ٱمرأة في طريق سالك لم تظهر منهما أمارات الريب لم يتعرض عليهما بزجر ولا إنكار. وإن كان الوقوف في طريق خال فخلو بمكان ريبة فينكرها ولا يعجل في التأديب عليهما حذرا من أن تكون ذات محرم، وليقل إن كانت ذات محرم فصنها عن موقف الريب. وإن كانت أجنبية فاحذر من خلوة تؤديك إلىٰ معصية الله ﷻ، وليكن زجره بحسب الأمارات، وإذا رأىٰ المحتسب من هٰذه الأمارات ما ينكرها تأنىٰ وفحص وراعىٰ شواهد الحال ولم يعجل بالإنكار قبل الإستخبار.

وفي فتاوىٰ العز بن عبد السلام صـ ٢٩٣.

[مبحث في أنه لا يجب الإنكار علىٰ من حاذىٰ ٱمرأة إلا إذا كان متهمًا].

وإذا كان الرجل ممن لا يتهم لم يجب الإنكار عليه، وإن ظهرت الريبة والتهمة وجب الإنكار. اهـ.

الحالة الثالثة: أن يخلو رجلان أو أكثر معروفون بالصلاح والأخلاق الحميدة بامرأة أجنبية فلا يعد هٰذا من الخلوة المحرمة دلَّ علىٰ ذلك ما يلي:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن نفرًا من بني هاشم دخلوا علىٰ أسماء بنت عميس فدخل أبو بكر الصديق وهي تحته يومئذٍ فرآهم فكره ذلك فذكر ذلك لرسول الله ﷺ وقال: لم أر إلا خيرًا. فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد برَّأها من ذلك**» ثم قام رسول الله ﷺ علىٰ المنبر فقال: «**لا يَدخلنَّ رجلٌ بعدَ يومي هٰذا علىٰ مُغِيبة**[1] **إلا ومعه رجلٌ أو ٱثنان**»[2].

(١) المغيبة: المراد بها التي غاب عنها زوجها عن منزلها، سواء غاب عن البلد بأن سافر، أو غاب عن المنزل وإن كان في البلد.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٧١١ رقم ٢١٧٣) [٢٢].

قال النووي[١] رحمه الله:

ظاهر الحديث جواز خلوة الرجلين أو الثلاثة بالأجنبية، والمشهور عند أصحابنا تحريمه، فيتأول الحديث علىٰ جماعة يبعد وقوع المواطأة منهم علىٰ الفاحشة؛ لصلاحهم أو مروءتهم أو غير ذلك، وقد أشار القاضي إلىٰ نحو هٰذا التأويل.

عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: «**ما أخرجكما من بيوتكما هٰذه الساعة**»؟ قالا: الجوع يا رسول الله! قال: «**وأنا والذي نفسي بيده! لأخرجني الذي أخرجكما قوموا**»، فقاموا معه فأتىٰ رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا وأهلاً[٢]! فقال لها رسول الله ﷺ: «**أين فلان؟**» قالت: ذهب يستعذب[٣] لنا من الماء. إذ جاء الأنصاري فنظر إلىٰ رسول الله ﷺ وصاحبيه. ثم قال: الحمدُ لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني. قال فانطلق فجاءهم بعِذْقٍ[٤] فيه بُسْرٌ وتمرٌ ورُطَبٌ فقال: كلوا من هٰذه وأخذ المُدْيَة[٥] فقال له رسول الله ﷺ: «**إيَّاك والحلوبَ**»[٦]! فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**والذي نفسي بيده! لتسألن عن هٰذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوعُ ثم لم ترجعوا حتىٰ أصابكم هٰذا النعيم**»[٧].

(١) «شرح مسلم» (١٤/ ١٥٣).

(٢) قوله: «مرحبا وأهلا» كلمتان معروفتان للعرب. ومعناه: صادفت رحبًا وسعة وأهلًا تأنس بهم.

(٣) قوله: «يستعذب»: أي يطلب الماء العذب. النهاية (٣/ ١٩٥).

(٤) «بعذق» العَذْق بالفتح: النخلة، وبالكسر: العُرجُون بما فيه من الشَّماريخ، ويُجمع علىٰ عِذَاق. النهاية (٣/ ١٩٩).

(٥) «المدية»: أي السكين.

(٦) «الحلوب» ذات اللبن.

(٧) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٠٩ - ١٦١٠ رقم ٢٠٣٨) [١٤٠].

قال النووي[١] رحمه الله:

وفيه جواز إذن المرأة في دخول منزل زوجها لمن علمت علمًا محققًا أنه لا يكرهه بحيث لا يخلو بها الخلوة المحرمة.

الحالة الرابعة: خلوة الرجل بمجموعة النساء الثقات لا يعد أيضًا خلوة محرمة.

وذلك لأن الخلوة المحظورة هي خلوة رجل بامرأة واحدة. أما إذا تعدد الرجال أو تعدد النساء زال المحظور. وقد قال النووي[٢]: ... وإن أمَّ (الرجل) بأجنبية وخلا بها حرم ذلك عليه وعليها... وإن أمَّ بأجنبيات وخلا بهنَّ فطريقان، قطع الجمهور بالجواز... ودليله الحديث: «**لا يدخلن رجل بعد يومي هٰذا علىٰ مغيبة إلا ومعه رجل أو ٱثنان**» ولأنَّ النساء المجتمعات لا يتمكن في الغالب الرجل من مفسدة ببعضهن في حضرتهن.

قال الحافظ ابن حجر[٣]: ... فيه منع الخلوة بالأجنبية وهو إجماع. لكن ٱختلفوا هل يقوم غير المحرم مقامه في هٰذا كالنسوة الثقات؟ والصحيح الجواز لضعف التهمة به.

هل حرم الإسلام خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه لعدم الثقة فيها؟

وقد يظن البعض أن الإسلام حرم خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه والسفر وحدها لعدم الثقة في المرأة وليس الأمر كذلك.

يقول الأستاذ بهي الخولي[٤]:

وليس ذلك مؤسسًا علىٰ سوء الظن بخلق الرجل، أو خلق المرأة، إنما

---

(١) «شرح مسلم» (١٣/ ٢١٢-٢١٣) (٢) «المجموع» (٤/ ١٧٦).

(٣) «فتح الباري» (٤/ ٤٤٨).

(٤) «الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة» ص ١٥٥.

هو مؤسس علىٰ ما في طبيعة البشر من ٱحتمال لاستجابة عند إيحاء الخلوة بالانفراد، والبعد عن الرقباء، وامتناع من يدخل عليهما بغير إذن، ونحوه مما يجعل النفس تستشرف لتذوق الممنوع.. وفي تصوير تلك الحالة يقول رسول الله ﷺ: «**إياكم والخلوة بالنساء.. والذي نفسي بيده، ما خلا رجل بامرأة إلا ودخل الشيطان بينهما**» فإن لم تكن خلوة، أو كانت خلوة، ولٰكن مع ذي محرم، فليس ثمة من بأس أو حرمة.

ويقول الدكتور البلتاجي[(١)]:

أما منع المرأة من السفر مع غير زوج لها أو محرم، ومنع خلوة الرجال الأغراب بها فليس المقصود منه هو التضييق عليها وانعدام الثقة فيها كما يقول الطاعنون بغير حق إنما هو الحفاظ علىٰ كرامتها وحيائها وسمعتها من أن تنال منها مواقف غير كريمة أو يطمع فيها بعض الذين في قلوبهم مرض ومعلوم أن ظروف السفر مهما تيسرت وسائله - ظروف ٱستثنائية في مجموعها لا يملك الإنسانُ فيها كثيرًا من ٱختياراته وحرياته كما في الظروف المعتادة، ومن ثم جاءت رخص السفر في الفقه الإسلامي من قصر للصلاة وجمعها ومسح علىٰ الخفين وإفطار في رمضان..الخ رعاية لهٰذه الظروف الأستثنائية والشرف والكرامة والحياء أمور غاية في الأهمية في نظر الإسلام، بخاصة إذا ٱتصلت بالمرأة، فمن منطلق مزيد من الحرص عليها جاء النهي عن سفرها وحدها. ولإدراك الفقهاء علة هٰذا النهي فإن فريقًا منهم - رأىٰ أن الرفقة المأمونة التي تُؤمن ظروف سفر المرأة تقوم مقام مرافقة الزوج أو المحرم، فأي شيء في هٰذا ضد كرامة المرأة؟ إنما الأمر مزيد من الحفاظ عليها ورعاية أمورها والبعد بها عن مواطن يخشىٰ عليها من عواقبها. وفي تجارب الحياة عند المجربين تأكيدات لذلك.

---

(١) «مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة» ص٥٨٢.

كذلك فإن خلوة الرجل الأجنبي بالمرأة والأمن من أن يطرقها طارق قد يثير نزعات مفاجئة لم تكن مرصودة من قبل أو متوقعة. كما أنه قد يعرض المرأة لما لا تتوقع من هٰذه النزعات مما ينبغي أن تنأىٰ عنه المرأة المسلمة، حفاظًا علىٰ كرامتها وحيائها وشرفها، وأيضًا فإن حفاظها علىٰ سمعتها بين الناس يقتضي عدم تعريضها لهٰذه الخلوات.

وهٰذا بخلاف ٱجتماع الرجل والنساء في المساجد والأسواق والمحافل والندوات بدون خلوة ومع كافة شروط الاَحتشام والأدب الإسلامي الواجب، فليس في هٰذه الاَجتماعات العامة محاذير الخلوة.

يقول الأستاذ/ محمد رشيد العويد[(١)]:

أمر النبي ﷺ الرجل الذي اكتتب للجهاد في سبيل الله أن يترك الجهاد ليذهب حاجًا مع امرأته.

ومع هٰذا أختي المسلمة فما زال بعض المسلمات -إن لم يكن كثير منهن- يسافرن في هٰذه الأيام، دون محارم، مخالفات بهٰذا أمر رسول الله ﷺ.

كما تكثر مخالفة النهي الذي جاء في الحديث النبوي نفسه: **«لا يخلون رجل بامرأة»**. ولا أريد هنا أن أشرح لك ماذا يعني هٰذا النهي النبيوي الكريم عن الخلوة بالرجل، وعن السفر بدون محرم، فهو نهي واضح لا يحتاج منها إلا إلىٰ الامتثال له، والعمل به.

لكن ما أريد أن أبينه لك هنا هو ذلك الأعجاز الاجتماعي العظيم لهذا النهي النبوي الكريم، ذاك الإعجاز الذي ظهرت حقيقته، وتجلت ملامحه، في الغرب الذي لم يرَ بأسًا في سفر المرأة وحدها، وخلوتها بالرجل، وخروجها من بيتها عامة.

الذكتور «تيوثي بيربر» درس لقاء الرجل بالمرأة، وقال: إن المرأة ترسل

---

(١) «رسالة إلىٰ مؤمنة» ص١١٩-١٢٢ .

إشارات سرية إلىٰ الرجل، تقنعه عن طريقها بأنه مرغوب فيه. وهذا يحدث في أي مكان يلتقي فيه الرجل بالمرأة.

ومعرفة هٰذه الإشارات، وما تعنيه، أساسي في تحديد لحظة الاقتراب، إذا كان الرجل يبحث عن النجاح مع المرأة.

وقد درست الدكتورة «مونيكا مور» حالة النساء، واكتشفت (٥٢) إشارة سرية يمكن أن ترسلها المرأةلتبدي رغبة في التعرف علىٰ رجل ما.

وذكرت الدكتورة مونيكا -وهي أستاذة في علم النفس- أن هناك سبع إشارات أساسية، هي الأكثر استعمالًا بين النساء؛ وهي: الابتسام للرجل، النظر جوانب الغرفة، الرقص المنفرد، الضحك، النظرات القصيرة كالسهم، تمليس شعرها، والانحناء باتجاه الرجل. وهٰذه الإشارات -كما يقول د. بيربر- أكثر أهمية من أي حديث مباشر.

ويضيف الدكتور بيربر: كل أشكال التقرب تمر بمراحل، وأول خطوة في ذلك هي فتح باب الاقتراب، وهٰذا يعني أن واحدًا من الطرفين عليه أن يتحرك باتجاه الآخر.

ويقول: إن الشائع هو أن الرجال هم الذين يبدؤون الخطوة الأولىٰ، ولكن الحقيقة تقول غير ذلك؛ لأن النساء هن اللواني يبدأن، وبعد أن يقدمن إشارات الترحيب، يتوقعن من الرجل أن يخطو.

ويشير إلىٰ أنه علىٰ الرغم من أن كثيرًا من الإشارات قد تبدو غير واقعية، إلا أنها تدل علىٰ الرغبة الحقيقية لدىٰ المرأة، التي تكون مستعدة لتكرارها ومضاعفتها، حتىٰ الرجل في الحالة التي تريدها.

وهكٰذا أختي المسلمة يكشف علماء النفس المعاصرون، حكمة هٰذا النهي النبوي العظيم عن خلوة الرجل بالمرأة، ويؤكدون بتعبيراتهم أن النظرات بين الرجل والمرأة، سهام من سهام إبليس، كما أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ.

ويشرحون لنا، أنه حتىٰ لو لم يتم تبادل الحديث بين الرجل والمرأة، فإن الشيطان الرجيم، يلجأ إلىٰ أساليب أخرىٰ عن طريق الحركات المختلفة الصادرة عن المرأة.

وهٰذا يظهر لنا أيضًا حكمة الحجاب الإسلامي الذي يحفظ المرأة التي قد تضطر إلىٰ الخروج من بيتها لتعلم أو غيره من الحاجات الضرورية.

كما أنه يبين لنا حكمة النهي القرآني العظيم ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[(١)]، فالقرآن الكريم لم ينه عن الزنا وحده، وإنما نهىٰ عن الاقتراب منه أيضًا، وهٰذا الاختلاط، ولقاء الرجل بالمرأة، وما يحدث فيه مما تحدَّث عنه علماء النفس، هو من هٰذا الاقتراب المنهي عنه.

ولعلك أختي، لاحظت أن علماء النفس أنفسهم، استخدموا كلمة «الاقتراب» ذاتها في تحليلاتهم لما يحدث في أثناء لقاء الرجل بالمرأة، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[(٢)].

---

(١) الإسراء: ٣٢. (٢) فصلت: ٥٣.

الفصل الرابع

علاقة المرأة بالرجل الأجنبي عنها من حيث المشاركة الاجتماعية

علاقة المرأة بالرجل من حيث المشاركة الاجتماعية

إن كثيرًا من الذين يسمعون عن الآداب الإسلامية التي ألزم الله بها المرأة، من الحجاب، والحدَّ من الاختلاط، ومنع الخلوة، يخيل إليهم أن المرأة المسلمة في عهد النبوة كانت قعيدة البيت، وأن اللقاءات والمجالس العامة كانت وقفًا علىٰ الرجال وحدهم. ومن ثَمَّ فإن كان هٰذا الذي يُخيَّل إليه ذلك من المقتنعين بالدين والسعداء بالالتزام به، تجده يسعىٰ جاهدًا أن يصدَّ أهله وبناته عن أي احتكاك بالمجتمع، ويبالغ في إقصائهنّ عن الظهور في أي من اللقاءات العامة... أمّا إن كان من البعيدين عن الدين والاقتناع بمبادئه، فتجده مصرًّا علىٰ اتهام الإسلام بظلم المرأة وحرصه علىٰ أن تظل مدفونة في قبر مظلم من قيود الحريم. فيدفعه ذلك علىٰ أن يبالغ في تشريد أهله وبناته عن سائر الآداب والضوابط المنطقية والدينية.

غير أن الإسلام في واقعه المشروع، بعيد ومتسام عن كلا الخيالين الباطلين.

فلقد كانت المرأة في عصر النبوة، إلىٰ جانب تقيدها بآداب الإسلام وضوابطه المعروفة، تظهر مع الرجال في المجتمعات والمحافل والمناسبات، تؤدي الدور الذي يؤدونه، مادام أنه يدخل في نطاق الخدمات المشروعة والأعمال النافعة[1]. وهٰذا ما سيتضح لنا إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) «المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني» ص٨٥ .

تبادل التحية بين الرجال والنساء

إلقاء الرجل السلام علىٰ المرأة الأجنبية عنه:

ويجوز للرجل أن يلقي السلام علىٰ المرأة الأجنبية عنه لا سيما إذا كانت تلك المرأة جارته، وسواء في ذلك كون المرأة شابة أو عجوزًا ما دامت الفتنة مأمونة.

دلَّ علىٰ ذلك ما يلي:

١ - عن أبي حازم عن سهل قال: كنا نفرح يوم الجمعة. قلت لسهل: ولِمَ؟ قال: كانت لنا عجوز ترسل إلىٰ بُضاعة[(١)] فتأخذ من أصول السلق فتطرحه في قدر وتكركر حبات من شعير[(٢)]. فإذا صلينا الجمعة انصرفنا ونسلم عليها فتقدمه إلينا فنفرح من أجله. وما كنا نقيل[(٣)]، ولا نتغدىٰ إلا بعد الجمعة[(٤)].

ففيه أن سهل ﷺ عنه والصحابة كانوا يلقون السلام علىٰ المرأة عندما كانوا يدخلون عليها.

٢ - عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ إذا مرَّ بجنبات أم سليم دخل عليها فسلم عليها[(٥)].

وفيه أن النبي ﷺ عندما كان يدخل علىٰ أم سليم يُلقي عليها السلام.

٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتىٰ جبريل النبي ﷺ فقال: يا

---

(١) بضاعة: اسم موضع نخل بالمدينة والمراد بالنخل البستان.

(٢) وتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ من شعير: أي تطحن.

(٣) نقيل من القيلولة: وهو النوم في الظهيرة.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٤٩٤ رقم ٩٣٨)، (٥/ ٣٤ رقم ٢٣٤٩)، (٩/ ٤٥٥ رقم ٥٤٠٣)، (١١/ ٣٥ رقم ٦٢٤٨).

(٥) أخرجه النسائي في «فضائل الصحابة» (٢٨٠).

رسول الله هٰذه خديجة قد أَتَتْ معها إناءٌ فيه إدَام[١] أو طعام أو شراب فإذا هي أتتْكَ فاقرأ عليها السلام من ربِّها ومنِّي وبشِّرها ببيتٍ في الجنة من قَصَب[٢] لا صَخَبَ[٣] فيه ولا نَصَبَ[٤][٥].

٤ - عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يا عائش، هٰذا جبريل يقرئك السلام»**. قلت: وعليه السلام ورحمة الله. قالت: وهو يرىٰ ما لا نرىٰ[٦].

أورد البخاري هذين الحديثين تحت باب (تسليم الرجال علىٰ النساء والنساء علىٰ الرجال). وقال الحافظ ابن حجر[٧]: (قوله: باب: تسليم الرجال علىٰ النساء والنساء علىٰ الرجال) أشار البخاري بهٰذه الترجمة إلىٰ ردِّ ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن يحيىٰ بن أبي كثير: «بلغني أنه يكره أن يسلم الرجال علىٰ النساء والنساء علىٰ الرجال» وهو مقطوع أو معضل. والمراد بجوازه أن يكون عند أمن الفتنة. وذكر في الباب حديثين يؤخذ الجواز منهما، وورد فيه حديث ليس علىٰ شرطه وهو حديث أسماء بنت يزيد: مرَّ

(١) الإدام: أسم لكلِّ ما يُؤْتَدَم به و يُصْطبغ، وحقيقته ما يؤدم به الطعام أي: يُصْلح. «الفائق» (١/ ٢٦).

(٢) من قصب بفتح القاف والمهملة بعدها موحدة . قال ابن التين، المراد به لؤلؤة مجوفة واسعة كالقصر المنيف . قلت: عند الطبراني في «الأوسط» من طريق أخرىٰ عن ابن أبي أوفىٰ (يعني قصب اللؤلؤ) وعنده في ألكبرىٰ من حديث أبي هريرة (بيت من لؤلؤة مجوفة) وأصله في مسلم كذا في «الفتح» (٧/ ١٧١).

(٣) الصخب: الصياح والمنازعة برفع الصوت.

(٤) النصب: التعب .

(٥) أخرجه البخاري (٧/ ١٦٦ رقم ٣٨٢٠) ومسلم (٤/ ١٨٨٧ رقم ٢٤٣٢) [٧١].

(٦) أخرجه البخاري (١١/ ٤٠ رقم ٦٢٥٣) (٦/ ٣٥٢ رقم ٣٢١٧)، (٧/ ١٣٣ رقم ٣٧٦٨)، (١٠/ ٥٩٧ رقم ٦٢٠١)، ومسلم (٤/ ١٨٩٥ رقم ٢٤٤٧) [٩٠-٩١].

(٧) «الفتح» (١١/ ٣٣٥) باختصار.

علينا النبي ﷺ في نسوة فسلم علينا. حسنه الترمذي وليس علىٰ شرط البخاري، فاكتفىٰ بما هو علىٰ شرطه. وله شاهدٌ من حديث جابر عند أحمد.. وأخرج أبو نعيم في «عمل اليوم والليلة» من حديث واثلة مرفوعًا: «**يسلم الرجال علىٰ النساء ولا يسلم النساء علىٰ الرجال**» وسنده واه..

وثبت في مسلم حديث أم هانىء: (أتيت النبي ﷺ وهو يغتسل فسلمت عليه).. قوله: «**يا عائشة هٰذا جبريل يقرأ عليك السلام**»... حكىٰ ابن التين أن الداودي ٱعترض فقال: لا يقال للملائكة: رجال، ولٰكن الله ذكرهم بالتذكير. والجواب أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ علىٰ صورة الرجل كما تقدم في بدء الوحي. وقال ابن بطال عن المهلب: سلام الرجال علىٰ النساء والنساء علىٰ الرجال إذا أمنت الفتنة، وفرق المالكية بين الشابة والعجوز سدا للذريعة.. قال المهلب: وحجة مالك حديث سهل في الباب فإن الرجال الذين كانوا يزورونها وتطعمهم لم يكونوا من محارمها.... فلو ٱجتمع في المجلس رجال ونساء جاز السلام من الجانبين عند أمن الفتنة.

٤ - عن عائشة رضي الله عنها أنها حُدثت أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن[١] عليها فقالت: أهو قال هٰذا؟ قالوا: نعم. قالت: هو للهِ عليَّ نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً. فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة. فقالت: لا والله لا أُشفِّع فيه أبدًا ولا أتحنَّث[٢] إلىٰ نذري. فلما طال ذلك علىٰ ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وهما من بني زهرة وقال

---

(١) لأحجرن: الحجر المنع من التصرف. ومنه حَجَر القاضي علىٰ الصغير والسفيه إذا مَنَعهُما من التصرف في مالهما. «النهاية» (١/ ٤٣٢).

(٢) أتحنث يقال: حنث في يمينه يَحْنَثُ حِنْثًا إذا لم يَفِ بموجبها فهو حانث. «المصباح المنير» مادة حنث، والمعنىٰ أنني سأوفي بنذري ولا أكلم ابن الزبير.

لهما: أنشدكما بالله[١] لمَّا أدخلتُماني علىٰ عائشة فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي. فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتىٰ ٱستأذنا علىٰ عائشة فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل؟ قالت عائشة: ٱدخلوا. قالوا: كلنا؟ قالت: نعم ٱدخلوا كلكم ولا تعلم أن معهما ابن الزبير. فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه. ويقولان: إن النبي ﷺ نهىٰ عما قد علمت من الهجرة، فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال. فلما أكثروا علىٰ عائشة من التذكرة والتحريج[٢] طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إني نذرت والنذر شديد. فلم يزالا بها حتىٰ كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة. وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتىٰ تبل دموعها خمارها[٣].

وفيه أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود لما دخلا علىٰ أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ألقيا عليها السلام.

وهناك من العلماء من كره السلام علىٰ النساء، ومنهم من فرق بين الشابة والعجوز سدًّا للذريعة.

قال الدكتور القرضاوي[٤]: وهٰذه الاجتهادات كلها إنما دفع إليها زيادة التخوف والتحوط، ولم يلزم بها نص صحيح صريح. ولم يكن جُل أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم وتابيعهم بإحسان، يتخوفون كل هٰذا التخوف، ويحتاطون كل هٰذا الاحتياط.

---

(١) أنشدكما بالله لما بالتخفيف «وما» زائدة ويجوز التشديد حكاه عياض. يعني: إلَّا، أي لا أطلب إلا الإدخال عليها.

(٢) والتحريج: أي الوقوع في الحرج وهو الضيق لما ورد في القطيعة من النهي.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/٥٠٦ رقم ٦٠٧٣).

(٤) «فتاوىٰ معاصرة» (٢/ ٢٧٣).

ومن نظر إلىٰ ما نقل عنهم في المصادر التي عنيت بذلك، يجد أن جما غفيرا منهم كان لا يرىٰ بأسا بالسلام علىٰ النساء، وخصوصًا إذا دخل الرجل عليهن زائرًا، أو معالجًا أو معلمًا أو نحو ذلك، بخلاف المرأة التي تلقىٰ الرجل في الطريق العام، فهنا لا يحسن السلام عليها، ما لم يكن بينه وبينها صلة وثيقة من نسب، أو رحم، أو مصاهرة، أو نحو ذلك. اهـ.

قلت: والذي يظهر لي أن إلقاء الرجل السلام علىٰ المرأة جائز إذا أمنت الفتنة. والله أعلم.

إلقاء المرأة السلام على الرجل الأجنبي عنها:

ويجوز للمرأة أن تلقي السلام علىٰ الرجل الأجنبي عنها لا سيما إذا كان جارًا أو أستاذًا لها إذا أمنت الفتنة دلَّ علىٰ ذلك ما يلي:

١ - عن أم هانىء ابنة أبي طالب تقول: ذهبت إلىٰ رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره فسلمت عليه. فقال: من هٰذه؟ فقلت: أنا أم هانىء بنت أبي طالب فقال: مرحبا بأم هانىء. فلمَّا فرغ من غسله قام فصلىٰ ثمان ركعات ملتحفًا في ثوبٍ واحدٍ فقلت: يا رسول الله زعم ابن أمي عليٌّ أنه قاتل رجلا قد أجرتُهُ[1] فلان بن هبيرة. فقال رسول الله ﷺ: **قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء.** قالت أم هانىء: وذلك ضحىٰ[2].

٢ - عنْ يُحَنَّسَ مَوْلَىٰ الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ فِي الفِتْنَةِ فَأَتَتْهُ مَوْلَاةٌ لَهُ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: إِنِّي أَرَدْتُ الخُرُوجَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ اشْتَدَّ عَلَيْنَا الزَّمَانُ فَقَالَ لَهَا عَبْدُ الله: اقْعُدِي لَكَاعِ[3] فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«لَا يَصْبِرُ عَلَىٰ لَأْوَائِهَا[4] وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا[5] أَوْ شَفِيعًا[6] يَوْمَ القِيَامَةِ»**[7].

---

(١) أجرته: أي أمَّنته.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠، ٣٥٧، ٣١٧١، ٦١٥٨) ومسلم (١/ ٢٦٥ - ٢٦٦ رقم ٣٣٦) [٧٠، ٧١، ٧٢].

(٣) لكاع قال أهل اللغة: يقال: امرأة لكاع ورجل لكع . ويطلق ذلك علىٰ اللئيم وعلىٰ العبد وعلىٰ الغبيِّ الذي لا يهتدي لكلام غيره، وعلىٰ الصغير. وقد خاطبها بذلك؛ إنكارًا لما أرادته من الخروج وتثبيطًا لها.

(٤) لَأْوَائِهَا: ضيق العيش فيها .

(٥) شهيدًا: أي لمن مات بها في زماني .

(٦) شفيعًا: أي لمن مات بها بعدي.

(٧) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٠٤ رقم ١٣٧٧) [٤٨٢].

٣ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هٰذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَىٰ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ المَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ المَاءِ، إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ للهِ مَا أَحَدٌ اليَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هٰذِهِ وَأَخَذَ المُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ» فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ العِذْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هٰذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّىٰ أَصَابَكُمْ هٰذَا النَّعِيمُ»[1].

فزوجة الأنصاري عندما رأت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر قالت: مرحبًا وأهلاً ومعناها: صادفت رحبًا وسعة وأهلاً تأنسُ بهم، فدلَّت هٰذه الأحاديث علىٰ جواز إلقاء المرأة السلام علىٰ الرجل الأجنبي عنها وكذا الترحيب به عند أمن الفتنة.

وعظ كل من الرجل والمرأة للآخر

يجوز أن يعظ الرجل المرأة الأجنبية عنه بالمعروف وينهاها عن المنكر وكذلك المرأة.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾. (سورة التوبة: الآية ٧١) وكذلك كان المؤمنون والمؤمنات في العهد الأول فالرجال يأمرون النساء بالمعروف

---

(١) تقدم تخريجه.

وينهون عن المنكر حيثما دعت الحاجة لذلك.

الرجل يعظ المرأة

وإذا رأىٰ الرجل من المرأة أمرًا تخالف فيه الشرع، فله أن يعظها بالمعروف وبرفق ولين.

- فقد روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ لِامْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ: تَعْرِفِينَ فُلَانَةَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِهَا وَهِيَ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: «اتَّقِي الله وَاصْبِرِي» فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي[١] فَإِنَّكَ خِلْوٌ مِنْ مُصِيبَتِي[٢]. قَالَ: فَجَاوَزَهَا وَمَضَىٰ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ فَقَالَ: مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ الله ﷺ؟ قَالَتْ: مَا عَرَفْتُهُ. قَالَ: إِنَّهُ لَرَسُولُ الله ﷺ، قَالَ: فَجَاءَتْ إِلَىٰ بَابِهِ فَلَمْ تَجِدْ عَلَيْهِ بَوَّابًا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله والله مَا عَرَفْتُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ»[٣].

وفيه: أن النبي ﷺ لما رأىٰ المرأة تبكي علىٰ قبر ابنها، أمرها بالتقوىٰ والصبر. فدلَّ ذلك على أنه إذا رأىٰ الرجل من المرأة أمرًا تخالف فيه الشرع، فله أن يعظها بالمعروف.

قال الحافظ[٤]: وموضع الترجمة من الفقه جواز مخاطبة الرجال النساء في مثل ذلك بما هو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو موعظة أو تعزية، وأن ذلك لا يختص بعجوز دون شابة لما يترتب عليه من المصالح الدينية، والله أعلم.

- عَنْ أم سَلَمَةَ لَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: غَرِيبٌ وَفِي أَرْضِ غُرْبَةٍ[٥]

---

(١) إِلَيْكَ عَنِّي: أي تنح وأبعد.

(٢) خِلْوٌ مِنْ مُصِيبَتِي: في رواية لم تصب بمصيبتي، وعند مسلم ما تبالي بمصيبتي.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٤٩ رقم ١٢٥٢)، (٣/ ١٧٧ رقم ١٢٨٣)، (٣/ ٢٠٥ رقم ١٣٠٢)، (١٣/ ١٤٢ رقم ٧١٥٤) ومسلم (٢/ ٦٣٧ - ٦٣٨ رقم ٩٢٦ [١٤، ١٥].

(٤) «الفتح» (٣/ ١٥٠).

(٥) غَرِيبٌ وَفِي أَرْضِ غُرْبَةٍ: معناه أنه من أهل مكة، ومات بالمدينة.

لَأَبْكِيَنَّهُ بُكَاءً يُتَحَدَّثُ عَنْهُ فَكُنْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ لِلْبُكَاءِ عَلَيْهِ إِذْ أَقْبَلَتْ ٱمْرَأَةٌ مِنَ الصَّعِيدِ(١) تُرِيدُ أَنْ تُسْعِدَنِي(٢) فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: **«أَتُرِيدِينَ أَنْ تُدْخِلِي الشَّيْطَانَ بَيْتًا أَخْرَجَهُ اللهُ مِنْهُ»** مَرَّتَيْنِ فَكَفَفْتُ عَنِ الْبُكَاءِ فَلَمْ أَبْكِ(٣).

ففيه أن النبي ﷺ نهىٰ أم سلمة عن منكر وهو أنه كانت ستبكي وتنوح علىٰ موت زوجها أبي سلمة فنهاها ﷺ عن ذلك وقال لها: **«أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتًا أخرجه الله منه»** مرتين.

فدلَّ ذلك علىٰ جواز أن ينهىٰ الرجلُ المرأة عن منكر ستفعله.

- عَنْ ابن عَبَّاس رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَجَّتِهِ قَالَ لأم سِنَانٍ الأَنْصَارِيَّةِ: **«مَا مَنَعَكِ مِنَ الحَجِّ؟»** قَالَتْ: أَبُو فُلَانٍ -تَعْنِي: زَوْجَهَا- كَانَ لَهُ نَاضِحَانِ(٤) حَجَّ عَلَىٰ أَحَدِهِمَا وَالْآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا، قَالَ: **«فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً مَعِي»**(٥).

ففيه: أن النبي ﷺ حثَّ أم سنان -رضي الله عنها- علىٰ المعروف حيث سألها ﷺ عن سبب عدم ذهابها للحج؛ فأبدت له ﷺ عذرها في ذلك، وهو عدم وجود جمل تحج عليه فدلَّ علىٰ جواز أن يأمر الرجلُ المرأة بالمعروف ويحثها علىٰ الخير.

- عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حازِمٍ قَالَ: «دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ ٱمْرَأَةٍ مِنْ أَحْمَسَ يُقَالُ لَهَا: زَيْنَبُ، فَرَآهَا لَا تَكَلَّمُ فَقَالَ: مَا لَهَا لَا تَكَلَّمُ؟ قَالُوا: حَجَّتْ مُصْمِتَةً(٦)،

---

(١) مِنَ الصَّعِيدِ: المراد بالصعيد هنا: عوالي المدينة.

(٢) تُسْعِدَنِي: أي تساعدني في البكاء والنوح.

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٦٣٥ رقم ٩٢٢) [١٠].

(٤) الناضح: جمل يسقىٰ عليه الماء.

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ٧٠٥ رقم ١٧٨٢)، (٤/ ٨٦ رقم ١٨٦٣) ومسلم (٢/ ٩١٧ - ٩١٨ رقم ١٢٥٦) (٢٢١، ٢٢٢).

(٦) مُصْمِتَةً: أي نذرت أن تحج صامته.

قَالَ لَهَا: تكَلَّمِي فَإِنَّ هٰذا لَا يَحِلُّ، هٰذا مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ، فَتَكَلَّمَتْ فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: ٱمْرُؤٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ. قَالَتْ: أَيُّ المُهَاجِرِينَ؟ قَالَ: مِنْ قُرَيْشٍ. قَالَتْ: مِنْ أَيِّ قُرَيْشٍ أَنْتَ؟ قَالَ: إِنَّكِ لَسَئُولٌ[١]، أَنَا أَبُو بَكْرٍ قَالَتْ: مَا بَقَاؤُنَا عَلَىٰ هٰذا الأَمْرِ الصَّالِحِ الذِي جَاءَ الله بِهِ بَعْدَ الجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: بَقَاؤُكُمْ عَلَيْهِ مَا ٱسْتَقَامَتْ بِكُمْ أَئِمَّتُكُمْ. قَالَتْ: وَمَا الأَئِمَّةُ؟ قَالَ: أَمَا كَانَ لِقَوْمِكِ رُءُوسٌ وَأَشْرَافٌ يَأْمُرُونَهُمْ فَيُطِيعُونَهُمْ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ، قَالَ: فَهُمْ أولَئِكِ عَلَىٰ النَّاسِ»[٢].

وفيه: أن أبا بكر ﷺ لما رأىٰ المرأة لا تتكلم؛ لأنها نوت أن تحج مصمتة بيَّن لها أن هٰذا حرام، وأنه من عمل الجاهلية، فدلَّ ذلك علىٰ جواز أن ينهىٰ الرجلُ المرأة عن المنكر.

- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: خَرَجَتْ سَوْدَةُ بَعْدَ مَا ضُرِبَ عَلَيْهَا الحِجَابُ؛ لِتَقْضِيَ حَاجَتَهَا وَكَانَتْ ٱمْرَأَةً جَسِيمَةً[٣] تَفْرَعُ[٤] النِّسَاءَ جِسْمًا لَا تَخْفَىٰ عَلَىٰ مَنْ يَعْرِفُهَا[٥]. فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَقَالَ: يَا سَوْدَةُ والله مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ قَالَتْ: فَانْكَفَأَتْ رَاجِعَةً وَرَسُولُ الله ﷺ فِي بَيْتِي وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّىٰ وَفِي يَدِهِ عَرْقٌ[٦] فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي خَرَجْتُ فَقَالَ لِي عُمَرُ كَذَا وَكَذَا. قَالَتْ: فَأُوحِيَ إِلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ وَإِنَّ العَرْقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ

---

(١) إِنَّكِ لَسَئُولٌ: أي كثيرة السؤال .

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ١٨٢ رقم ٣٨٣٤).

(٣) جَسِيمَةٌ: أي عظيمة الجسم .

(٤) تفرع النساء: أي تطولهن فتكون أطول منهن. والفارع: المرتفع العالىٰ.

(٥) لَا تَخْفَىٰ عَلَىٰ مَنْ يَعْرِفُهَا: يعني لا يخفىٰ إذا كانت متلففة في ثيابها ومرطها في ظلمة الليل ونحوها علىٰ من سبقت له معرفة طولها؛ لانفرادها بذلك.

(٦) العرق: هو العظم الذي عليه بقية لحم .

فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أَذِنَ لكن أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ»(١).

- عَنْ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ:.. قَالَ (عُمَرُ): فَبَيْنَا أَنَا فِي أَمْرٍ أَتَأَمَّرُهُ(٢) إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتِي: لَوْ صَنَعْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: مَا لَكَ وَلِمَا هَاهُنَا؟ وَفِيمَ تَكَلُّفُكِ(٣) فِي أَمْرٍ أُرِيدُهُ! فَقَالَتْ لِي: عَجَبًا لَكَ يَا ابن الخَطَّابِ، مَا تُرِيدُ أَنْ تُرَاجَعَ أَنْتَ، وَإِنَّ ابنتَكَ لَتُرَاجِعُ رَسُولَ الله ﷺ حَتَّىٰ يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ. فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ مَكَانَهُ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ حَفْصَةَ فَقَالَ لَهَا: يَا بُنَيَّةُ، إِنَّكِ لَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ الله ﷺ حَتَّىٰ يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ؟ فَقَالَتْ حَفْصَةُ: والله إِنَّا لَنُرَاجِعُهُ. فَقُلْتُ: تَعْلَمِينَ أَنِّي أُحَذِّرُكِ عُقُوبَةَ الله وَغَضَبَ رَسُولِهِ ﷺ، يَا بُنَيَّةُ لَا يَغُرَّنَّكِ هٰذه التِي أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا حُبُّ رَسُولِ الله ﷺ إِيَّاهَا -يُرِيدُ عَائِشَةَ- قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّىٰ دَخَلْتُ عَلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ لِقَرَابَتِي مِنْهَا فَكَلَّمْتُهَا. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: عَجَبًا لَكَ يَا ابن الخَطَّابِ دَخَلْتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَبْتَغِيَ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وَأَزْوَاجِهِ؟! فَأَخَذَتْنِي والله أَخْذًا كَسَرَتْنِي(٤) عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُ أَجِدُ.. وفي رواية مسلم: قَالَ (عُمَرُ) فَدَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ الله ﷺ. فَقَالَتْ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا ابن الخَطَّابِ عَلَيْكَ بِعَيْبَتِكَ(٥)(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٩٩-٣٠٠ رقم ١٤٦-١٤٧) و(٧/ ٣٨٨ رقم ٤٧٩٥) (٩/ ٢٤٩ رقم ٥٢٣٧)، (١١/ ٢٤ رقم ٦٢٤٠)، ومسلم (٤/ ١٧٠٩ رقم ٢١٧٠) [١٧-١٨].

(٢) فِي أَمْرٍ أَتَأَمَّرُهُ: أي في أمر أشاور فيه نفسي وأفكر .

(٣) وَفِيمَ تَكَلُّفُكِ فِي أَمْرٍ أُرِيدُهُ: أي: فيما تعرضك لما لا يعنيك.

(٤)كَسَرَتْنِي عَنْ بَعْضِ مَا كُنت أَجِدُ: أي أخذتني أخذًا دفعتني عن مقصدي وكلامي.

(٥) عَيْبَتِكَ: تقصد عليك بوعظ ابنتِك حفصة . والعيبةُ في كلام العرب: وعاءٌ يجعل الإنسان فيه أفضل ثيابه ونفيس متاعه فشبهت ابنته به .

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٢٢٣ رقم ٨٩)، (٥/ ١٣٧ - ١٣٨ رقم ٢٤٦٨)، (٨/ ٥٢٥ - ٥٢٧ رقم ٤٩١٣، ٤٩١٤، ٤٩١٥)، (٩/ ١٨٧ - ١٨٩ رقم ٥١٩١)، (٩/ ٢٢٨ رقم ٥٢١٨)، (١٠/ ٣١٤ - ٣١٥ رقم ٥٨٤٣)، (١٣/ ٢٤٥ رقم ٧٢٥٦)، (١٣/ ٢٥٣=

- عَنْ يُحَنَّسَ مَوْلَىٰ الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فِي الفِتْنَةِ فَأَتَتْهُ مَوْلَاةٌ لَهُ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: إِنِّي أَرَدْتُ الخُرُوجَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ٱشْتَدَّ عَلَيْنَا الزَّمَانُ فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللهِ: ٱقْعُدِي لَكَاعِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَصْبِرُ عَلَىٰ لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ القِيَامَةِ[١].

ففيه: أن هٰذه الأمة أرادت أن تخرج في وقت الفتنة فنهاها عبد الله ابن عمر، وبيَّن لها أنَّ عدم الخروج في زمن الفتنة أعظم لها في الأجر.

- عَنْ زُرَارَةَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدِمَ المَدِينَةَ فَأَرَادَ أَنْ يَبِيعَ عَقَارًا لَهُ بِهَا فَيَجْعَلَهُ فِي السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ[٢] وَيُجَاهِدَ الرُّومَ حَتَّىٰ يَمُوتَ فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ لَقِيَ أَنَاسًا مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ فَنَهَوْهُ عَنْ ذَلِكَ وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ رَهْطًا[٣] سِتَّةً أَرَادُوا ذَلِكَ فِي حَيَاةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَنَهَاهُمْ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «أَلَيْسَ لَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ» فَلَمَّا حَدَّثُوهُ بِذَلِكَ رَاجَعَ ٱمْرَأَتَهُ وَقَدْ كَانَ طَلَّقَهَا وَأَشْهَدَ عَلَىٰ رَجْعَتِهَا. فَأَتَىٰ ابن عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: ابن عَبَّاسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا ثُمَّ ٱئْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا فَأَتَيْتُ عَلَىٰ حَكِيمِ بْنِ أَفْلَحَ فَاسْتَلْحَقْتُهُ إِلَيْهَا[٤] فَقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِبِهَا[٥] لِأَنِّي نَهَيْتُهَا أَنْ تَقُولَ فِي هَاتَيْنِ الشِّيعَتَيْنِ[٦] شَيْئًا فَأَبَتْ فِيهِمَا إِلَّا مُضِيًّا قَالَ: فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ

= رقم ٧٢٦٣)، ومسلم (٢/ ١١٠٥ - ١١١٣ رقم ١٤٧٩) [٣٠ - ٣٤].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الكُرَاعِ: أي النخيل.

(٣) الرهط: ما دون العشرة من الرجال.

(٤) فَاسْتَلْحَقْتُهُ إِلَيْهَا، أي: طلبت منه مرافقته إياي في الذهاب إليها.

(٥) مَا أَنَا بِقَارِبِهَا، أي: لا أقترب منها ولا ألقاها.

(٦) الشِّيعَتَيْنِ يريد: جماعة علي وجماعة طلحة والزبير.

فَانْطَلَقْنَا إِلَىٰ عَائِشَةَ فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهَا فَأَذِنَتْ لَنَا فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا فَقَالَتْ: أَحَكِيمٌ؟ (فَعَرَفَتْهُ) فَقَالَ: نَعَمْ فَقَالَتْ مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: سَعْدُ بن هِشَام قَالَتْ: مَنْ هِشَامٌ؟ قَالَ: ابن عَامِرٍ. فَتَرَحَّمَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ خَيْرًا (قَالَ قَتَادَةُ وَكَانَ أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ) فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ الله ﷺ. قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ الله ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ. قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ وَلَا أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَمُوتَ ثُمَّ بَدَا لِي[١] فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَتْ: فَإِنَّ الله ﷻ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هٰذه السُّورَةِ فَقَامَ نَبِيُّ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا[٢] وَأَمْسَكَ الله خَاتِمَتَهَا[٣] اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ حَتَّىٰ أَنْزَلَ الله فِي آخِرِ هٰذه السُّورَةِ التَّخْفِيفَ فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ. قَالَ: قُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ وِتْرِ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ فَيَبْعَثُهُ[٤] الله مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَتَسَوَّكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ لَا يَجْلِسُ فِيهَا إِلَّا فِي الثَّامِنَةِ فَيَذْكُرُ الله وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ثُمَّ يَنْهَضُ وَلَا يُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي التَّاسِعَةَ ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ الله وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ وَتِلْكَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً يَا بُنَيَّ. فَلَمَّا سَنَّ[٥] نَبِيُّ الله ﷺ وَأَخَذَ اللَّحْمُ[٦] أَوْتَرَ بِسَبْعٍ وَصَنَعَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ مِثْلَ صَنِيعِهِ الْأَوَّلِ فَتِلْكَ تِسْعٌ يَا بُنَيَّ. وَكَانَ نَبِيُّ الله ﷺ إِذَا صَلَّىٰ صَلَاةً أَحَبَّ أَنْ يُدَاوِمَ عَلَيْهَا وَكَانَ إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ أَوْ وَجَعٌ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ صَلَّىٰ مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ

---

(١) ثُمَّ بَدَا لِي، أي: ظهر لي أمر آخر.

(٢) حَوْلًا، أي: سنة.

(٣) وَأَمْسَكَ الله خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، أي: خاتمة سورة المزمل.

(٤) فَيَبْعَثُهُ، أي: يوقظه.

(٥) سَنَّ: أي كبر سنه.

(٦) وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ: أي كثر لحمه.

عَشْرَةَ رَكْعَةً. وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَرَأَ القُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ وَلَا صَلَّىٰ لَيْلَةً إِلَىٰ الصُّبْحِ وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ. قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَىٰ ابن عَبَّاسٍ فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِهَا فَقَالَ: صَدَقَتْ لَوْ كُنْتُ أَقْرَبُهَا أَوْ أَدْخُلُ عَلَيْهَا لَأَتَيْتُهَا حَتَّىٰ تُشَافِهَنِي بِهِ قَالَ قُلْتُ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تَدْخُلُ عَلَيْهَا مَا حَدَّثْتُكَ حَدِيثَهَا[١].

ففيه: أن حكيم بن أفلح نهىٰ عائشة زوج النبي ﷺ عن الخوض في جماعة عليّ وجماعة طلحة والزبير، فَدَلَّ علىٰ جواز أن ينهىٰ الرجلُ المرأة عن المنكر.

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥١٢ - ٥١٤ رقم ٧٤٦) [١٣٩].

المرأة تعظ الرجل

وكذلك تعظ المرأة الرجل إذا وجدت منه فعلًا منكرًا يخالف الشرع ويستدل لذلك بما روي في قصة أصحاب الغار:

الذين كانوا علىٰ سفر فأَخَذَهُمْ المَطَرُ فَأَوَوْا إِلَىٰ غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَىٰ فَم غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ٱنْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لله فَادْعُوا الله تَعَالَىٰ بِهَا لَعَلَّ الله يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ... «وَقَالَ الآخَرُ اللهمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابنةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّىٰ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعِبْتُ حَتَّىٰ جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ الله ٱتَّقِ الله وَلَا تَفْتَحْ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهُمْ»(١).

ففيه: أنَّ هٰذه المرأة وعظت ابن عمِّها لمَّا أراد أن يزني بها؛ لا احتياجها إلىٰ المال الذي ستأخذه منه بأن يتقي الله عن هٰذا، فدلَّ ذلك علىٰ جواز أن تنهىٰ المرأةُ الرجلَ عن المنكر.

- عن عَائِشَةَ قَالَتْ: «لَمَّا جَاءَ رَسُولَ الله ﷺ قَتْلُ ابن حَارِثَةَ وَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدِ الله بْنِ رَوَاحَةَ(٢) جَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ يُعْرَفُ فِيهِ الحُزْنُ. قَالَتْ: وَأَنَا أَنْظُرُ مِنْ صَائِرِ البَابِ -شَقِّ البَابِ- فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ نِسَاءَ جَعْفَرٍ، وَذَكَرَ بُكَاءَهُنَّ فَأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ فَيَنْهَاهُنَّ، فَذَهَبَ فَأَتَاهُ فَذَكَرَ أَنَّهُنَّ لَمْ يُطِعْنَهُ، فَأَمَرَهُ الثَّانِيَةَ أَنْ يَذْهَبَ فَيَنْهَاهُنَّ، فَذَهَبَ ثُمَّ أَتَاهُ. فَقَالَ: والله لَقَدْ غَلَبْنَنَا يَا رَسُولَ الله قَالَتْ: فَزَعَمَتْ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: ٱذْهَبْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٤٧٧ رقم ٢٢١٥)، (٥/ ٢٠ رقم ٢٣٣٣)، (٦/ ٥٨٤ رقم ٣٤٦٥)، (١٠/ ٤١٨ رقم ٥٩٧٤) ومسلم (٤/ ٢٠٩٩-٢١٠٠ رقم ٢٧٤٣) [١٠٠].

(٢) لَمَّا جَاءَ رَسُولَ الله ﷺ قَتْلُ إلخ أي: لما جاءهم خبر شهادتهم.

فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ مِنَ التُّرَابِ»(١) قَالَتْ: عَائِشَةُ. فَقُلْتُ: أَرْغَمَ الله أَنْفَكَ(٢) والله مَا تَفْعَلُ مَا أَمَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَا تَرَكْتَ رَسُولَ الله ﷺ مِنَ العَنَاءِ»(٣).

ففيه: أنَّ عائشة -رضي الله عنها- نهت هٰذا الرجل عن تصرفه لأنه يؤذىٰ بذلك النبي ﷺ، إذ إنه لم يستطع أن ينفذ ما أمره النبي ﷺ من أن ينهىٰ نساء جعفر عن البكاء، ولم يترك النبي ﷺ لما فيه من الحزن علىٰ موت جعفر.

- عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عَبْدَ المَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بَعَثَ إِلَىٰ أُمِّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَامَ عَبْدُ المَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ فَدَعَا خَادِمَهُ فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ فَلَعَنَهُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ. فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**(٤)...»

ففيه: أنَّ أمَّ الدرداء نهت عبد الملك بن مَرْوان من أن يلعن خادمه؛ لأنَّ اللعانون لا يكونون شفعاء يوم القيامة كما أخبر النبي ﷺ.

- عن عمرو بن سلمة عن أبيه... قال رسول الله ﷺ: «**... وليؤمكم أكثركم قرآنا**». فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني؛ لما كنت أتلقىٰ من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت علي بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني. فقالت امرأة من الحي: ألا تغطُّوا عنَّا است

---

(١) فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ مِنَ التُّرَابِ يقال: حثا يحثو، وحثىٰ يحثي لغتان. والمعنىٰ: ارم في أفواههن التراب، والأمر بذلك مبالغة في إنكار البكاء ومنعهن منه.

(٢) أَرْغَمَ الله أَنْفَكَ، أي: ألصقك بالرغام وهو التراب . أي: أذلك الله . فإنك آذيت رسوله ﷺ وما كففتهن عن البكاء.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ١٩٨ رقم ١٢٩٩)، (٣/ ٢١٠ رقم ١٣٠٥)، (٧/ ٥٨٥ رقم ٤٢٦٣) ومسلم (٢/ ٦٤٤ - ٦٤٥ رقم ٩٣٥) [٣٠].

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣١٦) ومسلم (٤/ ٢٠٠٦ رقم ٢٥٩٨) [٨٥].

قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصًا فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص[1]....

ففيه: أنَّ هٰذه المرأة لما رأت عورة عمرو بن سلمة؛ لقصر ثيابه عليه قالت للقوم: ألا تغطون عنا آست قارئكم.

فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ المرأة إذا رأت في رجلٍ شيئًا مخالفًا للشرع أن تنهىٰ عن ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٠٢).

تقديم المعروف بين الرجل والمرأة

تقديم المرأة معروفًا لرجل أجنبي عنها إذا أمنت الفتنة

- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ الله عَنْهُمَا: أَنَّ ٱمْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ: يَا رَسُولَ الله أَلَا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ؟ فَإِنَّ لِي غُلَامًا نَجَّارًا قَالَ: «إِنْ شِئْتِ». قَالَ: فَعَمِلَتْ لَهُ المِنْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ المِنْبَرِ الذِي صُنِعَ(١).

ففيه: أنَّ هٰذه المرأة أمرت عبدها النجار بأن يصنع للنبي ﷺ منبرًا؛ ليخطب عليه يوم الجمعة، فدلَّ علىٰ جواز تقديم المرأة معروفًا للرجل.

- عَنْ سَهْلٍ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَىٰ ٱمْرَأَةٍ مُرِي غُلَامَكِ النَّجَّارَ يَعْمَلْ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ(٢).

- عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: أَنَّ أُمَّ العَلَاءِ -ٱمْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِمْ- بَايَعَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ طَارَ لَهُمْ(٣) فِي السُّكْنَىٰ حِينَ ٱقْتَرَعَتِ الأَنْصَارُ عَلَىٰ سُكْنَىٰ المُهَاجِرِينَ قَالَتْ أُمُّ العَلَاءِ: فَاشْتَكَىٰ عُثْمَانُ عِنْدَنَا فَمَرَّضْتُهُ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ(٤).

ففيه: أنَّ أمَّ العلاء -رضي الله عنها- قامت بتمريض عثمان بن مظعون إلىٰ أن مات.

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦٤٧ رقم ٤٤٩) (٤/ ٣٧٣ رقم ٢٠٩٥)، (٦/ ٦٩٦ رقم ٣٥٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥٧٩ رقم ٣٧٧)، (١/ ٦٤٧ رقم ٤٤٨)، (٢/ ٤٦١ رقم ٩١٧)، (٤/ ٣٧٣ رقم ٢٠٩٤)، (٥/ ٢٣٧ رقم ٢٥٦٩) ومسلم (١/ ٣٨٦ - ٣٨٧ رقم ٥٤٤) [٤٤، ٤٥].

(٣) طَارَ لَهُمْ، أي: خرج من القرعة لهم.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٧ رقم ١٢٤٣)، (٥/ ٣٤٦ رقم ٢٦٨٧)، (٧/ ٣١٠ رقم ٣٩٢٩)، (١٢/ ٤٠٩ رقم ٧٠٠٣، ٧٠٠٤)، (١٢/ ٤٢٨ رقم ٧٠١٨).

- عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: «... فَجَاءَنِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمَّ عَبْدِ اللهِ إِنِّي رَجُلٌ فَقِيرٌ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَ فِي ظِلِّ دَارِكِ. قَالَتْ: إِنِّي إِنْ رَخَّصْتُ لَكَ أَبَىٰ ذَاكَ الزُّبَيْرُ، فَتَعَالَ فَاطْلُبْ إِلَيَّ وَالزُّبَيْرُ شَاهِدٌ. فَجَاءَ فَقَالَ: يَا أَمَّ عَبْدِ اللهِ إِنِّي رَجُلٌ فَقِيرٌ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَ فِي ظِلِّ دَارِكِ. فَقَالَتْ: مَا لَكَ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا دَارِي؟! فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ: مَا لَكِ أَنْ تَمْنَعِي رَجُلًا فَقِيرًا يَبِيعُ. فَكَانَ يَبِيعُ إِلَىٰ أَنْ كَسَبَ فَبِعْتُهُ الجَارِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيَّ الزُّبَيْرُ وَثَمَنُهَا فِي حِجْرِي فَقَالَ: هَبِيهَا لِي. قَالَتْ: إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِهَا»(١).

وفيه: أن هٰذا الرجل طلب من أسماء -رضي الله عنها- أن يبيع أمام دارها، فأخبرته بأنها إذا وافقت علىٰ طلبه، فسيرفض زوجها الزبير، ولجأت في ذلك إلىٰ الحيلة وطلبت منه أن يأتيها ويطلب منها ذلك والزبير حاضر، بحيث تبدي ٱعتراضها علىٰ ذلك، وعندئذ يوافق الزبير، وبالفعل نجحت حيلتها وقدمت بذلك معروفًا لهٰذا الرجل؛ لكي يبيع أمام دارها.

عن أنس قال: كنت ردف أبي طلحة يوم خيبر وقدمي تمس قدم رسول الله ﷺ. قال: فأتيناهم حين بزغت الشمس وقد أخرجُوا مواشِيَهم، وخرجوا بِفُؤُسهم ومَكَاتِلِهم ومُرُورِهم، فقالوا: محمدٌ والخَمِيس قال: وقال رسول الله ﷺ: «**خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المُنذَرين**». قال: وهزمهم الله ﷻ ووقعت في سهم دحية جارية جميلة فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ثم دفعها إلىٰ أم سليم تصنعها له وتُهَيِّئها(٢). قال: وأحسبه قال: وتعتدُّ في بيتِها(٣) وهي صفيَّة بنت حييٍّ قال: وجعل رسول الله ﷺ وليمتها

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧١٧ رقم ٢١٨٢) [٣٥].

(٢) تصنعها، أي لتحسن القيام بها، وتزينها له عليه الصلاة والسلام.

(٣) تعتد في بيتها، أي: تستبريء، فإنها كانت مسبية يجب ٱستبراؤها. وجعلها في مدة الأستبراء في بيت أم سليم، فلما ٱنقضىٰ الأستبراء جهزتها أم سليم، وهيأتها، أي: زينتها وجمَّلتها علىٰ عادة العروس.

التمرَ والأقِطَ والسَّمنَ[١].

ففيه: أن أمَّ سليم -رضي الله عنها- جمَّلتْ صفية وزينتها؛ لتزفها إلىٰ النبي ﷺ، فدلّ ذلك علىٰ جواز تقديم المرأة معروفًا للرجل.

(١) أخرجه البخاري (١/ ٥٧٢ رقم ٣٧١)، ومسلم (٢/ ١٠٤٥-١٠٤٦رقم ١٣٦٥) [٨٧].

تقديم الرجل معروفًا للمرأة الأجنبية عنه إذا أمنت الفتنة

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ مَقْفَلَه من عُسفان، ورسول الله ﷺ علىٰ راحلته، وقد أردف صفية بنت حيي، فعثرت ناقته فصرعا جميعًا، فاقتحم أبو طلحة فقال: يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: «**عليك المرأة**». فقلب ثوبًا علىٰ وجهه وأتاها فألقاه عليها، وأصلح لهما مركبهما فركبا، واكتنفنا رسول الله ﷺ، فلما أشرفنا علىٰ المدينة قال: «**آيبون، تائبون، عابدون لربنا حامدون**»(١)، فلم يزل يقول ذلك حتىٰ دخل المدينة.

ففيه: أن أبا طلحة ذهب إلىٰ صفية بنت حيي لما سقطت من فوق الناقة ليخلصها ممَّا هي فيه، فدلَّ ذلك علىٰ جواز تقديم الرجل معروفًا للمرأة.

- عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأستقي الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار -وكن نسوة صدق- وكنت أنقل النوىٰ من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ علىٰ رأسي، وهي مني علىٰ ثلثي فرسخ فجئت يومًا والنوىٰ علىٰ رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال: «إخ إخ». ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغيرَ الناس - فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فمضىٰ فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلىٰ رأسي النوىٰ ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك. فقال: والله لحملك النوىٰ كان أشد علي من ركوبك معه، قالت: حتىٰ أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وفيه: أن النبي ﷺ عرض علىٰ أسماء -رضي الله عنها- أن تركب ناقته؛ لما رآها تحمل النوىٰ علىٰ رأسها، فدلَّ ذلك علىٰ جواز تقديم الرجل معروفًا للمرأة.

الرجل يشمت المرأة إذا عطست

يجوز للرجل أن يشمت المرأة إذا عطست وذلك لما روي

- عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ أَبِي مُوسَىٰ وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ فعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي[(١)] وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَهَا فَرَجَعْتُ إِلَىٰ أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابني فَلَمْ تُشَمِّتْهُ وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَّهَا. فَقَالَ: إِنَّ ابنكِ عَطَسَ فَلَمْ يَحْمَدْ الله فَلَمْ أَشَمِّتْهُ، وَعَطَسَتْ فَحَمِدَتْ الله فَشَمَّتُّهَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدْ الله فَلَا تُشَمِّتُوهُ[(٢)].

ففيه: أن أبا موسىٰ رضي الله عنه شمَّتَّ المرأة لما حمدَتْ الله عندما عطست، فدل ذلك علىٰ جواز تشميت الرجل المرأة إذا عطست وحمدت الله.

المرأة تشمت الرجل إذا عطس

وكذلك المرأة تشمت الرجل إذا عطس؛ دل عليه عموم قوله ﷺ: «**إِنَّ الله يُحِبُّ العُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَحَقٌّ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِم سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ الشَّيْطَانِ فَلْيَرُدَّهُ مَا ٱسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ هَا ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ**»[(٣)].

---

(١) التَشْمِيتُ بالشين والسِّين: الدُّعاء بالْخَير والبَرَكةِ، والْمُعْجَمَةُ أعْلاهُما . يقال شمَّت فلاناً، وشمَّت عليه تَشْميتا فهو مشَمِّت . واشتقاقُه من الشَّوامِت، وهي القَوائِم: كأنه دَعَا للعاطِس بالثَّبات علىٰ طاعةِ الله تعالىٰ . وقيل معناه: أبْعَدَك الله عن الشَّماته، وجَنَّبك ما يُشْمَت به عليك . النهاية (٤٩٩ - ٥٠٠) . وقال أبو عبيد في «غريب الحديث» (١/ ٤٠٣) قوله شَمَّتَ: يعني دَعَا لَهُ، كقولك: يرحمكم الله، أو يهديكم الله ويصلح بالكم . والتشميت هو الدعاء، وكل داع لأحد بخير فهو مُشَمِّتٌ له . . . وفي هٰذا الحرف لغتان سَمَّت، وشَمَّتَ، والشِّين أعلىٰ في كلاهم وأكثر.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٢ رقم ٢٩٩٢) [٥٤].

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٣٨٩ رقم ٣٢٨٩)، (١٠/ ٦٢٢ رقم ٦٢٢٣)، (١٠/ ٦٢٦ رقم ٦٢٢٦).

الرجل يستشير المرأة

يجوز للرجل أن يستشير المرأة لا سيما في الأمور التي تكون النساء أعلم بهن من غيرهن.

ففي حديث الإفك قال عليٌّ لرسول الله ﷺ في شأن عائشة رضي الله عنها: وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله ﷺ بَرِيرَة فقال: «يا بَرِيرَة هل رأيت فيها شيئًا يُرِيبُكِ؟» فقالت بَرِيرَة: لا والذي بعثك بالحقِّ ما رأيْتُ عليها أمرًا قطُّ أغمصه غيرَ أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الدَّاجِنُ(١) فتأكلُه(٢).

ففيه أن النبي ﷺ ٱستشار بريرة في أمر عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك.

فدل ذلك علىٰ جواز ٱستشارة الرجل المرأة الأجنبية بشرط أمن الفتنة.

---

(١) الداجن: هي الشاة التي يَعْلُفها الناس في منازلهم. يقال: شاةٌ داجن، ودَجَنت تَدْجُنُ دُجُونا. والمُداجَنَةُ: حُسْن المُخالطةِ. وقد يقعُ علىٰ غير الشَّاء من كل ما يألفُ البيوت من الطَّيرِ وغيرِها. «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١٠٢).

(٢) تقدم تخريجه.

المرأة تستشير الرجل

وكذلك يجوز للمرأة أن تستشير الرجل لا سيما في الأمور التي يكون الرجل فيها أعلم بها منها دلَّ علىٰ ذلك ما روي عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّها ذهبت إلىٰ النبي ﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ ﷺ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَأَبَا جَهْم خَطَبَانِي. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَّا أَبُو جَهْم فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ**[1] **وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ**[2] **لاَ مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ**» فَكَرِهْتُهُ ثُمَّ قَالَ: انْكِحِي أُسَامَةَ فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ الله فِيهِ خَيْرًا وَاغْتَبَطْتُ[3][4].

ففيه أن فاطمة بنت قيس استشارت النبي ﷺ في معاوية بن أبي سفيان وأبي جهم لخطبتها، فأشار عليها ﷺ بأن تتزوج أسامة بن زيد، فدل ذلك علىٰ جواز استشارة المرأة الرجل الأجنبي بشرط أمن الفتنة.

---

(١) لا يضع عصاه عن عاتقه: أي كثير الضرب للنساء، والعاتق هو بين العتق إلىٰ المنكب.

(٢) صعلوك: أي فقير في الغاية.

(٣) اغتبطت: الغبطة أن يتمنىٰ مثل حال المغبوط من غير إرادة زوالها عنه، وليس هو بحسد.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ١١١٤ - ١١١٦ رقم ١٤٨٠) (٣٦ -٤٠).

المرأة تستفتي الرجل العالم

يجوز للمرأة أن تستفتي العالم في أمور دينها فقد كان النساء علىٰ عهد النبي ﷺ كن يذهبن إلىٰ النبي ﷺ يسألنه عن أمور دينهم

وقد ذكرت أحاديث كثيرة في هٰذا الباب في كتابي «شبهات حول المرأة في الإسلام».

الرجل يستفتي المرأة

والمرأة إذا كانت علىٰ علم جاز للرجل أن يستفتيها في أمور دينه فقد أباح ﷺ للصحابة رضوان الله عليهم أن يستفتوا أمهات المؤمنين، ولكن من وراء حجاب قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يستفتين أمهات المؤمنين دلَّ علىٰ ذلك ما يلىٰ:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا(١)، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «أَنْتُمْ الذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا والله إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لله وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٢).

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث:... تتبع أحوال الأكابر؛ للتأسي بأفعالهم، وأنه إذا تعذر معرفته من الرجال جاز ٱستكشافه من النساء.

- عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنْ الأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لَا، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً(٣) وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَطِيعُ؟(٤).

---

(١) كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا: أىٰ ٱستقلوها.

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٥ رقم ٥٠٦٣)، ومسلم (٢/ ١٠٢٠ رقم ١٤٠١) [٥]..

(٣) ديمة: أي دائمًا غير مقطوع .

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ٢٧٧ رقم ١٩٨٧)، (١١/ ٣٠٠ رقم ٦٤٦٦) ومسلم (١/ ٥٤١ رقم ٧٨٣) [٢١٧].

- عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ». قَالَ: فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا أَمَّ المُؤْمِنِينَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ حَدِيثًا إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ هَلَكْنَا. فَقَالَتْ: إِنَّ الهَالِكَ مَنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ وَمَا ذَاكَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ» وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يكره الموت فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ وَلَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ، ولكن إِذَا شَخَصَ البَصَرُ[(١)]، وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ[(٢)]، وَاقْشَعَرَّ الجِلْدُ، وَتَشَنَّجَتْ الأَصَابِعُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ[(٣)].

- عَنْ عُبَيْدِ الله ابن القِبْطِيَّةِ قَالَ: دَخَلَ الحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ وَأَنَا مَعَهُمَا عَلَىٰ أم سَلَمَةَ أم المُؤْمِنِينَ، فَسَأَلاهَا عَنْ الجَيْشِ الذِي يُخْسَفُ بِهِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّام ابن الزُّبَيْرِ. فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ[(٤)]، فَيُبْعَثُ إِلَيهِ بَعْثٌ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ[(٥)] خُسِفَ بِهِمْ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا. قَالَ: «يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَىٰ نِيَّتِهِ». وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: هِيَ بَيْدَاءُ المَدِينَةِ[(٦)].

- عَنْ أَمَيَّةَ بْنِ صَفْوَانَ سَمِعَ جَدَّهُ عَبْدَ الله بْنَ صَفْوَانَ يَقُولُ: أَخْبَرَتْنِي

---

(١) شَخَصَ البَصَرُ: إذا فتح عينيه فلم يطرف.

(٢) حَشْرَجَ الصَّدْرُ: أي تردد النفس.

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢٠٦٦ - ٢٠٦٧ رقم ٢٦٨٥) [١٧].

(٤) يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ، أي: يلتجىء ويعتصم بالبيت .

(٥) البيداء: الأرض القفر لا شيء بها، وبيداء المدينة: الشرف الذي قدام ذي الحليفة من جهة مكة.

(٦) أخرجه مسلم (٤/٢٢٠٨ - ٢٢٠٩ رقم ٢٨٨٢) [٤].

حَفْصَةُ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَؤُمَّنَّ هٰذا البَيْتَ(١) جَيْشٌ يَغْزُونَهُ حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ فَلَا يَبْقَىٰ إِلاَّ الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ» فَقَالَ رَجُلٌ: أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَىٰ حَفْصَةَ وَأَشْهَدُ عَلَىٰ حَفْصَةَ أَنَّهَا لَمْ تَكْذِبْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ(٢).

- عَنْ ثُمَامَةَ -يَعْنِي ابن حَزْنٍ القُشَيْرِيَّ- قَالَ: لَقِيتُ عَائِشَةَ فَسَأَلْتُهَا عَنْ النَّبِيذِ، فَدَعَتْ عَائِشَةُ جَارِيَةً حَبَشِيَّةً فَقَالَتْ: سَلْ هٰذه، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَنْبِذُ(٣) لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَت الحَبَشِيَّةُ: كُنْتُ أَنْبِذُ لَهُ فِي سِقَاءٍ(٤) مِنَ اللَّيْلِ وَأُوكِيه(٥) وأعلِّقُهُ فَإِذَا أَصْبَحَ شَرِبَ مِنْهُ(٦).

- عن كريب أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن أزهر ﭫ أرسلوه إلىٰ عائشة رضي الله عنها فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعًا وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر وقل لها: إنا أخبرنا أنك تصلينهما وقد بلغنا أن النبي ﷺ نهىٰ عنها. وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنها فقال كريب: فدخلت علىٰ عائشة رضي الله عنها وبلَّغتُها ما أرسلوني فقالت: سل أم سلمة. فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها. فردُّوني إلىٰ أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلىٰ عائشة، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت النبي ﷺ ينهي عنهما ثم رأيته يصلِّيهما حين صلىٰ العصر، ثم دخل وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار فأرسلت إليه الجارية فقلت: قومي بجنبه قولي له: تقول لك أم سلمة: يا رسول الله سمعتكَ تنهىٰ عن هاتين

---

(١) لَيَؤُمَّنَّ هٰذا البَيْتَ: أي ليقصدن البيت.

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٢٠٩ - ٢٢١٠ رقم ٢٨٨٣) [٦].

(٣) تَنْبِذُ: أي تطرح التمر أو الزبيب في الماء؛ لعمل النبيذ .

(٤) سِقَاءٍ: أي قربة صغيرة من جلد.

(٥) أُوكِيهِ: أي أشده بالوكاء، وهو الخيط الذي يشد به رأس القربة.

(٦) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٩٠ رقم ٢٠٠٥) [٨٤].

وأراكِ تُصلِّيهما؟ فإن أشار بيده فاستأخري عنه، ففعلت الجارية. فأشار بيده فاستأخَرَتْ عنه، فلما انصرف قال: «**يا بنت أبي أُمَيَّة سألْتِ عن الركعتين بعد العصر وإنَّه أتاني ناسٌ من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان**»(١).

- عن سعيد بن هشام بن عامر قال:... فانطلقت إليها (أي عائشة) فأتيت علىٰ حكيم بن أفلح فاستحلقته إليها فقال: ما أنا بقاربها لأني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئًا فأبت فيهما إلا مضيا. قال: فأقسمت عليه فجاء فانطلقنا إلىٰ عائشة، فاستأذنا عليها، فأذنت لنا فدخلنا عليها فقالت: أحكيمٌ؟ (فعرفته) فقال: نعم(٢).

- عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ ابن عَبَّاسٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ جَالِسٌ عِنْدَهُ فَقَالَ: أَفْتِنِي فِي ٱمْرَأَةٍ وَلَدَتْ بَعْدَ زَوْجِهَا بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً؟ فَقَالَ: ابن عَبَّاسٍ آخِرُ الأَجَلَيْنِ(٣)، قُلْتُ أَنَا: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَا مَعَ ابن أَخِي -يَعْنِي: أَبَا سَلَمَةَ- فَأَرْسَلَ ابن عَبَّاسٍ غُلَامَهُ كُرَيْبًا إِلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ يَسْأَلُهَا، فَقَالَتْ: قُتِلَ زَوْجُ سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيَّةِ وَهِيَ حُبْلَىٰ، فَوَضَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَخُطِبَتْ فَأَنْكَحَهَا رَسُولُ الله ﷺ وَكَانَ أَبُو السَّنَابِلِ فِيمَنْ خَطَبَهَا(٤).

فدلت هٰذه الأحاديث أن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين كانوا

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٦ رقم ١٢٣٣)، (٧/ ٦٨٧ رقم ٤٣٧٠) ومسلم (١/ ٥٧١- ٥٧٢ رقم ٨٣٤) [٢٩٧].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) قوله: (آخِرُ الأَجَلَيْنِ) الأجلان هما عدة الوفاة أي: أربعة أشهر وعشر من الوفاة، وعدة الحمل أي: بوضع الحمل، والمراد بآخرهما أبعدهما.

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٥٢١ رقم ٤٩٠٩)، (٩/ ٣٧٩ رقم ٥٣١٨) ومسلم (٢/ ١١٢٢ - ١١٢٣ رقم ١٤٨٥) [٥٧].

يستفتون أمهات المؤمنين في أمور دينهم، فدل ذلك علىٰ جواز أن يستفتي الرجل المرأة في الدين إذا كانت علىٰ علم.

- وأيضًا كان بعض السلف الصالح يستفتي المرأة في أمور الدين.

قال الذهبي[(١)]:

«قد سمعنا من عدة نسوة وما رأيتهن».

وقال ابن بطال[(٢)]: وقد أخذ العلم عن أزواج النبي ﷺ، وعن غيرهن من نساء السلف.

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٨).

(٢) «شرح البخاري» لابن بطال (١/ ١٧٨).

عيادة كل من الرجل والمرأة للآخر

عيادة الرجل للمرأة الأجنبية عنه:

ويجوز للرجل عيادة المرأة إذا مرضت فما دام ليس هناك خلوة، وما دامت الفتنة مأمونة فالأمر جائز دل عليه ما يلي:

١ - عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ دخل علىٰ أم السائب أو أم المسيب فقال: **«ما لك يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين؟»**(١) قالت: الحمىٰ لا بارك الله فيها. فقال: **«لا تسبي الحمىٰ فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير(٢) خبث الحديد»**(٣).

ففيه: أن النبي ﷺ زار أم السائب لمرضها بالحمىٰ، فدلَّ ذلك علىٰ أنه يجوز للرجل عيادة المرأة إذا مرضت لا سيما إذا كانت من الأقارب أو الجيران.

عن عائشة قالت: دخل رسول الله ﷺ علىٰ ضباعة بنت الزبير فقال لها: **«لعلك أردت الحج؟»** قالت: والله لا أجدني إلا وجعة(٤). فقال لها: **«حجي واشترطي(٥)** قولي: **«اللهم محلِّي(٦) حيثُ حبسْتَنِي»**(٧).

---

(١) تزفزفين: أي ترتعدين.

(٢) الكير: آلة الحداد التي ينفخ بها.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٣ رقم ٢٥٧٥) [٥٣].

(٤) والله ما أجدني إلىٰ وجعة: أي ما أجد نفسي إلا ذات وجع. تعني: أجد في نفسي ضعفًا من المرض لا أدري أقدر علىٰ إتمام الحج أم لا.

(٥) حجي واشترطي: أي أحرمي بالحج، واجعلي شرطًا في حجك عند الإحرام وهو ٱشتراط التحلل متىٰ ٱحتجت إليه.

(٦) محلي حيث حبستني: أي موضع إحلالي من الأرض حيث حبستني، أي المكان الذي عجزت عن الإتيان بالمناسك وانحبست عنها بسبب المرض، ومحلي -بكسر الحاء- ٱسم مكان بمعنىٰ: موضع التحلل من الإحرام.

(٧) أخرجه البخاري (٩/ ٣٤ - ٣٥ رقم ٥٠٨٩)، ومسلم (٢/ ٨٦٧ -٨٦٨ رقم ١٢٠٧) [١٠٤، ١٠٥].

عن ابن أبي مليكة قال: ٱستأذن ابن عباس قبل موتها علىٰ عائشة وهي مغلوبة[١]، قالت: أخشىٰ أن يُثْنِي عَلَيَّ، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: ٱئذنوا له. فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن ٱتقيت. قال: فأنت بخير إن شاء الله زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكرًا غيرك ونزل عذرك من السماء[٢])[٣]، وفي رواية[٤] قال: يا أم المؤمنين تقدمين علىٰ فَرَطِ صِدْق[٥] علىٰ رسول الله ﷺ وعلىٰ أبي بكر.

ففيه: أن ابن عباس رضي الله عنه زار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند مرض موتها.

عيادة المرأة للرجل الأجنبي عنها

ويجوز للمرأة عيادة الرجل الأجنبي عنها ما دامت الخلوة منتفية والفتنة مأمونة وذلك لما روي عن عائشة أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك[٦] أبو بكر وبلال قالت: فدخلت عليهما قلت: يا أبتِ كيف تجدك ويا بلال كيف تجدُك[٧]؟ قالت فكان أبو بكر إذا أخذته الحمىٰ يقول:

---

(١) مغلوبة: أي من شدة كرب الموت .

(٢) نزل عذرك من السماء: يشير إلىٰ نزول براءتها في قصة الإفك.

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٣٤٠ - ٣٤١ رقم ٤٧٥٣، ٤٧٥٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧/ ١٣٣ رقم ٣٧٧١).

(٥) فرط بفتح الفاء والراء -بعدها مهملة- وهو المتقدم من كل شيء.
قال ابن التين: فيه أن قطع لها بدخول الجنة؛ إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف، كذا في «الفتح» ٧/ ١٣٥.

(٦) الوَعْك: الحُمَّىٰ، وقيل وَعَكَه المرضُ وَعْكًا، وَوُعِك فهو مَوْعوكَ. «النهاية»: ٥/ ٢٠٧.

(٧) كيف تجدك: أي كيف تجد نفسك أو جسدك .

كـل أمـريء مـصبـح[١] في أهـلـه والموت أدنىٰ[٢] من شراك[٣] نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمىٰ يقول:

ألا ليت شـعـري هـل أبـيتن ليلـة بـواد[٤] وحـولي إذخـر[٥] وجـليل[٦]

وهـل أردن[٧] يـومًـا مـيـاه مجـنـة[٨] وهـل يـبـدون لي شـامـة وطـفـيـل[٩]

قالت عائشة: فجئت إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها وبارك لنا في صاعها[١٠] مدها وانقل حماها[١١] فاجعلها بالجحفة**[١٢][١٣]».

---

(١) مصبح: أي مصاب بالموت صباحًا، وقيل: المراد أنه يقال له وهو مقيم بأهله: صبحك الله بالخير، وقد يفجأه الموت في بقية النهار وهو مقيم في أهله.

(٢) أدنىٰ: أقرب.

(٣) الشراك: السير الذي يكون في وجه النعل، والمعنىٰ أن الموت أقرب إلىٰ الشخص من شراك نعله لرجله.

(٤) بواد: أي بوادي مكة.

(٥) الإِذْخِر -بكسر الهمزة والخاء: نبات معروف ذكي الريح وإذا جَفَّ ابيضَّ. «المصباح المنير».

(٦) جليل: بالجيم: نبت ضعيف يُحشىٰ به خصاص البيوت وغيرها.

(٧) أردن: من ورد الماء يرده أي: يقصده.

(٨) مياه مجنة: بالجيم موضع علىٰ أميال من مكة وكان به سوق.

(٩) شامة وطفيل: جبلان قرب مكة.

(١٠) الصاع: يكال به وهو أربع أمداد، والمد ملء الكفين.

(١١) حماها: أي مرض الحمىٰ.

(١٢) الجحفة: موضع بين مكة والمدينة، قال النووي: وفي هٰذا الحديث علم من أعلام نبوة نبينا ﷺ، فإن الجحفة من يومئذ مجتنبة، ولا يشرب أحد من مائها إلا حُمَّ.

(١٣) أخرجه البخاري (٤/ ١١٩ رقم ١٨٨٩)، (٧/ ٣٠٨ رقم ٣٩٢٦) (١٠/ ١٣٨ رقم ٥٦٧٧)، (١١/ ١٨٣ رقم ٦٣٧٢)، ومسلم (٢/ ١٠٠٣ رقم١٣٧٦).

قال الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث: (قوله: باب عيادة النساء الرجال) أي لو كانوا أجانب بالشرط المعتبر -أي شرط أمن الفتنة- وقال أيضًا: ... وقد ٱعترض عليه بأن ذلك قبل الحجاب قطعًا، وقد تقدم أن في بعض طرقه -وذلك قبل الحجاب- وأجيب بأن ذلك لا يضر فيما ترجم له من عيادة المرأة الرجل فإنه يجوز بشرط التستر والذي يجمع بين الأمرين ما قبل الحجاب وما بعده الأمن من الفتنة.

عيادة الرجال إخوانهم في حضور النساء:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ٱشتكىٰ سعد بن عبادة شكوىٰ له فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ﷺ، فلما دخل عليه وجده في غاشية[1] أهله فقال: قد قضي؟ قالوا: لا يا سول الله. فبكىٰ النبي ﷺ، فلما رأىٰ القوم بكاءَ النبي ﷺ بكوا فقال: «**ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهٰذا** -وأشار إلىٰ لسانه- **أو يرحم**[2]».

وفيه: أن النبي ﷺ وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ذهبوا لعيادة سعد بن عبادة وزوجة سعد كانت حاضرة معهم. فدلَّ ذلك علىٰ عيادة الرجال إخوانهم في حضور النساء إذا أمنت الفتنة.

زيارة كل من المرأة والرجل للآخر

زيارة المرأة للرجل الأجنبي عنها إذا أمنت الفتنة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ٱستأذنت هالة بنت خويلد أخت

---

(١) في غاشية أهله: يجوز أن يريد بالغاشية القومَ الحضور عنده الذين يَغْشَوْنه للخدمة والزيارة، أي جماعة غاشية، أو ما يتغشاه من كرب الوجع الذي به، أي: يغطيه فظن أن قد مات. النهاية مادة غشا.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٢٠٩ رقم ١٣٠٤)، ومسلم (٢/ ٦٣٦ رقم٩٢٤) [١٢].

خديجة علىٰ رسول الله ﷺ، فعرف ٱستئذان خديجة فارتاع[١] لذلك فقال: اللهم هالة قالت: فَغِرْتُ فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشِّدْقين[٢] هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيرًا منها[٣]!

ففيه: أن هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها كانت تزور النبي ﷺ.

عن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال: قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينًا ما نرىٰ إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ؛ لما نرىٰ من دخلوه ودخول أمه علىٰ النبي ﷺ. وفي رواية مسلم: من كثرة دخولهم ولزومهم له[٤].

ففيه أن أم عبد الله بن مسعود كثيرًا ما كانت تزور النبي ﷺ حتىٰ ظن أبو موسىٰ حينًا من الزمن أن عبد الله بن مسعود وأمه من أهل بيت النبي ﷺ، فدل ذلك علىٰ جواز زيارة المرأة الرجل إذا أمنت الفتنة وانتفت الخلوة.

---

(١) فارتاع: من الروع بفتح الراء، أي فزع، والمراد من الفزع لازمه وهو التغير، ووقع في بعض الروايات (ارتاح) بالحاء المهملة، أي ٱهتز لذلك سرورًا.

(٢) حمراء الشدقين: الشِّدق: جانب الفم، وقد كَنَّتْ بحمراء الشدقين عن سقوط أسنانها من الكبر حتىٰ لم يبق في فمها إلا حمرة لثاتها.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٨٩ رقم٢٤٣٧) [٧٨] والبخاري تعليقًا (٣٨٢١).

(٤) أخرجه البخاري (٧/ ١٢٩ رقم ٣٧٦٣)، (٧/ ٦٩٩ رقم٤٣٨٤)، ومسلم (٤/ ١٩١١ رقم ٢٤٦٠) [١١٠، ١١١].

زيارة الرجل المرأة الأجنبية
مادامت الفتنة مأمونة والخلوة منتفية

عن أنسٍ ﷺ أن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتًا بالمدينة غير بيت أم سليم إلا علىٰ أزواجه، فقيل له فقال: إني أرحمها قتل أخوها معي[(١)].

عن أنس قال: دخل نبي الله ﷺ علينا وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي، فقال: «قوموا فلأصلي بكم» في غير وقت صلاة فصلَّىٰ بنا.. ثم دعا لنا أهل البيت بكل خير من خير الدنيا والآخرة[(٢)].

عن أنسٍ قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا، وفي رواية: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير، قال: أحسبه فطيمًا، وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير ما فعل النغير[(٣)]؟ نُغَرٌ كان يلعب به، فربَّما حضر الصلاة وهو في بيتنا -أي بيت أم سليم- فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس ويُنْضَح[(٤)] ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا[(٥)].

دلَّت هٰذه الأحاديث علىٰ أن النبي ﷺ كان يزور أم سليم وأم حرام فدلَّ ذلك علىٰ جواز زيارة الرجل المرأة ما دامت الفتنة مأمونة والخلوة منتفية.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٥٩ رقم ٢٨٤٤)، ومسلم (٤/ ١٩٠٨ رقم٢٤٥٥) [١٠٤].

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٥٧ رقم٦٦٠) [٢٦٨]، (٤/ ٩٢٩ رقم ٢٤٨١) [١٤٢].

(٣) النغير: طائر يشبه العصفور.

(٤) ينضح أي: يرش.

(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٤٣ رقم٦١٢٩)، (١٠/ ٥٩٨ رقم٦٢٠٣)، ومسلم (٣/ ١٦٩٢-١٦٩٣ رقم ٢١٥٠) [٣٠].

جاء في «فتح الباري»:... وفي الحديث جواز زيارة الرجل للمرأة الأجنبية إذا لم تكن شابة وأمنت الفتنة ...

عن أم الفضل قالت: دخل أعرابي علىٰ نبي الله ﷺ وهو في بيتي فقال: يا نبي الله؛ إني كانت لي ٱمرأةٌ فتزوجت عليها أخرىٰ فزعمت ٱمرأتي الأولىٰ أنها أرضعت امرأتي الحُدْثىٰ[1] رضعة أو رضعتين. فقال نبي الله ﷺ: «**لا تُحَرِّم الإِمْلاَجَة**[2] **والإِملاجتان**»[3].

ففيه: أن النبي ﷺ كان في بيت أمِّ الفضل لزيارتها.

عن أنس قال: «انطلق رسول الله ﷺ إلىٰ أم أيمن، فانطلقتُ معه، فناولتْه إناءً فيه شراب، قال: فلا أدري أصادفتْهُ صائمًا أو لم يُرده، فجعلت تصخب[4] عليه وتذمر[5] عليه[6].

وفيه: أن النبي ﷺ كان يزور أمَّ أيمن.

عن سهل بن سعد ﷺ قال: إنَّا كنا لنفرح بيوم الجمعة، كانت لنا عجوز تأخذ من أصول سلق لنا كنا نغرسه في أربعائنا فتجعله في قدر لها فتجعل فيه حبات من شعير - لا أعلم إلا أنه قال: ليس فيه شحم ولا ودك - فإذا صلينا الجمعة زرناها فقربته إلينا، فكنا نفرح بيوم الجمعة من أجل ذلك، وما كنا

---

(١) الحدثىٰ: الجديدة.

(٢) الإملاجة والإملاجتان: يعنىٰ المرأة ترضع الصبي مصَّةً أو مصتين، والمصُّ هو الملْج.

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٧٤- ١٠٧٥ رقم ١٤٥١) [١٨-٢٣].

(٤) تصخب، أي: تصيح وترفع صوتها إنكارًا لإمساكه عن شرب الشراب.

(٥) تذمر عليه، أي: تتذمر وتتكلم بالغضب، ومعنىٰ الحديث: أن النبي ﷺ ردَّ الشراب عليها، إما لصيام وإما لغيره.

فغضبت وتكلمت بالإنكار والغضب وكانت تدل عليه- ﷺ- لكونها حضنته وربته.

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٠٧ رقم٢٤٥٣) [١٠٢].

نتغذىٰ ولا نقيل إلا بعد الجمعة[١].

ففيه: أن سهل بن سعد وجمعًا من الصحابة كانوا يزورون كلَّ جمعة تلك المرأة العجوز.

عن أنس قال: قال أبو بكر ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر ٱنطلق بنا إلىٰ أمّ أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها فلما ٱنتهينا إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك ما عند الله خير لرسوله ﷺ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي قد ٱنقطع من السماء فهيجتهما علىٰ البكاء فجعلا يبكيان معها[٢].

وفيه: أن أبا بكر وعمر كانا يزوران أمَّ أيمن بعد موت النبي ﷺ وقد بوَّب العز بن عبد السلام في كتابه «شجرة المعارف» صـ٢٠١ علىٰ هٰذا الحديث بقوله: فصل في زيارة المرأة الصالحة من غير خلوة محرمة.

عن مسروق قال: دخلنا علىٰ عائشة -رضي الله عنها- وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعرًا يشبب[٣] بأبيات له وقال:

حصان[٤] رزان[٥] ما تُزَنُّ بريبة[٦]   وتصبح غَرْثَىٰ من لحوم الغوافل[٧]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٠٧ - ١٩٠٨ رقم ٢٤٥٤) [١٠٣].

(٣) يشبب: أي يذكر أبياتًا من الشعر فيها ذكر النساء.

(٤) حصان: الحَصان بالفتح: المرأة العَفيفة. «النهاية» ١/ ٣٩٧.

(٥) رزان: يقال: ٱمرأة رَزَان بالفتح، ورَزِينة: إذا كانت ذاتَ ثبَات ووَقار وسُكُون. والرَّزانة في الأصل: الثِّقَل. «النهاية»: ٢/ ٢٢٠.

(٦) ما تزن بريبة، أي: ما تتهم.

(٧) تصبح غرثىٰ من لحوم الغوافل: الغرثىٰ الجائعة، والغوافل جمع غفلة وهي العفيفة الغافلة عن الفاحشة، والمعنىٰ أن عائشة جائعة؛ لأنها لم تغتب الغوافل، وهٰذا من فضلها، ولو ٱغتابتهن لشبعت من لحومهن.

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك[١]! قال مسروق: فقلت لها: لم تأذني له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١]... فقالت: وأي عذاب أشد من العمىٰ؟ قالت له: إنه كان ينافح أو يهاجي[٢] عن رسول الله ﷺ[٣].

وفيه أن حسان بن ثابت ﷺ كان يزور أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

عن الأسود قال: دخل شباب من قريش علىٰ عائشة وهي بمنىٰ وهم يضحكون فقالت: ما يُضْحِكُكُمْ؟ قالوا: فلان خرَّ علىٰ طنب فسطاط[٤] فكادت عنقه أو عينه أن تذهب. فقالت: لا تضحكوا فإني سمعت رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة**»[٥].

وفيه: أن هٰؤلاء الشباب زاروا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

---

(١) ولكنك لست كذلك، تعني أنه لم يصبح غرثان من لحوم الغوافل؛ حيث شارك في حديث الإفك.

(٢) ينافح أو يهاجي: أي: يدافع ويناضل، ويهاجي: من الهجاء فكان يهجو الكفار.

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٥٠٠ رقم٤١٤٦)، (٨/ ٣٤٣ رقم٤٧٥٥، ٤٧٥٦)، ومسلم (٤/ ١٩٣٤ رقم ٢٤٨٨) [١٥٥].

(٤) خرَّ علىٰ طنب فسطاط، أي: سقط علىٰ لفة حبل ممَّا تشد بها الخيمة.

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩١ رقم٢٥٧٢) [٤٦].

ضيافة كل من الرجل والمرأة للآخر

ضيافة المرأة للرجل إذا أمنت الفتنة:

عن أنس بن مالك أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته له فأكل منه ثم قال: «قوموا فلأصلِّ لكم». قال أنس بن مالك: فقمت إلىٰ حصير لنا قد ٱسود من طول ما لُبِس[١] فَنَضَحْته[٢] بماء فقام رسول الله ﷺ وصففْتُ واليتيمَ وراءه والعجوز من ورائنا فصلىٰ لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم ٱنصرف[٣].

وفيه: أن مليكة جدة أنس دعت النبي ﷺ لضيافته عندها وقدمت له طعامًا صنعته له فدلَّ ذلك علىٰ جواز ضيافة المرأة للرجل إذا أمنت الفتنة.

قال الحافظ ابن حجر: وفي هٰذا الحديث من الفوائد إجابة الدعوة ولو لم تكن عرسًا، ولو كان الداعي ٱمرأة لٰكن حيث تؤمن الفتنة.

عن أنس ﷺ: دخل النبي ﷺ علىٰ أم سليم فأتته بتمر وسمن قال: «**أعيدوا سمنكم في سَقِائه[٤] وتمركم في وعائه فإني صائم**»[٥].

وفيه: أن النبي ﷺ لمَّا دخل علىٰ أم سليم قامت بضيافته فقدمت له تمرًا وسمنًا، ولٰكن النبي ﷺ لم يأكل؛ لكونه صائمًا، فدلَّ ذلك علىٰ جواز ضيافة المرأة للرجل.

-عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب

---

(١) قد ٱسود من طول ما لبس، أي اسود من طول ٱفتراشه.

(٢) نضحتُه، أي: رشَشْتُه بالماء.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٥٨٢ - ٥٨٣ رقم ٣٨٠)، (٢/ ٤٠١ رقم٨٦٠)، ومسلم (١/ ٤٥٧ رقم ٦٥٨) [٢٦٦].

(٤) السقاء: قربة صغيرة من جلد .

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ٢٦٨ رقم ١٩٨٢).

إلىٰ قُبَاء يدخل علىٰ أمِّ حرام بنت ملحان فتطعمه[١]....

ففيه: أن النبي ﷺ عندما كان يزور أم حرام كانت تقوم بضيافته وتقدم له الطعام.

- عن فاطمة بنت قيس: . . . فأمرها رسول الله ﷺ أن تعتد في بيت أمِّ شريك ثم قال: **تلك امرأة يغشاها أصحابي**، وفي رواية: «**إن أمّ شريك يأيتها المهاجرون الأولون**»، وفي رواية: .. فقال: «**انتقلي إلىٰ أمّ شريك**» - وأمُّ شريك امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله، ينزل عليها الضيفان- فقلت: سأفعل. قال: «**لا تفعلي إن أمَّ شريك امرأةٌ كثيرةُ الضيفان**»[٢].

وفيه: أن أم شريك- كما أخبر النبي ﷺ- يزورها الكثير من صحابته وكانت تقوم بضيافتهم.

عن الشعبي قال: دخلنا علىٰ فاطمة بنت قيس فَأَتْحَفَتْنَا[٣] برطب ابن طَاب[٤] وسقتنا سويقَ سُلْت[٥] فسألتها عن المطلقة ثلاثًا أين تعتد[٦]؟.

وفيه: أن الشعبيَّ وغيرَه كانوا يزورون فاطمةَ بنتَ قيس، فتقوم بضيافتهم وتقدم لهم تمرًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٣ رقم ٢٧٨٨)، (١١/ ٧٣ رقم ٦٢٨٢) (١٢/ ٤٠٨ رقم ٧٠٠١)، ومسلم (٣/ ١٥١٨ - ١٥١٩ رقم ١٩١٢) [١٦٠].

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١١١٤-١١١٦ رقم ١٤٨٠) [٣٦-٤٠].

(٣) قوله: فأتحفتنا.. أي: ضيفتنا.

(٤) قوله: رطب ابن طاب: نوع من تمر المدينة.

(٥) قوله: سويق سلت: نقيع نوع من الحبوب يشبه القمح.

(٦) أخرجه أحمد (٦/ ٤١٢-٤١٦)، مسلم (٢/ ١١١٨ رقم ١٤٨٠) [٤٣]، وابو داود (٢٢٨٤-٢٢٨٧، ٢٢٨٩)، والنسائي (٦/ ٧٥، ١٤٤، ٢٠٨).

حكم تقديم المرأة الطعام للضيوف بحضرة زوجها أو محرمها

ويجوز للمرأة أن تقدم الطعام للضيوف بحضرة زوجها أو محرمها إذا أمنت الفتنة؛ دلَّ علىٰ ذلك ما روي عن سهل قال: لما عرَّس[(١)] أبو أسيد الساعدي دعا النبي ﷺ وأصحابه فما صنع لهم طعامًا ولا قربه إليهم إلا ٱمرأته أم أسيد -وهي العروس- بلَّت تمرات في تَوْرٍ[(٢)] من حجارة من الليل فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام أماثته[(٣)] له فسقته تُتْحِفه[(٤)] بذلك[(٥)].

وفيه: أن زوجة أبي أسيد الساعدي هي التي صنعت الطعام وقدمته للنبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم في عرسها، فدلَّ ذلك علىٰ جواز تقديم المرأة الطعام للضيوف بحضرة زوجها أو محرمها.

قال الحافظ: وفي الحديث جواز خدمة المرأة زوجها ومن يدعوه ولا يخفىٰ أن محل ذلك عند أمن الفتنة ومراعاة ما يجب عليها من الستر.

وقال ابن بطال[(٦)]: فيه خدمة العروس زوجها وأصحابه في عرسها. وأنه لا بأس أن يعرض الرجل أهله علىٰ صالح إخوانه ويستخدمهن لهم. اهـ.

---

(١) عرَّس، أي: دخل بزوجته.

(٢) تَوْرٍ، أي: إناء.

(٣) أماثته، أي: أذابته.

(٤) تتحفه، أي: تخصه.

(٥) أخرجه البخاري (٩/ ١٤٩ رقم٥١٧٦)، (٩/ ١٥٩ - ١٦٠ رقم ٥١٨٢، ٥١٨٣)، (١٠/ ٥٨ رقم ٥٥٩١)، (١٠/ ٦٤ رقم ٥٥٩٧)، (١١/ ٥٧٧ رقم ٦٦٨٥)، ومسلم (٣/ ١٥٩٠ - ١٥٩١ رقم ٢٠٠٦) [٨٦، ٨٧].

(٦) «شرح البخاري» (٧/ ٢٩٤).

حكم أكل المرأة مع الرجل الأجنبي عنها بحضرة زوجها أو محرمها

يجوز أن تأكل المرأة مع الرجل الأجنبي عنها بحضرة زوجها أو محرمها إن أمنت الفتنة في ذلك دلَّ علىٰ ذلك.

ما روي عن أبي هريرة ﷺ أن رجلًا أتىٰ النبي ﷺ فبعث إلىٰ نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: «**من يضم أو يُضيف هٰذا؟** فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلىٰ ٱمرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هَيِّئي طعامك وأصْبِحي سراجك[1] ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عَشاءً، فهيأتْ طعامها وأصبحت سراجها ونوَّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تُصلِحُ سراجها فأطفأتهْ، فجعلا يُريانه أنهما يأكلان فباتا طاوِيَيْن[2] فلما أصبح غدا إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «**ضحك الله الليلة أو عجب من فعلكما**». وفي رواية مسلم: «**قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة**». فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: من الآية٩][3].

ففيه: أن هٰذا الأنصاري وزوجته جلسا مع الضيف؛ ليريانه كأنهما يأكلان معه، فدلَّ ذلك علىٰ جواز أكل المرأة مع الرجل الأجنبي عنها بحضرة زوجها أو محرمها.

وعن يزيد بن الأصم قال: دعانا عروس بالمدينة فقرب إلينا ثلاثة عشر ضبا فآكِلٌ وتَارِكٌ. فلقيت ابن عباس من الغد فأخبرته فأكثر القوم حوله حتىٰ قال بعضهم: قال رسول الله ﷺ: «**لا آكله ولا أنهىٰ عنه ولا أحرمه**». فقال ابن

---

(١) أصبحي سراجك، أي: أوقديه.

(٢) فباتا طاويين، أي: باتا بغير عشاء.

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١٤٩ رقم ٣٧٩٨)، (٨/ ٥٠٠ رقم ٤٨٨٩)، ومسلم (٣/ ١٦٢٤ - ١٦٢٥ رقم ٢٠٥٤) [١٧٢، ١٧٣].

عباس: بئس ما قلتم ما بُعِثَ نبي الله ﷺ إلا مُحِلًا ومُحَرِّمًا، إن رسول الله ﷺ بينما هو عند ميمونة وعنده الفضل بن العباس وخالد بن الوليد وامرأة أخرىٰ إذ قُرِّبَ إليهم خِوَان[١] عليه لحم فلما أراد النبي ﷺ أن يأكل قالت له ميمونة: إنه لحم ضب فكف يده وقال: «**هٰذا لحم لم آكله قط**» وقال لهم: «**كلوا**»، فأكل منه الفضل وخالد بن الوليد والمرأة، وقالت ميمونة: لا آكل من شيء إلا شيء يأكل منه رسول الله ﷺ[٢].

فقوله: «فأكلوا منه الفضل وخالد بن الوليد والمرأة» دليل علىٰ جواز أكل المرأة مع الرجل الأجنبي عنها بحضرة زوجها أو محرمها.

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- قال: جاء أبو بكر بضيف له أو بأضياف له فأمسىٰ عند النبي ﷺ فلما جاء قالت أمي: ٱحتبست عن ضيفك أو أضيافك الليلة؟ قال: أَوَمَا عشّيتهم؟ فقالت: عرضنا عليه أو عليهم فأبوا أو فأبىٰ، فغضب أبو بكر فسب وجَدَّع[٣] وحلف لا يطعمه فاختبأت أنا فقال: يا غُنْثَر[٤] فحلفت المرأة لا تطعمه حتىٰ يطعمه، فحلف الضيف أو الأضياف أن لا يطعمه أو يطعموه حتىٰ يطعمه فقال أبو بكر: كأنَّ هٰذه من الشيطان، فدعا بالطعام فأكل وأكلوا فجعلوا لا يرفعون لقمة إلا رَبا[٥] من أسفلها أكثر منها فقال: يا أخت بني فراس ما هٰذا؟ فقالت: وقرة عيني إنها الآن لأكثر قبل أن نأكل فأكلوا وبعث بها إلىٰ النبي ﷺ فذكر أنه أكل منها[٦].

---

(١) الخوان: ما يجعل عليه الطعام.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٤٥ رقم ١٩٤٨) [٤٧].

(٣) وجدّع: أي دعا عليه بالجدع وهو قطع الأذن أو الأنف أو الشفة .

(٤) الغنثر: الثقيل الوخيم، وقيل: الجاهل وقيل: السفيه.

(٥) ربا: أي: زاد.

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٩٠ - ٩١ رقم ٦٠٢) (٦/ ٦٧٩ - ٦٨٠ رقم ٣٥٨١) (١٠/ ٥٥١ - ٥٥٢ رقم ٦١٤٠، ٦١٤١)، ومسلم (٣/ ١٦٢٧ - ١٦٣٠ رقم ٢٠٥٧) [١٧٦].

وفيه: أن أبا بكر ﷺ وزوجته وابنه أكلوا مع الأضياف.

عن أنس بن مالك قال: أمر أبو طلحة أم سليم أن تصنع للنَّبي ﷺ طعامًا لنفسه خاصة ثم أرسلتني إليه... فوضع النبي ﷺ يده وسمىٰ عليه ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم فدخلوا فقال: «كلوا وسموا الله» فأكلوا حتىٰ فعل ذلك بثمانين رجلًا ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سُؤْرًا[1]. وفي رواية: ثم أكل رسول الله ﷺ وأبو طلحة وأم سليم وأنس بن مالك وفضلت فضلة فأهديناه لجيراننا[2].

وفيه: أن أبا طلحة وزوجته أم سليم وأنس أكلوا مع النبي ﷺ، فدلَّ ذلك علىٰ جواز أكل المرأة مع الرجل الأجنبي عنها بحضرة زوجها أو محرمها.

قال الشيخ أبو نعمة الله الأنقروي:

وأمَّا أكله مع أم سليم فأجاز العلماء أن تأكل المرأةُ مع الأجنبي...، لأنَّ الوجه والكفين منها ليسا بعورةٍ فيباح نظرهما للأجنبي لغير لذة ولا لمداومة لتأمل المحاسن.

وجاء في «الموطأ»: سئل مالك: هل تأكل المرأة مع غير ذي محرم منها أو مع غلامها؟ فقال مالك: ليس بذلك بأس إذا كان ذلك علىٰ وجه ما يُعْرَفُ للمرأة أن تأكل معه من الرجال يعني: إذا كان علىٰ طريق متعارف بينهم، قال: وقد تأكل المرأة مع زوجها ومع غيره ممن يؤاكله، أو مع أخيها علىٰ مثل ذلك.

---

(١) سؤرًا: أي بقية من ذلك الطعام.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٦١٦ رقم ٤٢٢)، (٦/ ٦٧٨ - ٦٧٩ رقم ٣٥٧٨)، (٩/ ٤٣٧ رقم ٥٣٨١)، (١١ / ٥٧٩ رقم ٦٦٨٨)، ومسلم (٣/ ١٦١٢ - ١٦١٤ رقم ٢٠٤٠) [١٤٢].

تبادل الهدايا بين الرجال والنساء

إهداء الرجل للمرأة الأجنبية إذا أمنت الفتنة:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما غرت علىٰ آمرأة للنبي ﷺ ما غرت علىٰ خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني، لِمَا كنت أسمعه يذكرها وأمره الله أن يبشرها ببيت من قَصَب وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خَلَائِلها(١) منها ما يَسَعُهُن(٢)(٣).

ففيه: أن النبي ﷺ كان عندما يذبح شاة كان يهدي منها لصديقات خديجة -رضي الله عنها-، فدلَّ ذلك علىٰ جواز إهداء الرجل المرأة الأجنبية عنه عند أمن الفتنة.

إهداء المرأة للرجل الأجنبي عنها إذا أمنت الفتنة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما قدم المهاجرون المدينة من مكة وليس بأيديهم، يعني شيئًا، وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار فقاسمهم الأنصار علىٰ أن يعطوهم ثمار أموالهم كل عام ويكفوهم العمل والمَؤُنة(٤) . . . ، فكانت أعطت أم أنس رسول الله ﷺ عِذَاقا(٥)(٦).

ففيه: أن أمَّ أنس وهبت للنبي ﷺ تمر نخلها، فدلَّ ذلك علىٰ جواز إهداء المرأة للرجل الأجنبي عنها.

---

(١) خلائلها: جمع خليلة أي: صديقة.

(٢) ما يسعهن، أي: ما يكفيهن.

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ١٦٦ رقم ٣٨١٦، ٣٨١٧، ٣٨١٨) (٩/ ٢٣٧ رقم ٥٢٢٩)، (١٠/ ٤٤٩ - ٤٥٠ رقم ٦٠٠٤) (١٣ / ٤٦٢ رقم ٧٤٨٤)، ومسلم (٤/ ١٨٨٨ رقم ٢٤٣٥) [٧٤، ٧٥]، (٤/ ١٨٨٩ رقم ٢٤٣٥)، [٧٦].

(٤) ويكفوهم العمل والمؤنة، أي: العمل في البساتين من سقيها والقيام عليها.

(٥) العذق: النخلة والمراد أنها وهبت له ثمرها.

(٦) أخرجه البخاري (٥/ ٢٨٧ رقم ٢٦٣٠)، ومسلم (٣/ ١٣٩١-١٣٩٢ رقم ١٧٧١) [٧٠].

عن سهل بن سعد ﷺ قال: جاءت امرأة ببردة قال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم هي الشملة[١] منسوجه في حاشيتها، قالت: يا رسول الله إني نسجت هٰذه بيدي أكسُوكَها. فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها فخرج إلينا وإنها إزاره، فقال رجل من القوم: يا رسول الله اكْسُنِيها. فقال: «نعم» فجلس النبي ﷺ في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه فقال له القوم: ما أحسنت سألتها إياه لقد علمت أنه لا يرد سائلًا فقال الرجل: والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت، قال سهل: فكانت كفنه[٢].

ففيه: أن المرأة أهدت للنبي ﷺ ثوبًا يلبسه.

عن جابر: أن أم مالك كانت تهدي للنبي ﷺ في عُكَة[٣] لها سمنًا فيأتيها بنوها فيسألون الأُدْم وليس عندهم شيء فتعمد إلىٰ الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيه سمنًا، فما زال يقيم لها أُدْم بيتها حتىٰ عصرته، فأتت النبي ﷺ فقال: **«عصرتيها؟»** قالت: نعم. قال: **«لو تركتيها ما زال قائمًا[٤]»**.

ففيه: أن أم مالك رضي الله عنها كانت تهدي إلىٰ النبي ﷺ السمن.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أهدت أم حفيد خالة ابن عباس إلىٰ النبي ﷺ أَقِطًا[٥] وسمنًا وأَضُبًّا[٦] فأكل النبي ﷺ من الأقط والسمن وترك الأضب تقذرًا. قال ابن عباس: فَأُكِل علىٰ مائدة رسول الله ﷺ ولو كان حرامًا

---

(١) الشملة: كساء يتغطىٰ به ويتلفف .

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٧٠ - ١٧١ رقم ١٢٧٧) (٤/ ٣٧٣ رقم ٢٠٩٣)، (١٠/ ٢٨٧ رقم ٥٨١٠) (١٠/ ٤٧٠ - ٤٧١ رقم ٦٠٣٦).

(٣) عكة: إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالبًا والعسل

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٤ رقم ٢٢٨٠) [٨].

(٥) أقطا: الأقط اللبن المتحجر مثل الجُبن .

(٦) أضبا: جمع ضب وهو حيوان معروف .

ما أكل علىٰ مائدة رسول الله ﷺ[(١)].

وفيه: أن أم حفيد كانت تهدي إلىٰ النبي ﷺ الأقط- وهو اللبن المتحجر مثل الجبن- والسمن والضب، فكان ﷺ يأكل من الأقط والسمن ويترك الضب تقذرًا.

عن أنس بن مالك قال: تزوّج رسول الله ﷺ فدخل بأهله قال: فصنعت أمي أم سليم حيسًا[(٢)] فجعلته في تَوْرٍ[(٣)] فقالت: يا أنس ٱذهب بهٰذا إلىٰ رسول الله ﷺ فقل: بعثت بهٰذا إليك أمي وهي تقرئك السلام وتقول: إن هٰذا لك منا قليل يا رسول الله. قال: فذهبت بها إلىٰ رسول الله ﷺ فقلت: إن أمي تقرئك السلام وتقول: إن هٰذا لك منا قليل يا رسول الله[(٤)].

وفيه: أن أم سليم أهدت للنبي ﷺ تمرًا يدق مع أقط ويعجنان بالسمن.

عن أم الفضل بنت الحارث أن ناسًا ٱختلفوا عندها يوم عرفة في صوم النبي ﷺ فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف علىٰ بعيره فشربه[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٢٤٠ رقم ٢٥٧٥)، (٩/ ٤٤٠ - ٤٤١ رقم ٥٣٨٩) (٩/ ٤٥٥ رقم ٥٤٠٢)، (١٣/ ٣٤١ رقم ٧٣٥٨) ومسلم (٣/ ١٥٤٤ - ١٥٤٥ رقم ١٩٤٧) [٤٦].

(٢) الحيس: هو تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتىٰ يصير كالثريد .

(٣) تور أي: إناء.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٥١ - ١٠٥٢ رقم ١٤٢٨) [٩٤، ٩٥].

(٥) أخرجه البخاري (٣/ ٥٩٥ رقم ١٦٥٨)، (٣/ ٥٩٩ رقم ١٦٦١) (٤/ ٢٧٨ رقم ١٩٨٨)، (١٠/ ٧٢ رقم ٥٦٠٤) (١٠/ ٨٨ رقم ٥٦١٨) (١٠/ ١٠١ رقم ٥٦٣٦)، ومسلم (٢/ ٧٩١ رقم ١١٢٣) [١١٠، ١١١].

وفيه: أن أم الفضل بنت الحارث أهدت للنبي ﷺ قدحًا من لبن.

قال الحافظ ابن حجر:... وفي الحديث... قبول الهدية من المرأة.

سؤال الرجل المرأة الأجنبية عن حالها

قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً[(١)] مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ[(٢)] ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ[(٣)] قَالَ مَا خَطْبُكُمَا[(٤)] قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ[(٥)] وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾[(٦)].

فقد سأل موسىٰ عليه السلام المرأتين، فقال ما خطبكما: أي ما شأنكما لا تسقيان، فدلَّ ذلك علىٰ سؤال المرأة الأجنبية عن حالها لا سيما إن ٱستدعىٰ الحال ذلك.

عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخىٰ النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأىٰ أم الدرداء مُتَبَذِّلَة[(٧)] فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا[(٨)]

- وفيه أن سلمان رضي الله عنه سأل أم الدرداء عن حالها لما رآها تاركة ثياب الزينة.

قال ابن بطال[(٩)]:

وفيه: شكوى المرأة زوجها إلىٰ صديقه الملاطف ليأخذ علىٰ يده ويرده

---

(١) أمة: جماعة.

(٢) من دونهم: أي سواهم.

(٣) تذودان: تمنعان أغنامهما عن الماء

(٤) ما خطبكما: أي ما شأنكما لا تسقيان.

(٥) يصدر الرعاء: ينتهي الرعاء من سقيهم ويرجعون.

(٦) القصص ٢٣، ٢٤.

(٧) متبذلة: أي لابسة ثياب البذلة وهي المهنة والمراد أنها تاركة ثياب الزينة .

(٨) أخرجه البخاري (٤/ ٢٤٦ - ٢٤٧ رقم ١٩٦٨)، (١٠/ ٥٥٠ - ٥٥١ رقم ٦١٣٩).

(٩) «شرح البخاري» (٩/ ٣١٣).

عما يضر بأهله.

وعن أبي ذر قال: .. فبينا أهل مكة في ليلة قمراء[١] إضحيان[٢] إذ ضرب علىٰ أسمختهم[٣] فما يطوف بالبيت أحد وامرأتان منهم تدعوان إسافا ونائلة قال: فأتتا عليَّ في طوافهما فقلت: أنكحا أحدهما الأخرىٰ قال: فما تناهتا عن قولهما. قال: فأتتا عليَّ فقلتُ هَنٌ مثلُ الخشبة غير أنِّي لا أكني، فانطلقتا تولولان[٤] وتقولان: لو كان هاهنا أحد من أنفارنا[٥] قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان قال: «ما لكما»؛ قالتا: الصابئ[٦] بين الكعبة وأستارها، قال: **ما قال لكما؟** قالتا: إنه قال لنا كلمة تملأ الفم[٧][٨].

ففيه: أن النبي ﷺ وأبا بكر لما سمعا صوت هاتين المرأتين تصيحان بالويل والاستغاثة أسرعا إليهما وسألاهما عن شأنهما.

---

(١) قمراء: أي مقمرة.

(٢) إضحيان: أي مضيئة.

(٣) أسمختهم: المراد أصمختهم، جمع صمائخ، أي ضرب علىٰ آذانهم، يعني ناموا.

(٤) تولولان: الولولة صوت متتابع بالويل والاستغاثة، وقيل: هي حكاية صوت النائحة. النهاية (٥/ ٢٢٦).

(٥) من أنفارنا: أي من قومنا.

(٦) الصابئ: الذي خرج من دين إلىٰ غيره.

(٧) كلمة تملأ الفم: أي لا يمكن النطق بها؛ لبشاعتها.

(٨) أخرجه مسلم (٤/ ١٩١٩- ١٩٢٣ رقم ٢٤٧٣) [١٣٢].

تهنئة الرجل للمرأة العروس

عن الربيع بنت معوذ قالت: جاء ﷺ، فدخل حين بُني عليَّ فجلس علىٰ فراشي كمجلسك مني فجعلت جويرات لنا يضربن بالدُّفِّ ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفينا نبيٌّ يعلم ما في غد، فقال: **«دعي هٰذه وقولي الذي كنت تقولين»**[1].

وفيه: أن النبي ﷺ ذهب إلىٰ الربيع بنت معوذ ليلة زفافها؛ ليهنئها، فدلَّ ذلك علىٰ جواز تهنئة الرجل للمرأة العروس.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٣٦٧ رقم ٤٠٠١)، (٩/ ١٠٩ - ١١٠ رقم ٥١٤٧).

حديث المرأة مع الرجل في التليفون للحاجة

حديث المرأة مع الرجل في التليفون للحاجة جائز؛ إذ لا دليل صريح يمنع من ذلك، ولكن يلزمها أن لا تخضع بالقول ولا تتكلم إلا بالمعروف، ويكون كلامها بقدر الحاجة المطلوبة شرعًا.

أما إذا كان التليفون سيحدث جوًّا مشابهًا لجو الخلوة التي نهينا عنها شرعًا في قول النبي ﷺ: **«لا يخلون رجل بامرأة؛ فإن ثالثهما الشيطان»**. وكانت ستتمكن هي وهو من الحديث الذي قد يجرهما إلىٰ محرم فترك ذلك متعين، والله أعلم[١].

هل يجوز أن يقول الرجل هؤلاء النسوة أحبهن في الله لطاعتهن لله[٢]؟

إذا أمنت الفتنة[٣] جاز لما روي عن أنس ﷺ قال: رأىٰ النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين قال: حسبت أنه قال: من عرس -فقام النبي ﷺ مُمْثِلًا فقال: **«اللهم أنتم من أحبِّ الناس إليَّ»** قالها ثلاثَ مرارٍ[٤].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاءت امرأة من الأنصار إلىٰ رسول الله ﷺ ومعها صبي لها، فكلمها رسول الله ﷺ فقال: **«والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إليَّ»** مرتين[٥].

---

(١) «جامع أحكام النساء» ٤/ ٣٦٧.

(٢) قاله شيخنا مصطفىٰ العدوي في «جامع أحكام النساء».

(٣) قلت: وفي حالة عدم أمن الفتنة فلا يجوز.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٨٥، ٥١٨٠)، ومسلم (٢٥٠٨) [١٧٤]..

(٥) تقدم تخريجه.

الفصل الخامس

ويشتمل علىٰ مبحثين:

المبحث الأول: آداب مشتركة بين الرجل والمرأة عند التعامل.

المبحث الثاني: آداب تلتزم بها المرأة عند تعاملها مع الرجل.

المبحث الأول

آداب مشتركة بين الرجال والنساء عند التعامل

وهٰذه الآداب هي:

١ - الجدية في مجال اللقاء

قال تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: من الآية٣٢].

إن الآية تشير إلىٰ أن موضوع الحديث بين الرجال والنساء ينبغي أن يكون في حدود المعروف ولا يتضمن منكرًا، ولهذا قلنا (جدية اللقاء) فالجِدّ بين الرجال والنساء معروف أما اللهو واللعب فمنكر، ولا يتنافىٰ مع جدية المجال كلمة فيها تبسُّط ومثال ذلك:

عن أبي موسىٰ ﷺ قال:... ودخلت أسماء بنت عميس... علىٰ حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلىٰ النجاشي فيمن هاجر فدخل عمر علىٰ حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأىٰ أسماء: من هٰذه؟ قالت: أسماء بنت عميس. قال عمر: الحبشية هٰذه؟ البحرية هٰذه؟ قالت أسماء: نعم. قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم[(١)].

كذلك لا يتنافىٰ من جدية المجال أن يكون هناك بعض حديث فيه مؤانسة ومثال ذلك:

- عن مسروق قال: دخلنا علىٰ عائشة رضي الله عنها وعندها حسان بن ثابت ينشدها شعرًا يُشبب بأبيات له وقال:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثىٰ من لحوم الغوافل.

فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك. قال مسروق: فقلت لها: لم

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٣ رقم ٣١٣٦)، (٧/ ٢٢٧ رقم ٣٨٧٦)، (٧/ ٥٥٣- ٥٥٤ رقم ٤٢٣٠)، (٧/ ٥٥٧ رقم ٤٢٣٣)، ومسلم (٤/ ١٩٤٦- ١٩٤٧ رقم ٢٥٠٢ [١٦٩].

تأذني له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: من الآية١١]؟ فقالت: وأي عذاب أشد من العمىٰ؟ قالت له: إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله ﷺ(١).

٢- الجدية في التخاطب

قال تعالىٰ ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]

فلا يجوز للمرأة أن تتكلم بطريقة تكون فيها الإغراء والإثارة.

وليس معنىٰ عدم خضوعها بالقول أن تكون فظة وغليظة ولكنها تتكلم بكلمات تنم عن أدب وحسن خلق ولا تطمع فيها الرجال.

وكذلك الحال بالنسبة للرجل فهناك من يخضع بالقول من الرجال؛ فهناك مثلًا رجل يتصل بالهاتف فإذا وجد صديقه كلمه كلام رجل لرجل أما إذا كلمته امرأة في الهاتف إذا به يتأنث معها ويتخنث، ويخضع لها بالقول غاية الخضوع؛ كي يوقعها في شركه وحباله، وخفي عليه أن الله تعالىٰ محيط بما يعمل، عليم بما يصنع(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) يقول الأستاذ محمد رشيد العويد في «رسالة إلىٰ حواء» ص٣٩١-٣٩٤ تحت عنوان «لا تخضعن بالقول»: (هواتف الثرثرة)...

فكرة شيطانية أخرجتها للوجود الشركة البريطانية (بريتش تيليكوم) مع مجموعة شركات متعاقدة معها.

ما علىٰ المرء إلا أن يرفع السماعة ويطلب رقمًا معينًا ليجد علىٰ الطرف الآخر امرأة تتحدث أحاديث رخيصة.. أو أن ترفع المرأة السماعة لتستمع إلىٰ رجل يتحدث أحاديث رخيصة.

كل دقيقة تكلف ٣٨ بنسًا في أوقات ازدحام الخطوط أثناء النهار، و٢٥ بنسًا في الليل.

فراغ الشباب وإدمانه علىٰ كل شيء جعلا الإقبال علىٰ هٰذه الهواتف كبيرًا جدًا حتىٰ فوجئ الأهالي بفواتير الهواتف تتعدىٰ العشرة آلاف جنيه. =

= بعض المراهقين اضطروا إلىٰ ترك بيوتهم خشية غضب الأهل من الفواتير الضخمة... بعضهم انتحر... والحقيقة أن هٰذه الأحاديث لا تقتصر علىٰ المراهقين، بل تعدتهم لتشمل جميع شرائح الأعمار... من الأطفال إلىٰ العجائز والمتقاعدين..

امرأة في السبعين وجدت في الهاتف ضالتها، وحين جاءتها فاتورة الهاتف بعشرة آلاف جنيه رفضت دفعها، فاضطرت الشركة إلىٰ قطع الهاتف عن منزلها، لكن العجوز المدمنة صارت تتحدث من الهاتف العمومي في الشارع.

تفجرت القضية في المجتمع، فأعلنت شركة الهواتف البريطانية وقف هذه الهواتف، لكن الشركة المتعاقدة معها رفعت دعوىٰ ضدها، فالأرباح المالية كبيرة، وشركة (بريتش تيليكوم) تأخذ ٢٠ بنسًا عن كل دقيقة وتترك الباقي للشركات التي تصل أرباحها إلىٰ ملايين الجنيهات.

أليس فسادًا عظيمًا؟ أليس أشبه بالسوس ينخر في بنيان المجتمع حتىٰ يهدمه من أساساته؟

وهل هناك مجتمع فيه وقاية من هٰذا السوس؟ هل هناك مجتمع تحرم قوانينه أمثال هٰذا الخضوع في الأحاديث... في الهاتف وغير الهاتف؟

وهل يكون هٰذا المجتمع غير الإسلامي الفريد؟

لقد أنزل الله تعالىٰ علىٰ رسوله الكريم ﷺ آية في سورة الأحزاب يخاطب فيها أمهات المؤمنين رضوان الله تعالىٰ عليهن ناهيًا لهن عن الخضوع في القول: يقول تعالىٰ: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

يقول صاحب الظلال رحمه الله: ينهاهن حين يخاطبن الأغراب من الرجال أن يكون في نبراتهن ذلك الخضوع اللين الذي يثير شهوات الرجال، ويحرك غرائزهم، ويطمع مرضىٰ القلوب ويهيج رغائبهم!

ومن هن اللواتي يحذرهن الله هٰذا التحذير؟ إنهن أزواج النبي ﷺ وأمهات المؤمنين، اللواتي لا يطمع فيهن طامع، ولا يرف عليهن خاطر مريض، فيما يبدو للعقل أول مرة.

وفي أي عهد يكون هٰذا التحذير؟ في عهد النبي ﷺ وعهد الصفوة المختارة من البشرية في جميع الأعصار. =

= ولكن الله الذي خلق الرجال والنساء يعلم أن في صوت المرأة حين تخضع بالقول، وتترق في اللفظ ما يثير الطمع في قلوب، ويهيج الفتنة في قلوب، وأن القلوب المريضة التي تثار وتطمع موجودة في كل عهد، وفي كل بيئة وتجاه كل امرأة، ولو كانت هي زوج النبي الكريم، وأم المؤمنين، وأنه لا طهارة من الدنس، ولا تخلص من الرجس، حتى تمتنع الأسباب المثيرة من الأساس.

فكيف بهٰذا المجتمع الذي نعيش فيه، في عصرنا المريض الدنس الهابط، الذي تهيج فيه الفتن، وتثور فيه الشهوات، وترف فيه الأطماع؟ كيف بنا في هٰذا الجو الذي كل شيء فيه يثير الفتنة، ويهيج الشهوة وينبه الغريزة، ويوقظ السعار الجنسي المحموم؟ كيف بنا في هٰذا المجتمع، في هٰذا العصر، في هٰذا الجو ونساء يتخنثن في نبراتهن، ويتميعن في أصواتهن، ويجمعن كل فتنة الأنثىٰ وكل هتاف الجنس وكل سعار الشهوة، ثم يطلقنه في نبرات ونغمات؟! وأين هن من الطهارة؟ وكيف يمكن أن يرف الطهر في هٰذا الجو الملوث، وهن بذواتهن وحركاتهن وأصواتهن ذلك الرجس الذي يريد الله أن يذهبه عن عباده المختارين؟!

﴿وقلن قولًا معروفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]

نهاهن من قبل عن النبرة اللينة واللهجة الخاضعة، وأمرهن في هٰذه أن يكون حديثهن في أمور معروفة غير منكرة، فإن موضوع الحديث قد يطمع مثل لهجة الحديث، فلا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لين ولا إيماء، ولا هذر ولا هزل، ولا دعابة ولا مزاح، كي لا يكون مدخلًا إلىٰ شيء آخر وراءه من قريب أو من بعيد.

والله سبحانه الخالق العليم بخلقه وطبيعة تكوينهم هو الذي يقول هٰذا الكلام لأمهات المؤمنين الطاهرات، كي يراعينه في خطاب أهل زمانهن خير الأزمنة علىٰ الإطلاق.

فتأملي، أختي المسلمة صورتَي هٰذين المجتمعين، الصورة الأولىٰ صورة المجتمع البريطاني الذي انتشرت فيه ثرثرة الهواتف الفاسدة أعظم فساد، وصورة المجتمع الإسلامي الذي تختفي فيه هٰذه الثرثرة... بل ما هو أقل منها بكثير.

والآن، كيف تفعلين لتعملي بهٰذه الآية الكريمة؟

١- حاولي ألا تردي علي الهاتف أو تفتحي باب البيت إذا كان فيه زوجك أو أخوك أو ابنك... أو أحد أطفالك، دعي أحد هؤلاء يفتح الباب أو يرد علىٰ الهاتف.

٢- إذا اضطررت إلىٰ الرد لغياب محارمك عن البيت فاختصري الكلام ما استطعت ولا تليني في حديثك أو ترققيه.

٣ - الغض من البصر

قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [سورة النور: ٣٠-٣١].

قال ابن العربي: «يغضوا يعني: يكفوا عن الاسترسال من أبصارهم» أدخل حرف (من) المقتضية للتبعيض».

وقال عياض: غض البصر يجب علىٰ كل حال في أمور العورات وأشباهها، ويجب مرة علىٰ حال دون حال فيما ليس بعورة.

وقال ابن عبد البر: وجائز أن ينظر إلىٰ ذلك منها (أي الوجه والكفين) كل من نظر إليها بغير ريبة ولا مكروه، وأما النظر للشهوة فحرام تأملها من فوق ثيابها لشهوة فكيف بالنظر إلىٰ وجهها مسفرة.

وقال ابن دقيق العيد: (... إن لفظة (من) للتبعيض، ولا خلاف أنها - أي المرأة - إذا خافت الفتنة حرم عليها النظر، فإذن هٰذه حالة - أي حالة الفتنة - يجب فيها الغض، فيمكن حمل الآية عليها، ولا تدل الآية حينئذ علىٰ وجوب الغض مطلقًا أو في غير هٰذه الحالة).

وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[غافر: ١٩].

قال الحافظ ابن حجر: (... وعند أبي حاتم من طريق ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ قال: هو الرجل ينظر إلىٰ المرأة الحسناء تمر به ويدخل بيتًا هي فيه فإذا فطن له غض بصره... ومن طريق مجاهد وقتادة نحوه، وكأنهم أرادوا أن هٰذا من جملة خائنة الأعين، وقال الكرماني: معنىٰ ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ أن الله يعلم النظرة المسترقة إلىٰ ما لا يحل.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**إياكم والجلوس بالطرقات**» فقالوا يا رسول الله: ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. فقال: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**»، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غض**

البصر، وكف الأذىٰ، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»(١).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَرْدَفَ النبي ﷺ الفضل بن عباس يوم النحر خلفه علىٰ عَجُز راحلته، وكان الفضل رجلًا وضيئًا، فوقف النبي ﷺ للناس يفتيهم، وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة تستفتي رسول الله ﷺ فطفق الفضل ينظر إليها، وأعجبه حسنها، فالتفت النبي ﷺ والفضل ينظر إليه فأخلف بيده فأخذ بذقن الفضل، فعدل وجهه عن النظر إليها(٢).

عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ، قال: **«إن الله كتب علىٰ ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق، والنفس تَمَنَّىٰ وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كلَّه أو يكذبه»**(٣).

عن جرير بن عبد الله قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفُجاءة فأمرني أن أصرف بصري(٤).

قال الحافظ ابن حجر: قال ابن بطال: في الحديث الأمر بغض البصر خشية الفتنة، ومقتضاه أنه إذا أمنت الفتنة لم يمتنع...، ويؤيده أنه ﷺ لم يحول وجه الفضل حتىٰ أدمن النظر إليها؛ لإعجابه بها فخشي الفتنة عليه... وفيه مغالبة طباع البشر لابن آدم وضعفه عما ركب فيه من الميل إلىٰ النساء والإعجاب بهن... وفيه دليل علىٰ أن قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] علىٰ الوجوب في غير الوجه.

عن عائشة قالت:... وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدَّرَق

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (١٥١٣، ١٨٥٤، ١٨٥٥، ٤٣٩٩، ٦٢٢٨)، ومسلم (٢/ ٩٧٣ رقم١٣٣٤) [٤٠٧].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

والحراب، فإما سألت النبي ﷺ وإما قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم. فأقامني وراءه، وفي رواية: يسترني بردائه[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: يسترني بردائه) يدل علىٰ أن ذلك كان بعد نزول الحجاب، ويدل علىٰ جواز نظر المرأة إلىٰ الرجل.

٤- التمييز بين النساء والرجال واجتناب المزاحمة:

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ومكث يسيرًا قبل أن يقوم، قال ابن شهاب: فأرىٰ -والله أعلم- أن مكثه لكي ينفذ النساء قبل أن يدركهن من ٱنصرف من القوم[(٢)].

فالأدب المطلوب هو التمييز بين الرجال والنساء واجتناب المزاحمة سواء بتخصيص حيز للنساء في جانب من جوانب مكان الاجتماع أو بعمل أي ترتيب آخر يصون من المزاحمة، أي تقارب الأبدان والتقاء الأنفاس، وفي هٰذا المعنىٰ يقول الإمام السرخسي: وكذلك لا تستلم المرأة الحجر (الأسود) إذا كان هناك جمع؛ لأنها ممنوعة عن مماسة الرجال والزحمة معهم، فلا تستلم الحجر إلا إذا وجدت ذلك الموضع خاليًا من الرجال.

٥- ٱجتناب الخلوة

عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**»[(٣)].

قال الحافظ: فيه منع الخلوة بالأجنبية وهو إجماع.

وهناك حالات تستثنىٰ من الخلوة المحرمة وهي:

أ - أن تقتضي الضرورة ذلك:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٣٧٥ رقم ٨٣٧)، (٢/ ٣٨٩ رقم ٨٤٩)، (٢/ ٤٠٦ رقم٨٦٦)، (٢/ ٤٠٨ رقم ٨٧٠).

(٣) تقدم تخريجه.

ومثال ذلك أن يجد رجل ٱمرأةً أجنبية عنه منقطعة في الطريق أو نحو ذلك فيباح له ٱستصحابها بل يلزمه ذلك إذا خاف عليها لو تركها.

أو أن يختبئ رجل عند ٱمرأة في بيتها؛ خوفًا من أُناس يريدون قتله.

ب - وقوف الرجل مع المرأة الأجنبية عنه في طريق مسلوك؛ ليقضي حاجتها أو يفتيها أو يشير عليها بما هو أصلح لا يعد ذلك من الخلوة المحرمة.

ج - خلوة الرجلين والثلاثة إذا كانوا معروفين بالصلاح بالمرأة لا يعد ذلك أيضًا من الخلوة المحرمة.

د - خلوة الرجل بمجموعة من النساء الثقات لا يعد أيضًا من الخلوة المحرمة.

وقد فصلنا ذلك بأدلته في مبحث علاقة الرجل بالمرأة من حيث الخلوة.

٦ - ٱجتناب اللقاء الطويل المتكرر

ومن أمثلته العمل المهني اليومي الذي من شأنه أن يجتمع الرجال والنساء في مكان واحد طول مدة العمل رغم ٱنفراد كل منهم بعمل.

وهٰذا الأدب وإن لم يكن منصوصًا عليه لكنه مما تجب مراعاته؛ لأنه يصعب في مثل هٰذا اللقاء تحقيق كثير من الآداب كالغض من البصر واستمرار الجدية في التخاطب والوقار في الحركة، فهو في غالب الأحيان يضعف درجة الٱحتشام والرصانة الواجب توافرها عند الرجال والنساء جميعًا وقت اللقاء، وعلىٰ ذلك - وتطبيقًا لقاعدة سد الذريعة - نرىٰ ٱجتناب هٰذا النوع من اللقاء، اللهم إلا إذا كانت طبيعة العمل تقتضي اللقاء المتكرر- للتعاون وتبادل الرأي أو لغير ذلك من المصالح - فلا حرج مع الحذر، ما دامت هناك حاجة ماسة، ثم إن العمل الجاد غالبًا ما يشغل العقول والقلوب، ويعين علىٰ الٱحتفاظ بالاحتشام[١].

---

(١) «تحرير المرأة في عصر الرسالة» (٢/ ٨٦-٩٨).

٧ - اجتناب ظاهر الإثم وباطنه

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام: ١٢٠].

ومن ظاهر الإثم التقصير في تطبيق آداب اللقاء، ومن باطن الإثم الاشتهاء والاستمتاع بالحرام والتطلع إلىٰ المزيد منه[١].

٨ - اجتناب مواطن الريبة

فلا يقف رجل مع امرأة أجنبية عنه في مكان يثير الشبه حولهما كأن يكون الوقت ليلًا والمكان لا يمر به ناس.

(١) المرجع السابق.

المبحث الثاني

آداب تلتزم بها المرأة عند تعاملها مع الرجل الأجنبي عنها

١ - الْالتزام بالحجاب:

قال تعالىٰ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[الأحزاب: الآية ٣٣].

٢- اجتناب الطيب:

عن زينب امرأة عبد الله قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: **«إذا شهدت إحداكن المسجدَ فلَا تمسَّ طيبًا»**(١).

٣ - عدم الخضوع بالقول.

لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

فهناك أقوام في قلوبهم مرض كما أخبرنا ربنا ﷻ، وهؤلاء الذين في قلوبهم مرض إذا خضعت لهم المرأة بالقول ظنوا بها سوء الظن، ظنوا أنها تريد منهم المواعدة، ظنوا أنها تريد منهم الفاحشة.

٤ - الوقار في الحركة:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقرِ يَضرِبونَ بها الناسَ، ونساء كاسيات**

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٢٨ رقم٤٤٣) [١٤١، ١٤٢].

عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت[(١)] المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[(٢)].

ما العمل عند غياب بعض آداب المشاركة واللقاء؟

إن آداب المشاركة واللقاء التي مرَّ ذكرها ينبغي أن يتحرَّاها المسلم والمسلمة يلتزما بها، ولكن ما الموقف الواجب عند تخلف تلك الآداب أو بعضها في مجال من المجالات؟

إنه بقدر تخلف الآداب يكون فساد ويكون الحرج الذي ينبغي أن يستشعره المسلم والمسلمة عند إقدامه علىٰ المشاركة واللقاء، وعلىٰ المسلم عند تخلف بعض الآداب أن يزن المصالح المرجوة والمفاسد المحتملة، وينظر أيهما أرجح ويختار المشاركة عند رجحان المصلحة والاعتزال عند رجحان المفسدة، هٰذا علىٰ وجه الإجمال وفيما يأتي بعض التفصيل، وعلىٰ المسلم أن ينظر في كل حال من الأحوال بإمعان:

أ - إذا كان هناك حرج علىٰ المسلم في تجنب مجال اللقاء - حرج عليه في معاشه أو في قضاء مصالحه أو حرج أدبي - فعلىٰ المسلم والمسلمة قبول الأمر الواقع بالقدر الضروري الذي يرفع الحرج فحسب، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ [الحج: ٧٨].

ب - إذا كانت مشاركة المسلم (أو المسلمة) تنمي خيرًا أو تكفُّ شرًا، كأن يكون بحضوره آمرًا بمعروف ناهيًا عن منكر مانعًا بعض الشرور، أو مقدمًا علمًا لقوم يجهلون، أو يكون مجرد حضور بشخصيته المعروفة بالصلاح دافعًا القوم إلىٰ ٱجتناب بعض المخالفات.

---

(١) كأسنمة البخت: أسنمة جمع سنام وهي كتلة من الشحم محدبة علىٰ ظهر البعير والناقة والبُخْت: الإبل.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٨٠ رقم ٢١٢٨) [١٢٥]، (٤/ ٢١٩٢ رقم٢١٢٨) [١٢٥].

فعلىٰ المسلم والمسلمة في هٰذه الحال الإقدام علىٰ المشاركة متوكلين علىٰ الله مستعينين به عاقدين العزم علىٰ بذل الجهد لعمل بعض الصالحات، وهٰذا الإقدام يتأكد إذا كان التفريط في الآداب هو ديدن الناس في مجتمع ما ولا سبيل إلىٰ إرشادهم إلا من خلال مشاركتهم في مجالات لقائهم.

ج - أما إذا خاف المرء علىٰ نفسه الفتنة أو الوقوع في أمر محظور، أو كان في المقاطعة زجر للمخالفين للآداب الشرعية - والمقاطعة الزاجرة هي التي تؤدي إلىٰ مراجعة النفس ولومها علىٰ المخالفة - فعندها يجب علىٰ المسلم والمسلمة مقاطعة مجال اللقاء.

د - قد يقع بعض المسلمين أحيانًا في مخالفة لأدب من آداب اللقاء - قد تصل إلىٰ الخلوة بأجنبية - عن جهل أو عن ضرورة أو حاجة ملجئة، وعندها ينبغي علىٰ المؤمنين أن يحذروا سوء الظن بإخوانهم وليتقوا الله ويحفظوا ألسنتهم من قول السوء وليتجنبوا القذف بالباطل، ولهم في حديث الإفك عظة وعبرة وصدق الله العظيم: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور: ١٥، ١٦].

وصدق رسوله الكريم: «كفىٰ بالمرء إثمًا أن يحدث بكل ما سمع».

هـ- ويشبه القذف بالباطل التعريض بالدوافع الشخصية واتهام الناس بناء علىٰ مجرد تخرصات، وذلك عند تقصير بعض المسلمين في رعاية آداب اللقاء، والواجب في عامة الأحوال الوقوف عند الظاهر والإنكار علىٰ المقصرين تقصيرهم، ودعوتهم إلىٰ التمسك بالآداب الشرعية، والله يتولىٰ السرائر.

هٰذا ولا يفوتنا في الوقت نفسه أن ننبه المسلمين الواقعين في المخالفة أن يربَؤوا بأنفسهم ويتجنبوا -ما وسعهم الجهد- الوقوف في مواقف التهم[١].

---

(١) «تحرير المرأة في عصر الرسالة» (٦/ ١٠١).

ومما لا شك فيه أنه يتبين لنا من هٰذا المبحث أن العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام وسط بين طرفي الإفراط والتفريط.

فالاختلاط الذي يؤدي إلىٰ الفساد والتحلل من القيم فهٰذا محرم في الإسلام.

وكذلك القول بالمنع بين الرجال والنساء تمامًا قول مخالف لهدي الإسلام بل هناك تعامل ومشاركة في الخير مع مراعاة الآداب التي ذكرناها.

وقد وجدت كلامًا نفيسًا للدكتور القرضاوي -حفظه الله- في ذلك ولوجاهته أحببت أن أذكره للقارئ.

يقول الدكتور القرضاوي[1]:

مشكلتنا -كما ذكرت وأذكر دائمًا- أننا في أكثر القضايا الاجتماعية والفكرية، نقف بين طرفي الإفراط والتفريط، وقلما نهتدي إلىٰ (التوسط) الذي يمثل إحدىٰ الخصائص العامة والبارزة لمنهج الإسلام ولأمة الإسلام.

وهٰذا أوضح ما يكون في قضيتنا هٰذه وقضايا المرأة المسلمة المعاصرة بصفة عامة.

فقد ظلم المرأة صنفان من الناس متقابلان بل متناقضان:

١ - صنف المستغربين الذين يريدون أن يفرضوا عليها التقاليد الغربية، بما فيها من فساد وتحلل من القيم - وأعظمها الدين - وانحراف عن سواء الفطرة، وبعد عن الصراط المستقيم، الذي بعث الله الرسل، وأنزل الكتب لبيانه، ودعوة الناس إليه.

وهم يريدون من المرأة المسلمة أن تتبع سنن المرأة الغربية، «شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع». كما صوَّر الحديث النبوي: حتىٰ لو دخلت جحر ضب لدخلته وراءها، علىٰ ما في جحر الضب من الالتواء والضيق، وسوء

(١) «فتاوىٰ معاصرة» (٢/ ٢٧٨-٢٨٦).

الرائحة، ومع هٰذا لو دخلته المرأة الغربية لدخلته المرأة المسلمة بعدها، أو بعبارة أخرىٰ: لظهرت (مودة) جديدة يروج لها المروجون تسمىٰ (مودة جحر الضب) !

وهٰؤلاء يغفلون ما تشكو منه المرأة الغربية اليوم، وما جرَّ عليها الاختلاط (المفتوح) من سوء العاقبة علىٰ المرأة وعلىٰ الرجل، وعلىٰ الأسرة، وعلىٰ المجتمع كله، ويسدون آذانهم عن صيحات الاستنكار التي تجاوبت بها الآفاق في داخل العالم الغربي نفسه، وعن كتابات العلماء والأدباء، ومخاوف المفكرين والمصلحين علىٰ الحضارة كلها من جراء إلغاء القيود في الاختلاط بين الجنسين.

كما ينسىٰ هٰؤلاء أن لكل أمة شخصيتها التي تكونها عقائدها وتصورها للكون والحياة والوجود ورب الوجود، وقيمها وتراثها وتقاليدها، ولا يجوز أن يغدو مجتمع صورة مكررة من مجتمع آخر.

٢- والصنف الثاني هم الذين يفرضون علىٰ المرأة تقاليد أخرىٰ، ولكنها تقاليد الشرق لا تقاليد الغرب، وإن صبغت في كثير من الأحيان بصبغة الدين، ونسبها من نسبها إلىٰ ساحته، بناء علىٰ فهم فهمه، أو رأي قلده، أو رجحه؛ لأنه يوافق رأيه في المرأة، وسوء ظنه بها، بدينها وبعقلها وسلوكها.

ولكنه علىٰ أية حال لا يخرج عن كونه رأيًا لبشر غير معصوم، متأثر بمكانه وزمانه، وشيوخه ومدرسته، تعارضه آراء أخرىٰ، تستمد حجيتها من صريح القرآن العظيم، ومن هدي النبي الكريم، ومن مواقف الصحابة وخير القرون.

وأود أن أبادر هنا فأقول: إن كلمة (الاختلاط) في مجال العلاقة بين الرجل والمرأة، كلمة دخيلة علىٰ (المعجم الإسلامي) لم يعرفها تراثنا الطويل العريض طوال القرون الماضية، ولم تعرف إلا في هٰذا العصر، ولعلها ترجمة لكلمة (أجنبية) في هٰذا المعنىٰ، ومدلولها له إيحاء غير مريح بالنظر لحس الإنسان المسلم.

وربَّما كان أولىٰ منها كلمة (لقاء) أو (مقابلة) أو (مشاركة) الرجال للنساء، ونحو ذلك.

وعلىٰ كل حال، فإنَّ الإسلام لا يصدر حكمًا عامًا في مثل هٰذا الموضوع، وإنَّما ينظر فيه علىٰ ضوء الهدف منه، أي المصلحة التي يحققها، والضرر الذي يخشىٰ منه، والصورة التي يتم بها، والشروط التي تراعىٰ فيه.. إلخ.

وخير الهدي في ذلك هدي محمد ﷺ وهدي خلفائه الراشدين، وأصحابه المهديين.

والناظر في هٰذا الهدي يرىٰ أن المرأة لم تكن مسجونة ولا معزولة كما حدث ذلك في عصور تخلف المسلمين.

فقد كانت المرأة تشهد الجماعة والجمعة، في مسجد رسول الله ﷺ، وكان عليه الصلاة والسلام يحثهن علىٰ أن يتخذن مكانهن في الصفوف الأخيرة خلف صفوف الرجال، وكلَّما كان الصف أقرب إلىٰ المؤخر؛ كان أفضل، خشية أن يظهر من عورات الرجال شيء، وكان أكثرهم لا يعرفون السراويل، ولم يكن بين الرجال والنساء أي حائل من بناء أو خشب أو نسيج؛ أو غيره..

وكانوا في أول الأمر يدخل الرجال والنساء من أي باب ٱتفق لهم، فيحدث نوع من التزاحم عند الدخول والخروج، فقال عليه السلام: «لو أنكم جعلتم هٰذا الباب للنساء». فخصصوه بعد ذلك لهن، وصار يعرف إلىٰ اليوم باسم (باب النساء).

وكان النساء في عصر النبوة يحضرن الجمعة، ويسمعن الخطبة، حتىٰ إن إحداهن حفظت سورة «ق» من في رسول الله ﷺ من طول ما سمعتها من فوق منبر الجمعة.

وكان النساء يحضرن كذلك صلاة العيدين، ويشاركن في هٰذا المهرجان الإسلامي الكبير، الذي يضم الكبار والصغار، والرجال والنساء، في الخلاء

مهللين مكبرين.

روىٰ مسلم: عن أم عطية قالت: «كنا نؤمر بالخروج في العيدين والمخبأة والبكر».

وفي رواية قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحىٰ: العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب، قال: «لتلبسها أختها من جلبابها».

وهٰذه سنة أماتها المسلمون في جلِّ البلدان أو في كلِّها، إلا ما قام به مؤخرًا شباب الصحوة الإسلامية الذي أحيوا بعض ما مات من السنن، مثل سنة الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، وسنة شهود النساء صلاة العيد.

وكان النساء يحضرن دروس العلم، مع الرجال عند النبي ﷺ، ويسألن عن أمر دينهن مما قد يستحي منه الكثيرات اليوم، حتىٰ أثنت عائشة علىٰ نساء الأنصار، أنهن لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين، فطالما سألن عن الجنابة والاحتلام والاغتسال والحيض والاستحاضة ونحوها.

ولم يشبع ذلك نهمهن لمزاحمة الرجال واستئثارهم برسول الله ﷺ، فطلبن أن يجعل لهن يومًا يكون لهن خاصة، لا يغالبهن الرجال ولا يزاحمونهن وقلن في ذلك صراحة: «يا رسول الله، قد غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك» فوعدهن يومًا، فلقيهن فيه ووعظهن وأمرهن.

وتجاوز هٰذا النشاط النسائي إلىٰ المشاركة في المجهود الحربي في خدمة الجيش والمجاهدين، بما يقدرن عليه ويُحْسِنَّ القيام به، من التمريض والإسعاف ورعاية الجرحىٰ والمصابين، بجوار الخدمات الأخرىٰ من الطهي والسقي وإعداد ما يحتاج إليه المجاهدون من أشياء مدنية.

عن أم عطية قالت: «غزوت مع رسول الله ﷺ، سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحىٰ، وأقوم علىٰ المرضىٰ».

رواه مسلم.

وروىٰ مسلم عن أنس: «أن عائشة وأم سليم، كانتا في يوم أحد مشمرتين، تنقلان القرب علىٰ متونهما - ظهورهما - ثم تفرغانها في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها». ووجود عائشة هنا - وهي في العقد الثاني من عمرها - يرد علىٰ الذين ٱدعوا أن الاشتراك في الغزوات والمعارك كان مقصورًا علىٰ العجائز والمتقدمات في السن، فهٰذا غير مسلم، وماذا تغني العجائز في مثل هٰذه المواقف التي تتطلب القدرة البدنية والنفسية معًا؟

وروىٰ الإمام أحمد: أن ست نسوة من نساء المؤمنين كن مع الجيش الذي حاصر خيبر، يتناولن السهام، ويسقين السويق، ويداوين الجرحىٰ، ويغزلن الشعر، ويعن في سبيل الله، وقد أعطاهن النبي ﷺ نصيبًا من الغنيمة.

بل صح أن نساء بعض الصحابة شاركن في بعض الغزوات والمعارك الإسلامية بحمل السلاح، عندما أتيحت لهن الفرصة، ومعروف ما قامت به أم عمارة نسيبة بنت كعب يوم أحد، حتىٰ قال عنها ﷺ: «**لمقامها خير من مقام فلان وفلان**».

وكذلك ٱتخذت أم سليم خنجرًا يوم حنين، تبقر به بطن من يقترب منها.

وروىٰ مسلم عن أنس ابنها: أن أم سليم ٱتخذت يوم حنين خنجرًا، فكان معها، فرآها أبو طلحة -زوجها- فقال: يا رسول الله، هٰذه أم سليم معها خنجر! فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما هٰذا الخنجر**»؟ قالت: ٱتخذته، إن دنا مني أحد المشركين بقرت به بطنه! فجعل رسول الله ﷺ يضحك.

وقد عقد البخاري بابًا في صحيحه في غزو النساء وقتالهن.

ولم يقف طموح المرأة المسلمة في عهد النبوة والصحابة للمشاركة في الغزو عند المعارك المجاورة والقريبة في الأرض العربية كخيبر وحنين، بل طمحن إلىٰ ركوب البحار، والإسهام في فتح الأقطار البعيدة لإبلاغها رسالة الإسلام.

ففي صحيح البخاري ومسلم عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال عند أم حرام بنت ملحان -خالة أنس- يومًا، ثم استيقظ وهو يضحك، فقالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «**ناس من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هٰذا البحر، ملوكًا علىٰ الأسرة، أو مثل الملوك علىٰ الأسرة**»، قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها.. فركبت أم حرام البحر في زمن عثمان، مع زوجها عبادة بن الصامت إلىٰ قبرص، فصرعت عن دابتها هناك، فتوفيت ودفنت هناك، كما ذكر أهل السير والتاريخ.

في الحياة الاجتماعية شاركت المرأة داعية إلىٰ الخير، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

ومن الوقائع المشهورة ردّ إحدىٰ المسلمات علىٰ عمر في المسجد في قضية المهور، ورجوعه إلىٰ رأيها علنًا، وقوله: أصابت المرأة وأخطأ عمر، وقد ذكرها ابن كثير في تفسير سورة النساء، وقال: إسنادها جيد.

وقد عيَّن عمر في خلافته الشفاء بنت عبد الله العدوية محتسبة علىٰ السوق، والمتأمل في القرآن الكريم وحديثه عن المرأة في مختلف العصور، وفي حياة الرسل والأنبياء لا يشعر بهٰذا الستار الحديدي الذي وضعه بعض الناس بين الرجل والمرأة.

فنجد موسىٰ -وهو في ريعان شبابه وقوته- يحادث الفتاتين ابنتي الشيخ الكبير، ويسألهما وتجيبانه بلا تأثم ولا حرج، ويعاونهما في شهامة ومروءة، وتأتيه إحداهما بعد ذلك مرسلة من أبيها تدعوه أن يذهب معها إلىٰ والدها، ثم تقترح إحداهما علىٰ أبيها بعد ذلك أن يستخدمه عنده ؛ لما لمست فيه من قوة وأمانة.

لنقرأ في ذلك ما جاء في سورة القصص: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ

أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٣: ٢٦].

وفي قضية مريم نجد زكريا يدخل عليها المحراب، ويسألها عن الرزق الذي يجده عندها: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وفي قصة ملكة سبأ نراها تجمع قومها تستشيرهم في أمر سليمان: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةًۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل: ٣٢: ٣٤].

وكذلك تحدثت مع سليمان عليه السلام وتحدث معها: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٢: ٤٤].

ولا يقال: إن هٰذا شرع من قبلنا فلا يلزمنا ؛ فإن القرآن لم يذكره لنا إلا لأن فيه هداية وذكرىٰ وعبرة لأولي الألباب، ولهٰذا كان القول الصحيح: أن شرع مَنْ قبلنا المذكور في القرآن والسنة هو شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه، وقد قال الله تعالىٰ لرسوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

إن إمساك المرأة في البيت، وإبقاءها بين جدرانه الأربعة لا تخرج منه

ٱعتبره القرآن - في مرحلة من مراحل تدرج التشريع قبل النص علىٰ حد الزنىٰ المعروف - عقوبة بالغة لمن ترتكب الفاحشة من نساء المسلمين، وفي هٰذا يقول تعالىٰ في سورة النساء: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾﴾ [النساء: ١٥].

وقد جعل الله لهنَّ سبيلًا بعد ذلك حينما شرع الحد، وهو العقوبة المقدرة في الشرع حقًّا لله تعالىٰ، وهي الجلد الذي جاء به القرآن لغير المحصن، والرجم الذي جاءت به السنة للمحصن.

فكيف يستقيم في منطق القرآن والإسلام أن يجعل الحبس في البيت صفة ملازمة للمسلمة الملتزمة المحتشمة، كأننا بهٰذا نعاقبها عقوبة دائمة وهي لم تقترف إثمًا؟

والخلاصة:

أن اللقاء بين الرجال والنساء في ذاته إذن ليس محرمًا، بل هو جائز أو مطلوب إذا كان القصد منه المشاركة في هدف نبيل، من علم نافع أو عمل صالح، أو مشروع خير، أو جهاد لازم، أو غير ذلك مما يتطلب جهودًا متضافرة من الجنسين، ويتطلب تعاونًا مشتركًا بينهما في التخطيط والتوجيه والتنفيذ.

ولا يعني ذلك أن تذوب الحدود بينهما، وتنسىٰ القيود الشرعية الضابطة لكل لقاء بين الطرفين، ويزعم قوم أنهم ملائكة مطهرون لا يخشىٰ منهم ولا عليهم، يريدون أن ينقلوا مجتمع الغرب إلينا، إنما الواجب في ذلك هو الاشتراك في الخير، والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، في إطار الحدود التي رسمها الإسلام، ومنها:

١ - الالتزام بغض البصر من الفريقين، فلا ينظر إلىٰ عورة، ولا تنظر إلىٰ عورة، ولا ينظر بشهوة، ولا يطيل النظر في غير حاجة، قال تعالىٰ: ﴿قُل

لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾.

٢ - الٱلتزام من جانب المرأة باللباس الشرعي المحتشم، الذي يغطي البدن ما عدا الوجه والكفين، ولا يشف ولا يصف، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وقد صح عن عدد من الصحابة أن ما ظهر من الزينة هو الوجه والكفان؟.

وقال تعالىٰ: في تعليل الأمر بالاحتشام: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾. أي أن هٰذا الزي يميز المرأة الحرة العفيفة الجادة من المرأة اللعوب المستهترة، فلا يتعرض أحد للعفيفة بأذىٰ، لأن زيها وأدبها يفرض علىٰ كل من يراها ٱحترامها.

٣ - الٱلتزام بآداب المسلمة في كل شيء، وخصوصًا في التعامل مع الرجال:

أ - في الكلام، بحيث يكون بعيدًا عن الإغراء والإثارة، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

ب - في المشي، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وأن تكون كالتي وصفها الله بقوله: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥].

ج - في الحركة، فلا تتكسر ولا تتمايل، كأولئك اللائي وصفهن الحديث الشريف بـ «**المميلات المائلات**» ولا يصدر عنها ما يجعلها من صنف المتبرجات تبرج الجاهلية الأولىٰ أو الأخيرة.

٤ - أن تتجنب كل ما شأنه أن يثير ويغري من الروائح العطرية، وألوان الزينة التي ينبغي أن تكون للبيت لا للطريق ولا للقاء مع الرجال.

٥ - الحذر من أن يختلي الرجل بامرأة وليس معهما محرم، فقد نهت الأحاديث الصحيحة عن ذلك، وقالت: «**إن ثالثهما الشيطان**» إذ لا يجوز أن يخلي بين النار والحطب.

وخصوصًا إذا كانت الخلوة مع أحد أقارب الزوج، وفيه جاء الحديث: «**إياكم والدخول علىٰ النساء**»، قالوا: يا رسول الله، أرأيت الحمو؟! قال: «**الحمو الموت**»! أي هو سبب الهلاك، لأنه قد يجلس ويطيل الجلوس، وفي هٰذا خطر شديد.

٦ - أن يكون اللقاء في حدود ما تفرضه الحاجة، وما يوجبه العمل المشترك دون إسراف أو توسع يخرج المرأة عن فطرتها الأنثوية، أو يعرضها للقيل والقال، أو يعطلها عن واجبها المقدس في رعاية البيت وتربية الأجيال. والله الهادي إلىٰ سواء السبيل. اهـ

الفصل السادس

علاقة المرأة بالرجل من حيث العاطفة بينهما

علاقة المرأة بالرجل من حيث العاطفة بينهما

الحب هو شعور نفسي، وإحساس قلبي، وانبعاث وجداني.. ينجذب به قلب المحب تجاه محبوبه بحماسة وعاطفة وبشر.

والحب بهٰذا المعنىٰ من المشاعر الفطرية المتأصلة في كيان الإنسان لا انفكاك منه ولا غناء عنه، وهو قابل في كثير من الأحيان لتحكم الإرادة فيه إلىٰ ما هو أسمىٰ وأفضل إن أراد المحب أن يسلك في حبه مسلكًا كريمًا شريفًا، وأن يعيش في الحياة عيشة الأصفياء والأطهار، والمتقين الأبرار.

وحب الرجل المرأة وحب المرأة الرجل، شعور إنساني ينبع من أصل فطري خلقه الله في أعماق الإنسان... وهٰذا الميل وما يتبعه من حب ليس أمرًا خبيثًا في أصله إنما الخبث والطهر يتعلقان بالإطار الذي ينطلق فيه هٰذا الميل، فهناك إطار طاهر حلال، وهناك إطار خبيث حرام.

وحب الرجل للمرأة أو المرأة للرجل لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولىٰ:

أن تعجب المرأة برجل فتصارحه بذلك وتطلب منه الزواج أو العكس.

وهٰذه الحالة لا يحرمها الإسلام.

فإن الشارع أجاز للرجل أن يُعَرِّضَ للمرأة في أثناء عدتها بالخطبة.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥].

فإذا ما انتهت من فترة العدة يجوز لها التصريح بالخطبة والزواج.

وكذلك أجاز الشرع أن تطلب المرأة من الرجل إذا أعجبت به أن تعلمه بذلك، وتطلب منه التقدم لخطبتها.

عن سهل بن سعد أَنَّ ٱمْرَأَةً جَاءَتْ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله،

جِئْتُ لأَهَبَ لَكَ نَفْسِي فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ(١).

يقول الأستاذ محمد قطب(٢):

فحين يقول إنسان لنفسه: إنني أحس في أعماقي بحنين إلىٰ الجنس الآخر، ورغبة قوية في اللقاء بأحد أفراده، والامتزاج معه، والإفضاء إليه، والاتحاد الكامل معه حتىٰ كأننا شخص واحد لا شخصان منفصلان..

هٰذا الإحساس ليس عيبًا في ذاته ولا قذارة، إنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، كل الرجال وكل النساء يشعرون بهٰذا الحنين وهٰذه الرغبة، ولا بد أن يشعروا بها ليحققوا غاية الحياة ويحفظوا النوع علىٰ وجه الأرض، والتركيب الجسمي يشير إلىٰ هٰذه الوظيفة، ففيزيولويجياته وبيولوجياته وكيماوياته كلها مهيأة للقيام بهٰذه الوظيفة علىٰ وجهها الأكمل، لتنتج أجيالًا جديدة من الحياة، وهو أمر لا يتم بغير لقاء زوجين.

وحين أحس بهٰذا الإحساس وهٰذا الميل، فأنا سائر مع الفطرة في ٱتجاهها السليم.

ولكن ليس معنىٰ هٰذا أن يكون التفكير في مسائل الجنس هو شغلي الشاغل، وهمي المقعد المقيم، فالحياة ليست جنسًا خالصًا، ولا هي محصورة في هدف واحد، إن عليَّ تبعات أخرىٰ تجاه نفسي وتجاه الناس، عليّ أن أتعلم وعليَّ أن أنتج وعليَّ أن أنظر في أمر المجتمع: أسائر هو علىٰ ما ينبغي له أم منحرف عن سبيله؟، وما أسباب ٱنحرافه؟، وعليّ أن أقوم

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٥٦٧ رقم ٢٣١٠)، (٨/ ٦٩٢ رقم٥٠٢٩)، (٨/ ٦٩٦ رقم٥٠٣٠)، (٩/ ٣٤ رقم٥٠٨٧)، (٩/ ٨٠ رقم٥١٢١)، (٩/ ٨٦ رقم٥١٢٦)، (٩/ ٩٥ رقم٥١٣٢)، (٩/ ٩٧ رقم٥١٣٥)، (٩/ ١٠٥ رقم٥١٤١)، (٩/ ١١٢ رقم٥١٤٩)، (٩/ ١٢٤ رقم٥١٥٠)، (١٠/ ٣٣٥ رقم٥٨٧١)، (١٣/ ٤١٣ رقم٧٤١٧)، ومسلم (٢/ ١٠٤٠ - ١٠٤١ رقم١٤٢٥) [٧٦، ٧٧].

(٢) «منهج التربية الإسلامية». نقلًا من كتاب «الإسلام والجنس» ص٨١-٨٦.

بدوري في تقويمه من انحرافه، وخير وسيلة لذلك هي القدوة، فينبغي أن أكون أنا بذاتي قدوة حسنة، وإلا فلا قيمة لكل ما أقول من أقوال، وأنا أقول للناس إن الذي يفسدهم هو انجرافهم في طريق الشهوات، فلأكن أنا المثل في عدم الانجراف مع الشهوات.

وكذلك ليس معنىٰ هٰذا أن أخطف فتاة ما لأقضي معها رغبة الجنس فهٰذه الفتاة ليس لي، أن أملكها لنفسي حتىٰ أتصرف في شأني وشأنها علىٰ هٰذا الوضع، إن لها عرضًا يكافئ عرضي لا يجوز لي أن أدنسه، إني أحب أن يكون عرضي نظيفًا طاهرًا لم يدنسه شيء، فلأحافظ علىٰ عرض هٰذه الفتاة كذلك، وإني أحب حين تكون لي زوجة أن تكون نظيفة أن تكون خالصة لي، بروحها وجسمها جميعًا، فلأترك هٰذه الفتاة إذن نظيفة لمن ستكون زوجًا له، فلأتركها له خالصة كما أحب أن تكون زوجتي لي خالصة..

ولو أنها رضيت رضاء بأن أقضي معها رغبة الجنس أو دعتني هي إلىٰ ذلك فلا فارق. إنه لا يجوز لي.. إنها كالحارس الذي يدعو الناس إلىٰ سرقة المال الذي يحرسه فذلك لا يعطي الناس الحق في السرقة، لأن الحارس لا يملك المال في الحقيقة، وهٰذه الفتاة الحارسة علىٰ عرضها لا تملك التصرف فيه ولا دعوة الناس إلىٰ اغتصابه، إنه ليس عرضها وحدها إنه عرضها وعرض والديها وعرض أسرتها، وعرض مجتمعها، وعرض الإنسانية إنه عرض الأمانة التي ائتمن الله عليها البشر وينبغي أن يردوا له الأمانة نظيفة كما تلقوها كاملة كما تسلموها إلا بحقها الذي نص عليه صاحب الحق.

وليس معنىٰ هٰذا كذلك أن تكون صورة الجنس في حسي وفي تفكيري هي صورة الجسد الهائم الشهوان، فأنا لست جسدًا خالصًا، ولا تمر علي لحظة واحدة في حياتي أكون فيها جسدًا بلا عقل، أو جسدًا بلا روح، وإنما أنا دائمًا وفي كل لحظة جسد وعقل وروح، وإحساسي بالجنس هو قطعة مني، هو جزء من كياني كله، فلأكن إذن علىٰ الفطرة السليمة لبني البشر، فليكن إحساسي

بالجنس شاملًا لكياني كله، شاملًا لكل ما أنا مشتمل عليه من مشاعر، فليكن رغبة جسم، وخفقة قلب، ورقة روح، فليكن عاطفة، فليكن إلىٰ جانب الرغبة مودة ورحمة وتعاطفًا وتفاهمًا وامتزاجًا روحيًا، ولقاء يرتفع بالكيان إلىٰ عليين، ولن يتأتىٰ ذلك وأنا أتناوله خلسة في الظلمة، أو سرقة من الحارس الذي لا يملك التصريح، وقد تأتي عليّ لحظة يخيل إلي فيها إن هٰذه الخلسة المختلسة تحقق كياني كله، وترتفع بي - في وهمي - إلىٰ حيث أريد أن أكون، ولكنها مشاعرُ الرغبةِ هي التي تخيل ذلك، فلأنظرن إلىٰ الأمر في غير ساعة الرغبة لأدرك الحقيقة، أو فلأنظر لخلسة يختلسها شخص غيري، ما رأيي فيها؟ هل أصدّقه لو قال إنها نظيفة وسامية؟ هل أقبلها في أهلي؟

كلَّا! ليس معنىٰ إحساسي بالجنس شيئًا من هٰذا كله، وإنما أنا أحس بتلك الرغبة الفطرية وأستجيب لها علىٰ طريقة الإنسان، الإنسان الذي يملك تصرفه ويختار طريقه لا علىٰ طريقة الحيوان الذي لا يملك التصرف ولا يختار الوسيلة، ولا يعرف غير ما تمليه عليه فيزيولوجياته وبيولويجياته وكيماوياته؛ لأنه جسد بغير عقل، وشهوة بغير روح.

وأنا أحس بميل شديد لإنسانة معينة، أعجبني شكلها أعجبني سلوكها وطريقة تصرفها، أعجبتني أخلاقها، أحسست بالارتياح إليها، أحسست بهاتف يقول لي هٰذه التي تكملك، هٰذه هي (الشق) الذي يكمل كيانك وإن هٰذا الميل ليحرك نفسي حركة جادة.. إنه ليس تزجية فراغ ولا حلمًا في اليقظة، إنني أريدها، لا شك عندي في ذلك، لقد رتبت - في خيالي - أن تكون حياتي مع هٰذه الفتاة، فلأشرع إذن في التنفيذ، فلآخذ الإذن من صاحب الإذن الأول الذي يملك الأمانة، فلآخذ الإذن - في قلبي - من الله، فلأتوجه إليه أن يوفقني إليها وأن يتمم شأني علىٰ ما يحبه ويرضاه، ثم فلأتوجه إلىٰ أهلها أطلب يدها وأتفاهم معهم علىٰ الأمر، ولأكن في تصرفاتي كما ينبغي حتىٰ أقع في نفسها كما وقعت في نفسي، وأعجبها كما

أعجبتني، فلأكن رجلًا، فلأكن بحيث تحس أنها تستطيع أن تثق بي، وتطمئن إلي..

أو.. أني لا أملك في الوقت الحاضر الوسيلة.. فلأصبر إذن حتىٰ يأذن الله بالتيسير، ولأنصرف إلىٰ العمل الجاد الذي يوصل، ولأنصرف إلىٰ أهداف الحياة الأخرىٰ التي تتطلب مني الجهود..

فإذا تزوجت - الآن أو في المستقبل - هٰذه الفتاة التي ملت إليها ومالت إليَّ، فنحن الآن في حل من المتعة الكاملة التي أباحها الله.. أباحها بلا قيود ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ [المؤمنون:١ : ٦] وقال تعالىٰ ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

نحن في حل أن نصبح جسدًا واحدًا وروحًا واحدة، وإني لأحس معها بامتزاج كامل لا يعرف أحدنا أين ينتهي وأين يبدأ الآخر، نحن كيان واحد مختلط الأجزاء، وأنا أحس براحة ضميري لأنني ألتقي بها علىٰ طهارة قلب ونظافة روح، وأنا أستمتع منها بكل ما يستمتع به جسم من جسم، ولٰكن لا تمر علينا لحظة جسد خالصة هنالك دائمًا ذلك التعاطف القلبي والامتزاج الروحي، وعلاقتي بها تشمل من نفسي دائمًا مساحة أكبر من مساحة الحس، حتىٰ في لحظة اللقاء الحسي، وأنا بهٰذا كله أوفر نصيبًا من المتعة وأوفر في الأعصاب..

هٰذا أمر الجنس في حساب الإسلام، لا كبت ولا ٱستنكار ولا قذارة بل متاع كامل بكل ما في الفطرة من جوانب المتاع متاع الحس القريب، مضافًا إليه ألوان من المتعة لا يعرفها الحيوان ويقدّرها الإنسان.

الحالة الثانية:

أن يحب الرجل ٱمرأة حبًا خالصًا عفيفًا منزهًا عن الشهوة، بعيدًا عن

الخنا، مجردًا من الفحش..

وبالاختصار أن يحبها للحب دون غرض، وأن يُتيم بها لخصال رآها دون شهوة..

وهو المعروف عند الأدباء بالحب العذري.

والدافع لهٰذا الحب عند كثير من الأدباء هو التقوىٰ، وبتأثير من مفهوم الحب في الإِسلام، وارتباطه بالعفة، ولٰكن هل كل هٰؤلاء الذين أحبوا كانوا أعفة تقاة؟ وهل كل من كثّير عزّة، وجميل بثينة، وقيس لبنىٰ، ومجنون ليلىٰ، وسلامة القس، وعروة.. هل كل واحد من هٰؤلاء كان في حبه عذريًا، وهل كان في علاقته مع محبوبته إنسانًا عفيفًا تقيًا؟

الجواب: حتمًا لا ؛ فما أكثر ما اَحتال هٰؤلاء العشاق الذين رفعوا لواء الحب العذري، ليدخلوا بيوتًا غير بيوتهم فيقضوا فيها وجهًا من الليل، أو طرفًا من النهار يسمرون ويتحدثون مع عشيقاتهم في بيوت أزواجهن حينًا، وفي خلوات الفلاة أحيانًا، وفي أماكن خاصة يتواعدون فيها تارة، وفي مناسبات يلتقون فيها تارة أخرىٰ، وربَّما أدَّىٰ الأمر بهٰؤلاء العشاق إلىٰ أحوال من قضاء الوطر، والولوغ في الحرام.. بما لا يتفق مع خلق ولا مع دين !! وما أكثر ما أرسل أحدهم رسولًا للإيقاع بين المحب ومحبوبته، وزرع العداوة والشحناء بينهما، كالذي يروىٰ عن سعي كثيِّر بين جميل وبثينة، وسعي قيس بن ذريح بين المجنون وليلاه.. وهٰذا ولا شك يتنافىٰ مع أبسط مبادىء التقوىٰ، بل هٰذه الأعمال بجملتها تتناقض مع مستلزمات الإِيمان، وأخلاقية الإِسلام !!.

حتىٰ ما يروىٰ عن عبد الرحمن بن عمار الجشمي الملقب (بالقس) لشدة ورعه وتقواه، فقد رويت عنه وعن محبوبته سلامة أمور لا تمت إلىٰ التقوىٰ بصلة، ولا ترتبط بالورع بأي نسب !!.

فممَّا رواه صاحب الأغاني في ج ٨ ص٦: (أن سلاّمة قالت له يومًا:

أنا والله أحبك، قال: وأنا والله أحبك ! قالت: وأحب أن أضع فمي علىٰ فمك ! قال: وأنا والله أحب ذاك! قالت: فما يمنعك، فوالله إن الموضع لخال، قال: إني سمعت الله ﷻ يقول: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾، وأنا أكره أن تكون خُلّة ما بيني وبينك تؤول إلىٰ عداوة، ثم قام وانصرف وعاد إلىٰ ما كان عليه من نسك)؟

أي نسك هٰذا؟ وأية تقوىٰ هٰذه؟ وقد خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا!!.

خلط عملًا صالحًا؛ لكونه لم يلب رغبة محبوبته في قُبلة أو عناق!! وخلط آخر سيئًا؛ لكونه خلا بها في موضع لم يرهما أحد؛ ولكونه يحدثها عن الحب والقبلة وتحدثه أيضًا عنهما وهو أجنبي عنها، وهي أجنبية عنه!!.

فمن أبسط مقتضيات الورع أن يغض المسلم نظره عن المرأة الأجنبية؛ أمتثالًا لقوله تبارك وتعالىٰ في سورة النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

ومن أظهر مستلزمات التقوىٰ ألا يخلو الرجل بامرأة لا تحل له؛ لما روىٰ الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال: «**ألا لا يخلون رجل بامرأة، ولا تسافرن إلا ومعها ذو محرم**» وفي رواية «**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**».

فكيف أستباح القس لنفسه إذن أن تغازله سلامة ويغازلها؟ وكيف كان يخلو معها في مكان لا يراهما فيه أحد؟ وكيف كان يظهر لها الرغبة القلبية في تقبيلها؟

أليس هٰذا كله يتنافىٰ مع منهج الإسلام في العفة؟ ويتعارض مع مبادئ الشريعة في التسامي؟ ثم لماذا رضي علىٰ نفسه أن يسمىٰ (بالقس)، أليست هٰذه التسمية نصرانية، أليس يُستشف منها الميل إلىٰ الرهبانية التي أبتدعها النصارىٰ؟ أليست الرهبانية تتصادم مع الفطرة الغريزية التي ركَّبها الله في الإنسان؟ فهٰؤلاء العذريون إذن هم بعيدون عن حقيقة التقوىٰ التي يأمر بها

الإسلام، ولو كانوا متحققين بالتقوىٰ فعلًا لالتزموا منهج الإسلام في العفة، ولطبقوا مبادئ الشريعة في التسامي..

ومنهج الإسلام في العفة -كما هو معلوم- هو غضّ البصر عن المحرمات، هو عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية، هو البعد عن الغزل والتشبيب بامرأة معينة..

ومباديء الشريعة في التسامي هو التحرر من فتنة النساء، هو الأنصراف إلىٰ الخالق سبحانه دون المخلوق، هو عدم الأنسياق وراء غانية أخذت عليه عقله ولبه!!.

فهٰؤلاء العذريون لم يتحققوا بشيء من هٰذا، فقد أفتتنوا بالنساء فعلًا، وانصرفوا بكليتهم إلىٰ المخلوق دون الخالق، وانساقوا وراء الغواني والحسناوات وقد أخذن عليهم عقولهم وألبابهم، وتغزلوا بالعشيقات دون حياء ولا خجل واختلوا بالنساء الأجنبيات دون رادع من دين، وزاجر من تقوىٰ..

نعم قد يوجد في هٰؤلاء العذريين من أنصرف عن الفاحشة بدافع الإيمان، وابتعد عن الحرام بزاجر التقوىٰ، ولٰكن هٰؤلاء كغيرهم من المؤمنين الصادقين المخلصين الذين يراقبون الله ﷻ في السر والعلن، ويخشونه في المتقلب والمثوىٰ، وإذا كانوا كغيرهم فلماذا ننعتهم بألقاب الطهر ونطلق عليهم أسماء كبيرة تميزهم عن عامة المؤمنين المتقين، وترفعهم إلىٰ مقام الأبرار والقديسين؟

المسلم الحقيقي هو من التزم هدىٰ الله قولًا وعملًا، ومن أخذ بتعاليم الإسلام جملة وتفصيلًا، ومن سار علىٰ مقتضىٰ الشريعة منهاجًا وأحكامًا.. سواء أكان هٰذا المسلم عاملًا أو موظفًا أديبًا أو عالمًا، حاكمًا أو محكومًا، جاهلًا أو مثقفًا.

فهٰؤلاء جميعًا يكونون أتقياء تقاة ما داموا علىٰ الهدىٰ والصراط المستقيم!!.

أما عن العذريين الذين تتناقل أخبارهم دواوين الشعر، وكتب الأدب، كأمثال قيس وليلىٰ، وجميل وبثينة، وكثيِّر وعزة، وغيرهم فهٰؤلاء في تقديري قد وقعوا - إن شاءوا أو أبوا - في كثير من المحظورات الشرعية في علاقاتهم مع العشيقات، وفي ٱرتباطاتهم بالنساء الأجنبيات..

ثم ماذا عن شخصية هٰؤلاء العذريين؟

لو تتبعنا كتب الأدب، وتصفحنا سيرة أولئك الشعراء الذين ٱشتهروا بالحب العذري، فماذا نحكم علىٰ تصرفاتهم وأقوالهم ومواقفهم؟ أو بعبارة أوضح ماذا نقول عن توازنهم وشخصيتهم؟ نقول: قد ٱعترىٰ شخصيتهم الخلل والقصور والتميع لماذا؟

لأفعال صدرت عنهم تنبيء عن ٱختلال في الشعور، وفقدان في التوازن، فلنستمع إلىٰ ما يقوله «مجنون ليلىٰ» في حقيقة هٰذه الظاهرة:

أمرُّ علىٰ الديار ديار ليلىٰ ... ألثم ذا الجدارَ وذا الجدارا
فما حب الديار شغفن قلبي ... ولٰكن حبُّ مَنْ سكن الديارا

ولنستمع إلىٰ ما قاله الأقران عن مجنون ليلىٰ:

رأىٰ المجنون في البيداء كلبًا ... فجرّ له من الإحسان ذيلا
فلاموه علىٰ ما كان منه ... وقالوا: لِمْ أنلْتَ الكلب نيلا
فقال دعوا الملامة إن عيني ... رأته مرّة في حيِّ ليلَىٰ

ولنستمع إلىٰ ما يقوله (جميل بثينة) في تنسمه الريح من حي بثينة:

أيا ريح الشمال أمَا تريني ... أهيم وأنني بادي النُّحول
هَبي لي نسمةً من ريح بَثْنٍ ... ومُنّي بالهبوب علىٰ جميل
وقولي يا بثينة حَسْبَ نفسي ... قليلك، أو أقل من القليل

لإصابتهم بالنحول والأسقام وشدة الخفقان... ولنستمع إلىٰ ما قاله (عروة عفراء) أحد المتيمين الذي قتلهم الهوىٰ:

أغركما مني قميصٌ لبستُه   جديد وبردا يُمْنَةٍ زَهيَان
متىٰ ترفعا عني القميص تَبيّنا   بيَ الضُّرَّ من عفراء يا فتيان
وتعترفا لحمًا قليلًا وأعظمًا   رِقاقًا، وقلبًا دائم الخفقان
علىٰ كبدي من حبّ عفراءَ قُرحةٌ   وعيناي من وجدٍ بها تِكفَانِ

ويقول أيضًا:

تحملت من عفراء ما ليس لي به   ولا للجبال الراسيات يدانِ
كأن قطاةً عُلِّقت بجناحها   علىٰ كبدي من شدَّة الخفقانِ

لتعرضهم لمخاوف القتل، وإنذارات الوعيد والتهديد:

كالذي يروىٰ عن جميل وترصد أهل بثينة له ليقتلوه، وقوله في ذلك مقالة فارس يرد عن نفسه عاديات الأيام.

فليت رجالًا فيكِ قد نذروا دمي   وهمّوا بقتلي يا بثين، لقُوني
إذا ما رأوني طالعًا من ثنية   يقولون: من هٰذا وقد عرفوني

ويقول المجنون في هٰذا المعنىٰ:

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها   مقالة واشٍ أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا   ولن يُخْرجوا ما قد أجنَّ ضميري

لتنازلهم عن خلق الرجولة، وكرامة الإنسان، ولنستمع إلىٰ ما قاله جميل في ظهوره في بيت بثينة بمظهر البؤس والفقر مع البؤساء والفقراء والهلاك:

أراني لا ألقى بثينة مرّةً   من الدهر إلا خائفًا، أو علىٰ رَحْل
أبيتُ مع الهلَّاك ضيفًا لأهلها   وأهلي قريب مُوسعون ذوو فضل
ألا أيها البيت الذي حِيلَ دونه   بنا أنت من بيت، وأهلك من أهل

وقبل قليل سمعنا ما قيل عن المجنون في إحسانه للكلب؛ لكونه رأىٰ الكلب مرة في حي ليلىٰ !!. وكيف كان أيضًا يلثم بفاه الجدار وذا الجدار حبًا

بالذي سكن الديار؟!!

لانصرافهم عن الحب الأعلىٰ المتمثل بحب الله والرسول والجهاد.. إلىٰ الحب الأدنىٰ المتمثل في حب غانية لا تحل له وما أكثر الأشعار التي أنشدوها في سبيل هٰذا الحب وهٰذا الهيام !!

ولنستمع إلىٰ بعض ما أنشدوه؛ لنعلم أن التغني بالعشيقات هو مثلهم الأعلىٰ، بل هو غاية الغايات في هٰذا الوجود.

يقول جميل:

ولـو أن ألـفًـا دون بـثـيـنـة كـلـهـم ... غيارىٰ، وكل مزمعون علىٰ قتلي
لحـاولـتـهـا إمَّـا نـهـارًا مجـاهِـرًا ... وإما سُرَى ليلٍ، ولو قطعوا رجلي

ويقول أبو صخر الهذلي:

تمـنـيتُ مـن حُـبِّي عُـليّة أنـنـا ... علىٰ رَمَثٍ في البحر، ليس لنا وَفْرُ
علىٰ دائم لا يعبرُ الفلكُ موجَه ... ومن دوننا الأهوال واللُّجَجُ والخُضْرُ
فنقضيَ همَّ النفس في غير رُقبة ... ويُغرِق من نخشىٰ نميمته البحرُ

ويقول عروة بن حزام:

فياليت كل اثنين بينهما هوىٰ ... من الناس والأنعام يلتقيانِ
فيقضي حَبيب من حبيب لبانةً ... ويرعاهما ربي فلا يُريان

ويقول مجنون ليلىٰ:

ألا ليتنا كـنـا غـزالين نـرتـعـي ... رياضًا من الحَوْذان في بلد قفر
ألا ليتنا كـنـا حمـامـي مـفـازةٍ ... نطير ونأوي بالعشيّ إلىٰ وكرِ
ألا ليتنا حُوتانِ في البحر نرتمي ... إذا نحن أمسينا نُلَجّجُ في البحرِ

ويقول كثير:

ألا ليتنا يا عزُّ كنا لذي غِنَىٰ ... بعيرين نرعىٰ في الخلاء ونعْزُبُ
إذا ما وردنا منهلًا صاح أهله ... علينا، فما ننفك نُرْمَىٰ ونُضرَبُ

لتعطيلهم الطاقة التي أودعها الله في نفوسهم لبناء الحضارة وتقدم الحياة..

وإليكم نموذجًا مما قاله مجنون ليلىٰ في تعطيل طاقته البشرية في حبه المتيم، وغرامه المحموم:

وقالوا: لو تشاء سلوت عنها ... فقلت لهم: فإني لا أشاء
لها حب تنشَّأ في فؤادي ... فليس له - وإن زُجر - انتهاءُ
وعاذلة تقطعني ملامًا ... وفي زجر العواذل لي بلاءُ
أرىٰ أهل ليلىٰ أورثوني صبابةً ... ومالي سوىٰ ليلىٰ الغداة طبيب
إذا ما رأوني أظهروا لي مودة ... ومثل سيوف الهند حين أغيب
فإن يمنعوا عيني منها، فمن لهم ... بقلب له بين الضلوع وجيب

* * *

فإن تمنعوا ليلىٰ وحسن حديثها ... فلن تمنعوا عني البكا والقوافيا
يلومونني اللُّوَّام فيها جهالةً ... فليت الهوىٰ بالّلائمين مكانيا
وماذا لهم لا أحسن الله حظهم ... من الحظ في تصريم ليلىٰ حباليا

* * *

تلكم أهم ظواهر الخلل والقصور التي طرأت علىٰ شخصية العذريين، وأهم أعراض التميع، وفقدان الاتزان التي استحوذت علىٰ نفوسهم، وطغت علىٰ رشدهم وصوابهم..

فأنىٰ لهؤلاء أن يتطلعوا في حياتهم إلىٰ هدف أقدس، ومثل أعلىٰ؟ وأين لهم الرشد والاتزان وهم علىٰ هذه الحال من الحب المتيم، والغرام المشبوب؟

وكيف يستطيع أولئك أن يبنوا لأمتهم مجدًا، وأن يشيدوا لمجتمعهم حضارة؟

وقد صدرت منهم أفعال تنبئ عن آختلالهم في الشعور، وفقدان في التوازن..

وقد أصيبوا بالنحول، والأسقام، وشدة الخفقان..

وقد تعرضوا لمخاوف القتل، وإنذارات الوعيد والتهديد..

وقد تنازلوا عن رجولتهم الإنسانية وكرامتهم الآدمية..

وقد آنصرفوا عن الحب الأعلىٰ المتمثل بحب الله والرسول والجهاد.. إلىٰ الحب الأدنىٰ المتمثل في حب غانية لا تحل لهم..

وقد عطلوا طاقتهم البشرية..

فلا يمكنهم بحال أن يسعوا إلىٰ مجد مؤثل، وعزّ مشيد، وحضارة مرموقة.. وهم علىٰ هٰذه الحال من الآنهيار العصبي والمرض النفسي، والتميع الخلقي..

وإذا وجد في عصرنا اليوم من هم علىٰ شاكلتهم آنهيارًا ومرضًا وتميعًا.. فهٰؤلاء في أمس الحاجة لأن يدخلوا مشافي الأمراض العصبية والنفسية.. ليعطىٰ لهم الدواء الناجع، والعلاج الشافي.. عسىٰ أن يعودوا إلىٰ رشدهم، وعسىٰ أن يرجعوا إلىٰ آتزانهم وصوابهم.. ألا فليعلم أولئك الذين يجرون وراء الحب العذري - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا - هٰذه الحقيقة، ألا فليتذكر أولو الألباب؟

صحيح أن العذريين في حبهم الصادق لعشيقاتهم، وفي نظمهم القوافي الشعرية لمحبوباتهم.. قد أكسبوا البيان العربي لوحة فنية جديدة من الأخيلة، والتصورات، واللغة، والبلاغة، وجمال الديباجة.. ولٰكن لو وازنا بين ما أكسبوا الأدب من جمال وفن.. وبين ما وقعوا فيه من محظور وقصور وخلل.. لوجدنا أن الضرر الذي حاق بهم، والمحظور الذي آنعكس منهم علىٰ مجتمعهم.. أكثر بكثير مما أكسبوا به الأدب من فنون اللغة، وأصناف البلاغة..

نعم، لو حول أولئك حبهم العذري المتمثل في نظم القوافي والأشعار

إلىٰ حب الله جلَّ جلاله، وإلىٰ حب الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وإلىٰ حب الجهاد والإسلام، وهجاء الأعداء، والتمجيد بالمفاخر والبطولات والأمجاد.. لأدخلوا علىٰ فن الأدب لوحات فنية خالدة.. روعة في معانيها وآية في بلاغتها، وغاية في ديباجتها وأسلوبها!!.

الشريعة الإسلامية بسماحتها وواقعيتها لم تحرم الشعر لذاته؛ وإنما حرمت الشعر البذيء؟ والشعر الذي يمدح فلانًا، ويهجو علانًا، والشعر الذي يتغزل بامرأة معروفة، يصور للناس مفاتنها وجمالها، والشعر الذي يثير الغرائز، ويحرك كوامن الشهوة.

أما الشعر الذي ينافح عن هٰذا الدين.. أما الشعر الذي يصور محاسن الإسلام.. أما الشعر الذي يشيد بالأمجاد والبطولات، أما الشعر الذي يتغنىٰ بالحرب والجهاد.. فالإسلام يحبذه ويبيحه، بل يدعو إليه، ويشجع عليه!!..

إن الإسلام بواقعيته المستمرة، وصلته الدائمة بالحياة لم يعطل المواهب المتأصلة في الإنسان، ولم يقتل الآستعدادت الفطرية التي أودعها الله في البشر.. وإنما وجه هٰذه المواهب وهٰذه الآستعدادت، وهٰذه الطاعة إلىٰ ما فيه خير الإنسانية جمعاء، وإلىٰ ما ينفعها في دينها ودنياها وآخرتها..

فالموهبة الشعرية مثلًا لم يعطلها الإسلام، ولم يقف منها موقف المعاداة، وإنما وجه طاقتها، ونمىٰ قابليتها في الرفع من كرامة الإنسان، وتشييد بناء الحضارة، وخدمة الدعوة الإسلامية، والسعي إلىٰ مستقبل أفضل، وإقامة مجتمع إسلامي معطاء[1].

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في إحدىٰ خطبه:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

طلب إلي بعض الشباب أن أحدثكم عن العلاقات العاطفية، قلت له:

---

(١) «الحب في الإسلام» لعبد الله ناصح علوان ص٥٥-٧٤.

وماذا تعني بالعلاقة العاطفية؟ أي عاطفة تعني؟ قال: عاطفة الحب، وهل هناك عاطفة غيرها؟ قلت: وأي حب تعني؟ قال: حب الرجل للمرأة، وحب المرأة للرجل، وهل هناك حب غير ذلك؟ قلت: هنا الخطأ، إن الإنسان ليس عاطفة فحسب، الكيان الإنساني مكون من مجموعة أشياء: من الجسم ومتطلباته، ومن العقل وآفاقه، من الروح وأشواقه، من العاطفة وتطلعاتها، من الإرادة وما تتجه إليه، كل هٰذه النواحي تنشئ الكينونة الإنسانية.

الإنسان ليس عاطفة فحسب، والعاطفة ليست هي الحب وحده، الإنسان يحب ويكره، ويرضىٰ ويسخط، ويفرح ويحزن، كل هٰذه عواطف، فلماذا قصرنا العاطفة علىٰ الحب؟

وإذا أردنا أن نتحدث عن الحب، فلماذا نقصر الحب علىٰ حب الرجل للمرأة والمرأة للرجل؟ ولماذا نقصر حب الرجل للمرأة أو المرأة للرجل علىٰ حب الرجل الأجنبي من المرأة، أو المرأة الأجنبية من الرجل؟ هٰذا كله خطأ وانحراف في الاتجاه.

إن الله فطر الإنسان علىٰ أن يُحِب وأن يُحبَ، ولكن لماذا يحصر الحب في هٰذا المجال الضيق؟

أولىٰ من ينبغي أن نحب هو الله تبارك وتعالىٰ.

أعظم أنواع الحب وأرقاها وأخلدها وأبقاها هو حب الله.

الإنسان يحب الجمال، وأي جمال أجمل من ذي الجمال والجلال.. من الله تبارك وتعالىٰ؟ هو واهب الجمال، وهو مصدر الجمال، وهو جميل يحب الجمال.

الإنسان يحب الكمال، ولذلك يحب الناس العباقرة والنوابغ والأبطال، وأي كمال يداني كمال الله ﷻ؟ وكل كمال في البشر نقص، الذي تنزه عن كل نقص، واتصف بكل كمال هو الله تبارك وتعالىٰ.

الإنسان يحب الإحسان، وهو أسير الإحسان، وجبلت النفوس علىٰ

حب من أحسن إليها، فهل هناك من أحسن إلينا أعظم من الله تبارك وتعالىٰ؟ إن كل النعم منه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

ما ننعم به في حياتنا، في داخلنا وفي خارجنا، ما يغمرنا من رءوسنا إلىٰ أخمص أقدامنا، هو من نعم الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

أفلا يستحق الله تعالىٰ أن نحبه؟

لماذا لا نحب الله؟

لماذا لا يشغل حب الله أنفسنا وعقولنا وقلوبنا؟

لماذا ينسىٰ الناس حب الله تبارك وتعالىٰ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ۝١٦٥﴾ [البقرة: ١٦٥].

هٰؤلاء المؤمنون الذين يقدمون حب الله علىٰ كل شيء، يعمر هٰذا الحب أفئدتهم، ويملأ ما بين جنوبهم، فهم يحيون به ويموتون عليه، وهم الذين وصفهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

كانت رابعة العدوية تقول حينما ينام الناس ويأوون إلىٰ فرشهم: لقد جاء الليل، وأوىٰ كل حبيب إلىٰ حبيبه، وهٰذا يا رب أوان خلوتي بك، وأنسي إليك.

هٰذا هو شعور من يحب الله.

وكانت تقول:

حبيي لا يعادله حبيب ... وما لسواه في قلبي نصيب

حبيب غاب عن بصري وحسي ... ولٰكن في فؤادي لا يغيب

الله حاضر معها ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فهي تنظر في نفسها وتنظر في الآفاق من حولها، في السماء فوقها وفي الأرض تحتها، وفي كل ما حولها ومن حولها، فتجد آثار نعمة الله، وآثار فضل الله، وآثار قدرة الله، وآثار رحمة الله، فكيف لا يتملىء قلبها حبًا لله تبارك وتعالىٰ؟

حب الله، هٰذا هو المصدر الأول، وهٰذه هي الوجهة الأولىٰ، لمن يريد أن يستخدم هٰذه العاطفة في محلها.

حب رسول الله ﷺ الذي هدانا الله به، وأخرجنا به من الظلمات إلىٰ النور، وعلمنا به من جهالة، وهدانا به من ضلالة، به عرفنا الصراط المستقيم، به أصبحنا خير أمة أخرجت للناس.

لهٰذا كان واجبًا علىٰ كل مؤمن أن يحب رسول الله ﷺ، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»، وهكذا أحبه الصحابة ﷺ، حتىٰ أن خبيبًا حينما صلبوه - رفعوه علىٰ خشبة ليصلب - أرادوا أن يختبروه، وقال له قائل من المشركين: أتحب أن يكون محمد في مكانك وأنت في بيتك وأهلك؟ قال: لا والله، ما أحب أن يكون رسول الله ﷺ في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة في قدمه، فقال أبو سفيان - وكان مشركًا في ذلك الوقت - ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمدٍ محمدًا، وقد قتلوه وهو ينشد:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... علىٰ أي جنب كان في الله مصرعي

ولما حضر أحد الصحابة الوفاة - بعد النبي ﷺ قالت ابنته: واحزناه. قال: وهو يحتضر -: لا تقولي واحزناه، ولكن قولي: (وافرحاه) غدًا ألقىٰ الأحبة محمدًا وصحبه.

وثوبان مولاه ﷺ أصابه تغير وذبول، فسأله عليه الصلاة والسلام: «**ماذا بك يا ثوبان؟**» قال: تذكرت يا رسول الله أمري وأمرك في الآخرة، في الدنيا لا أطيق فراقك وإذا غبت عني حننت إليك واشتقت إليك، فذكرت

الآخرة حينما تكون في الدرجات العلىٰ ونحن في درجات المؤمنين إن شاء الله، كيف لي أن أصبر عنك؟ فكان الجواب في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

ولذلك قال له: «**أبشر فإن المرء مع من أحب**».

وجاء رجل يقول يا رسول الله، يا نبي الله متىٰ الساعة؟ فقال: «**ما أعددت لها؟**» بدل ما تسأل عن الساعة اسأل عن نفسك: ما ذا هيأت للساعة لتستقبلها، فقال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله، فقال له: «**أنت مع من أحببت**» وفي حديث آخر «**المرء مع من أحبَّ**» فما فرح الصحابة بشيء فرحهم بهٰذا الحديث: «المرء مع من أحب» وكلهم يحبون رسول الله ﷺ.

هٰذه هي التطلعات العليا التي شغلوا أنفسهم بها، ولهذا لم يبالوا أن يدعوا كل شيء يحرص عليه الناس في دنياهم من أجل حب الله وحب رسول الله ﷺ.

وفي غزوة أحد كان حنظلة في الليالي الأولىٰ من زواجه، وسمع النداء بالمعركة فبادر بالاستجابة دون أن يغتسل وكان جنبًا، أراد أن يلحق بالمؤمنين وأن لا تفوته الفرصة، فلم يسعفه الوقت للاغتسال، وشاء الله أن يكتب له الشهادة في هٰذه المعركة، وأخبر النبي ﷺ بقصته الصحابة، وقال لهم: «**إن صاحبكم -يعني حنظلة- لتغسله الملائكة**»، ولهذا عرف في السير والمغازي وفي كتب السنة بأنه: حنظلة غِسِّيل الملائكة.

في غزوة تبوك كان (أبو خيثمة) قد تخلف عن النبي ﷺ، طاوع نفسه الأمَّارَة بالسوء، فجلس إلىٰ نسائه وفي بيته، لأن الوقت كان وقت شدة حر، ووقت جني الثمار، كانت ساعة العسرة، ولكنه ما إن رأىٰ حوله الظل والماء والطعام والنساء، قال: أأبقىٰ في هٰذه الرفاهية وهٰذا النعيم ورسول الله في

الحر والريح؟ لا والله، لا أقرب واحدة منكن، ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتىٰ ألحق برسول الله ﷺ.

ولحق به، حتىٰ أن النبي ﷺ رأىٰ غبارًا من بعيد فأدرك أن هٰذا أبو خيثمة؛ لأن مثله لا ينبغي أن يتخلف، فقال: «كن أبا خيثمة» فما إن وصل حتىٰ كان هو أبا خيثمة ﷺ.

هٰذه هي النفسيات العالية التي تعيش في حبُّ الله كبير، حبُّ الله ورسوله وللجهاد في سبيله، أما إن كانت الدنيا وزخارفها ومتعلقاتها أحب من الله ورسوله والجهاد في سبيله، فهٰذا أمر آخر، أنذرنا الله سوء عاقبته حينما قال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

المؤمن الحق مشغول بحب الله وحب رسول الله وحب الجنة، إنه في شوق إلىٰ ما عند الله ﷻ، إن حب الآخرة وحب الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر، قد شغله عن كل شيء في هٰذه الدنيا، إنه يريد ما عند الله ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: ١٥]. [أي من النساء والبنين والقناطير المقنطرة وكل متاع هٰذه الدنيا]

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥]

هٰذا ما يتطلع إليه المؤمنون، هٰذا ما ترنو إليه أبصارهم وبصائرهم، هٰذا ما تفكر فيه عقولهم، هٰذا ما تهتم به عزائمهم، هٰذا ما تتوجه إليه قلوبهم،

ولكن الناس في عصرنا - والشباب خاصة - شغلوا بغير ما شغل به خبيب بن عدي، وأسامة بن زيد، وعلي بن أبي طالب، والمهاجرون والأنصار والذين ٱتبعوهم بإحسان.

شلغهم الحب، وأي حب؟ إنه ليس حب الله ورسوله والجهاد في سبيله إنه حب المرأة في صورة معينة.

إذا كان و لا بدَّ من حب المرأة، فلماذا لا يحب الإنسان أمه؟ ولماذا لا يحب زوجته؟ وإذا كان حب البشر مطلوبًا، فلما لا يحب إخوانه المؤمنين؟

الحب فيه متسع: **«لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**، **«والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، أولا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم»**.

محبة المؤمنين بعضهم لبعض في الله: أن تحِبَّ، تحب فلانًا؛ لأنه يطيع الله، لأنه ينصر دين الله، لأنه يقول الحق، لأنه لا يخاف في الله لومة لائم، لأنه فعال للخير، مناع للشر، إذا أحببت إنسانًا لهٰذا فأنت تحبهُ، لا لدنيا تصيبها، ولا لشيء من أغراضها تناله، هٰذا هو الحب في الله أو الحبُ، ولهذا كان هو تمام الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: **«ثلاث من كن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدًا لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»**.

هٰذا هو الحب والكره، هٰذه هي العاطفة التي يريدها الإسلام، يريد الإسلام من المسلم أن يطوع عواطفه وانفعالاته وميوله لحكم الله ولشرع الله، كما قال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به»**، أي تصبح أهواؤه وميوله ومشاعره إسلامية محمدية قرآنية.

هٰذا هو ما يراد من المسلم:

ليس معنىٰ هٰذا أن الإسلام لا يريد من الإنسان أن يحب من يستحق الحب

من زوجة أو أبناء، لا ، هٰذا مطلوب، ولٰكن للأسف الحب الذي يتحدثون عنه هو: حب المرأة التي ليست زوجة ولا أمًا ولا بنتًا ولا أختًا، هٰذا الحب: الغرام.. العشق، والذي تتفنن الحياة الحديثة في إشعال ناره، في الرمي له بالوقود المتأجج باستمرار: أغاني.. قصص.. صور.. أفلام.. مسلسلات، هٰذه كلها تؤجج النار، والنار موجودة وليست محتاجة إلىٰ هٰذا كله.

إنه في الحقيقة ليس حبًا، إنه شهوة، إنه ميل غريزي كامن وموجود.

لماذا هٰذا كله؟ لماذا نلح علىٰ هٰذه الغريزة هٰذا الإلحاح، وبهذه الأساليب الشديدة التأثير؟ حتىٰ أصبح الشباب والشابات يعيشون في هٰذه الأباطيل، يعانون القلق، يعانون الاضطراب النفسي، من جراء التفكير المستمر، والسرحان، والتوهان، والمكالمات الهاتفية التي تطول: لم هٰذا كله؟

قالوا: ربما يكون وراءه زواج، ولٰكن هل يكون الزواج بهٰذه الطريقة؟!

إن الزواج الذي عرفه المسلمون له أبواب معروفة ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البقرة: ١٨٩].

بدل أن تكلم الفتاة من خلف ظهر أهلها، أذهب إلىٰ أهلها، إذا قبلوك فبها، وإلا فلا تضع نفسك في مأزق لا تستطيع الخروج منه.

كم من المكالمات الهاتفية ومن الرسائل، تأتيني من فتيات شغلن أنفسهن بعلاقة عاطفية مع شابٍ معين، فلمَّا تقدم لأهلها رفضوه.

لمَ إذن هٰذا العذاب؟

عرفنا وعرف المسلمون من قديم الزمان أن الشاب يتقدم لخطبة الفتاة، وينظر أهل الفتاة بالموازين الإسلامية في أمره.. في دينه وخلقه، وقدرته علىٰ إحصانها، وإلىٰ الموضوع من كل جانب، فإذا وافقوا عليه كان ذلك خيرًا كثيرًا.

وهنا نذكر أن هنالك للأسف من الناس من لا يسمحون لخاطب ابنتهم

بمجرد النظر إليها، وهٰذا غلو ليس من الدين في شيء.

إن النبي ﷺ قال لمن خطب من الصحابة: «**هل نظرت إليها؟**» قال: لا. قال: «**فانظر إليها، فإنه أحرىٰ أن يؤدم بينكما**» هنا أباح الإسلام النظر؛ لأنه نظر لهدف، إنه يريد أن يتعرف عليها؛ ليطمئن قلبه لها، ولعله هٰذه النظرة البريئة - التي تهدف إلىٰ مشروع صالح وقيام أسرة مسلمة - تكون بداية لمحبة زوجية، فإن العين رسول القلب.

نحن للأسف دائمًا نقع بين الإفراط والتفريط، فإما أناس لا يسمحون للخاطب أن يرىٰ مخطوبته بحال، ولا يراها إلا ليلة الزفاف، وإما أناس تركوا الحبل علىٰ الغارب، وأطلقوا العنان للشاب والشابة يذهبان معًا إلىٰ النزهات، أو إلىٰ السينما، أو الأماكن الخلوية، قبل عقد العقد، وهٰذا لا يجوز.

لا يجوز أن يختلي الشاب بالشابة دون عقد بينهما، إلا أن يكون معهما أحد من أهل الفتاة.

الإسلام يريد إقامة أسر صالحة، ولا يريد من الإنسان المسلم أن يشغل نفسه بما لا يجدي، ومن هنا أمرنا بغض الأبصار، أو الغض من الأبصار ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

إنه يريد أن يسد الذرائع إلىٰ الفجور، ومن ناحية أخرىٰ يسد الذرائع إلىٰ القلق والاضطراب النفسي، الذي يعانيه من يعانيه، من أجل نظرة أدت إلىٰ تعلق قلبه بامرأة لا يستطيع أن يصل إليها، ولا يستطيع أن يتزوجها. لم هٰذا؟

الشاعر العربي يقول قديمًا:

وأنت إذا أرسلت طرفك رائدًا   لقلبك يومًا أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه   ولا عن بعضه أنت صابر

لم هٰذا؟ لماذا يعرض الإنسان نفسه للقلق والاشتغال وإدخال نفسه في مآزق لا يمكنه الخروج منها؟ ولماذا يعرض نفسه للفتنة أيضًا؟ وكما قال

الشاعر قديمًا:

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وقال الشاعر شوقي حديثًا:

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

الألف تجر إلىٰ الباء، والقليل يجر إلىٰ الكثير، ولهذا سد الباب، وغض من بصرك ولا تتبع النظرة النظرة، كما قال النبي ﷺ لعلي: «**يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولىٰ، وليست لك الآخرة**» خشية أن يفتن أو يشغل أو يقلق.

بعض الناس يقول: إنه الحب، والحب لا دخل للإنسان فيه، هٰذا شيء يصنعه الله في القلب، والقلب ليس بيدي!

هٰذا صحيح، ولٰكن مقدماته في يدك، أنت الذي أوصلت نفسك إلىٰ هٰذه المرحلة، ولهذا يقول الشاعر:

تعلق بالعشق حتىٰ عشق فلما ٱستقل به لم يطق

رأىٰ لجة ظنها موجة فلما توغل فيها غرق

هو أغرق نفسه، وكان الأولىٰ أن يبتعد[1].

---

(١) قلت: ويؤيد كلام القرضاوىٰ - حفظه الله- ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية كما في جامع المسائل (٢/ ١٨٠) حيث قال:

وقد دلَّ الدليل علىٰ أنه ليس في العشق الصوري مصلحة دينية وليس لصاحبه عذر يعتذر به ولا حجة يُقيمها. مثال ذلك أن من شرب الخمر فسكر، فحصل منه جناية في حق أحد أو عربدةٌ علىٰ غيره، فأتلف شيئًا، أُخذ به؛ لأن الذي أزال عقله سبب محرم أدخله علىٰ نفسه راضيًا غير مكره، مع علمه قبل أن يشربه أنه يؤدي به الحال إلىٰ هٰذا، فإذا ٱعتذر وقال: لم أعِ ما قلتُ: ولا كان عقلٌ أميِّز به، قلنا له: أنت فرَّطت حين شربت.

ولهذا جنح بعض العلماء إلىٰ مؤاخذة السكران بما يصدر منه من طلاقٍ وعتاقٍ=

إن الذي نريده من شبابنا وبناتنا: أن يدعوا هٰذه الترهات، أن يدعوا هٰذه الأباطيل، وأن يفكروا في مصيرهم ومستقبلهم، أن يفكروا في موقفهم

= وجنايةٍ، بخلاف من يزول عقله بخلطٍ سوداوي أو روحاني، فإن ذلك ليس هو من فعله، ولا تسبَّب فيه برضاه، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «رفع القلم عن ثلاث»، فذكر المجنون حتىٰ يُفيق.

فعلىٰ هٰذا لا ينبغي لأحد أن يحكم علىٰ نفسه عشق الصور، ليؤدي به الحال إلىٰ الهلاك، فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه والمقرر لها، فإذا هلكت فهو الذي أهلكها، وإذا قتلتْ فهو الذي قتلها، فإنه لولا تكرار نظره إلىٰ وجه معشوقه لم يثبتْ محبته في قلبه، حتىٰ أدَّاه إلىٰ ما أدَّاه.

يقول ابن القيم في الجواب الكافي ص٢٢٩:

من صورت له امرأة جميلة أو رآها فجأة من غير قصد، فأورثه ذلك عشقًا لها. ولم يحدث له ذلك العشق معصية. فهٰذا لا يملك ولا يعاقب عليه.

والأنفع له مدافعته والاشتغال بما هو أنفع له منه، والواجب علىٰ هٰذا أن يكتم ويعف ويصبر علىٰ بلواه، فيثيبه الله علىٰ ذلك ويعوضه علىٰ صبره لله وعفته وترك طاعة هواه وإيثار مرضاة الله وما عنده. اهـ.

ويقول ابن عقيل: العشق مرض يعتري النفوس العاطلة، والقلوب الفارغة، والمتلمحة للصور، لدواع من النفس، ويساعدها إدمان المخالطة، فتتأكد الألفة ويتمكن الأنس، فيصير الإدمان شغفًا، وما عشق قط إلا فارغ فهو من علل البطالين، وأمراض الفارغين من النظر في دلائل العبر، وطلب الحقائق المستدل بها علىٰ عظم الخالق.

ويتحدث ابن الجوزي عن أضرار العشق في كتابه: «ذم الهوىٰ» فيقول:

وأما ضرر العشق في الدنيا، فإنه يورث الهم الدائم والفكر اللازم والوسواس والأرق، وقلة المطعم، وكثرة السهر ثم يتسلط علىٰ الجوارح، فتنشأ الصفرة في البدن والرعدة في الأطراف، فالرأي عاطل، والقلب غائب عن تدبير مصلحته والدموع هواطل والحسرات تتابع، والزفرات تتوالىٰ والأنفاس لا تمتد وصدق القائل:

العشق مشغلة عن كل صالحة   وسكرة العشق تنفي سكرة الوسن

بين يدي الله تبارك وتعالىٰ، أن يفكروا في أمر هٰذه الأمة، أن يهتموا بأمر المسلمين، أن ينشغلوا بما هو أعظم من هٰذا.

أما من شغل نفسه بهٰذه الأمور من الشبان الذين يجلسون في الشوارع أو في الطرقات يلتهمون الغاديات والرائحات، فهؤلاء لن يربحوا في الدنيا، ولن يربحوا في الآخرة، وهل يقبل الإنسان لأحد ممن يغار عليه أن يكون كذلك؟ هل ترضىٰ هٰذا لزوجتك أو لأختك أو لابنتك أو لإحدىٰ ذوات محارمك؟

كان الشاعر الجاهلي الفارس عنترة بن شداد العبسي يقول:

أغشىٰ فتاة الحي عند حليلها ... وإذا غدا في الجيش لا أغشاها
وأغض طرفي إن بدت لي جارتي ... حتىٰ يواري جارتي مأواها

فعل هٰذا من باب الشهامة والمروءة ومكارم الأخلاق.

يقول هٰذا وهو جاهلي، ونرىٰ الناس في عصرنا أول من ينظر إليها ومن يريد أن يتطلع إليها هي امرأة جاره أو بنت جاره، وللجوار حرمة الجار حارس علىٰ حرمات جاره، فكيف يكون هو اللص؟! إنه الراعي فكيف يكون هو الذئب؟!

إن الإسلام يريد منا أن نوجه عواطفنا وجهة كريمة، يريد منا أن نوجه هٰذه العواطف ونتسامىٰ بها إلىٰ ما يحب الله ويرضىٰ، يريد منا أن نكون كيوسف عليه السلام، وليس كامرأة العزيز.

امرأة العزيز شغفها فتاها - يوسف حبا، وهو مملوك لها، وأرادت أن يرتكب معها الحرام، وهيأت الأسباب ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: ٢٣]، ولكن الشاب المؤمن - مع أنه كان في ريعان شبابه ومقتبل عمره، وفي غربة لا يعرفه فيها أحد، ولا يحاسبه علىٰ ذلك أحد، ولم يسع إلىٰ الفتنة ولكن الفتنة سعت إليه، وكان يمكنه أن يستجيب ولكنه - وقف كالطود الأشم وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

ولما حضر النسوة وطلع عليهنّ ...﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، قطعن أيديهن من الدهشة.. من حسنه وجمال وفتوته، وحرّضنه علىٰ طاعة سيدته، فماذا كان منه أمام التحريض من ناحية والتهديد من ناحية؟

إغراء وإغواء، وتهديد، ووعيد، قالته المرأة بصريح العبارة: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، هنا خُير يوسف بين محنتين: محنة في دنياه ومحنة في دينه، فأي المحنتين يختار؟

كانت محنة دنياه أن يسجن كما هددت المرأة ويكون من الصاغرين، وهي قادرة علىٰ أن تقول وتفعل لما لها من نفوذ في تلك الدوائر العليا، كان مخيرًا بين هٰذه المحنة وبين محنة أخرىٰ في دينه، بأن يُفتن وأن يزني ويكون من الفاسقين، فآثر محنة الدنيا علىٰ محنة الدين، ومحنة الدنيا لا تساوي شيئًا بجانب محنة الدين، ولهذا علّمنا نبينا ﷺ أن نقول: «**اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا**».

ولهذا توجّه يوسف إلىٰ ربه ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٣﴾ [يوسف: ٣٣] وهٰذا يدل علىٰ شدة فتنة النساء، ولهٰذا قال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]

فالقوي قد يضعف.

ورضي بالسجن ولم يرض بارتكاب الفاحشة، ودخل السجن وعاش فيه ما عاش.

هٰذا هو العفاف، هٰذه هي الإرادة الصلبة، هٰذه هي الرجولة، من أراد أن يتخذ له مثلًا عاليًا من شبابنا فليتخذه من يوسف، لا يتخذ المثل من الممثلين العرب أو الممثلين الأمريكان، يتخذه من أسامة بن زيد، من محمد

بن القاسم، من الشباب المؤمن علىٰ مراحل التاريخ، هٰذا ما نريد من شبابنا.

يا أيها الشبان ويا أيتها الشابّات.. يا أبناء الإسلام وبناته: ٱعرفوا أنفسكم، ٱشغلوا أنفسكم بما هو أهمّ وأبقىٰ، دعوا هٰذه الترهات، دعوا هٰذه المغريات التي نراها في كل مكان.

ويا أصحاب التوجيه والتأثير في الصحافة والإعلام والقصص والكتب: ٱتقوا الله في بنينا وبناتنا، ٱتقوا الله في بنيكم أنتم وبناتكم أنتم، أليس لكم بنون وبنات؟ أليس لكم شبان وشابات؟ ٱحرصوا علىٰ هٰؤلاء، ٱحموهم من الفتنة، فإن الفتنة تطل برأسها من كل مكان.

إن الإسلام دين الواقعية، وشريعة الحياة، إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن واقعيته أنه لا يؤاخذ الإنسان علىٰ الميل القلبي كما أنه لم يقف من الغريزة الجنسية موقف الكبت والمعاداة، وإنما شرع الزواج ٱستجابة للغريزة، وتمشيًا مع الميل الجنسي الذي ركبه الله في الإنسان، فالرجل إذا رأىٰ ٱمرأة وأعجب بها فلا بأس أن يذهب إلىٰ أهلها ويتقدم لخطبتها أو زواجها فإن وفق لزواجها فلله الحمد.

وأما إذا كان هناك ظروف لا تسمح بالخطبة أو الزواج إلا بعد فترة من الزمن فعليه في هٰذه الحالة أن يكون عفيفًا وليتق الله فلا يقع في محظورات شرعية كأن يختلي بها أو ينظر إليها أو يمسها بشهوة، بل عليه أن ينصرف لعمله ويدعو الله أن يوفقه للزواج منها، فإن لم يوفق للزواج منها فعليه أن يبذل قصارىٰ جهده وغاية سعيه في ولوج طريق التسامي والاستعفاف عسىٰ أن يجعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيقٍ مخرجًا. اهـ

وكذلك الحال بالنسبة للمرأة.

ولكن للأسف هناك بعض المتفلسفة يقولون: إنه لا باس أن يتعرف

الشاب والفتاة ويترك لهم الحبل على الغارب قبل الخطبة أو الزواج؛ ليفهم كل منهما الآخر حتىٰ يكون ذلك سببًا في نجاح الزواج، وهٰؤلاء يجيب عليهم.

الأستاذ محمد رشيد العويد[1] فيقول:

الذين يدعون إلىٰ أن يتعرف الخاطب إلىٰ خطيبته، وتتعرف هي إليه، حتىٰ يفهم كل منهما الآخر، فيخرجا معًا، لا قريب ولا رقيب، مستمرين علىٰ هٰذه الحال أسابيع، وربما أشهرًا، وكثيرًا ما تصل إلىٰ أكثر من سنة.. هٰؤلاء الداعون إلىٰ هٰذا التفلت يزعمون أنه من أسباب نجاح الزواج، واستقراره، وديمومته.

بِمَ يفسرون إذن، كثرة ما يحدث من طلاق، بين الأزواج من الممثلين والممثلات؟ ألا يعرف هٰؤلاء بعضهم؟ ألا يمضون أوقاتًا طويلة يتحدثون ويتعارفون؟ بل أليست معرفة بعضهم بعضًا، تسبق الخطبة بسنوات، ومن خلال عملهم معًا، في تمثيل الأفلام والمسلسلات؟

لماذا تنتهي زيجاتهم بالطلاق؟ ليست الزيجة الأولىٰ وحدها ! بل الثانية والثالثة والرابعة ! أين التعارف والتفاهم والانسجام؟ما بال هٰذه المقدمات لم تنفع في نجاح الزواج، واستقراره، وديمومته؟

هل تريدون أمثلة؟ إنها كثيرة، ولعلها تحتاج أكثر من مقال من مقالات هٰذا الكتاب.

لنبدأ بالممثلة الراقصة المدعوة (نجوىٰ فؤاد) التي تعترف بخمس زيجات أنتهت جميعها بالطلاق!

زوجها الأول أحمد فؤاد حسن، صاحب فرقة موسيقية، تقول عن سبب طلاقها منه: اختلفنا عندما فكر أن يكون عندنا أولاد، وخفت علىٰ

---

(١) «أعترافات ممثلين وممثلات» صـ ٧-٨.

رشاقتي من أجل الفن ! فكان الطلاق؟!.

زوجها الثاني ٱسمه (أحمد رمزي) ممثل، تقول عن زواجها منه وطلاقها: (طلق زوجته وطلب أن يتزوجني، وبالفعل تزوجنا مدة ثلاثة أيام، سافرت بعدها إلىٰ نيويورك لإحياء حفل هناك مدة أسبوعين، وعندما عدتُ وجدت أحمد رمزي قد عاد إلىٰ زوجته.. وتم الطلاق).

زوجها الثالث ٱسمه (كمال نعيم)، مصمم ٱستعراضات، تقول عن زواجها وطلاقها منه: (كان يدربني في هٰذا الوقت مصمم الاستعراضات كمال نعيم.. وتزوجنا. بعد فترة قرر السفر إلىٰ لندن مدة خمس سنوات، ورفضت أنا السفر فاتفقنا علىٰ الطلاق).

زوجها الرابع كان مدير فندق: (بعد فترة قدمت ٱستعراضات في فندق الشيراتون وكان مدير الفندق رجل أعمال ناجحًا هو سامي الزغبي، بهرني بشخصيته وأناقته، تعارفنا وانتهىٰ التعارف بالزواج، ورغم حبي الشديد له فوجئت بورقة الطلاق غيابيًا، وكنت كزوجة آخر من يعلم) !

زوجها الخامس مغنّ ٱسمه عماد عبد الحليم: (غلطة عمري الوحيدة كانت زواجي العرفي من المطرب الشاب عماد عبد الحليم، بالرغم من أنني وقفت بجانبه وساعدته من أجل وصية صديقي الراحل عبد الحليم حافظ ولكني أدركت في لحظة أن فارق السن هو السبب وراء المشاكل التي حدثت لي بسبب هٰذا الزواج، وانفصلنا وكل واحد ذهب في طريق).

هٰذا ما حكته هي بنفسها، وهو يكفي ليدرك القارئ العبثية في هٰذه الزيجات، التي لم يكن ليكتب لها الاستقرار، مهما سبقها من (حب) و(إعجاب) و(تعارف) و(تفاهم).

أما ماذا يقول من تزوجوها لو تكلموا.. فلربما سمعنا منهم عجبًا!!

(ميرفت أمين): تزوجت خمس مرات، وانتهت هٰذه الزيجات الخمس بالطلاق.

تزوجت أولًا من مغن سوري أسمه (موفق بهجت) وانفصلت عنه، ثم تزوجت من ممثل وعازف مصري أسمه عمر خورشيد وانفصلت عنه، ثم تزوجت من ممثل أسمه حسين فهمي وانفصلت عنه، ثم تزوجت من شخص أسمه حسين القلا وتطلقت منه، ثم تزوجت من رجل أعمال يدعىٰ مصطفىٰ البليدي.. وانفصلت عنه... ويشاع أنها تستعد للزواج السادس من (كاتب سينمائي معروف)!.

ما بال التعارف لم يعرّف كل واحد من هٰؤلاء بهٰذه الممثلة.. ولم يعرّفها بهم؟ أين ذهب الإعجاب الذي سبق الزواج؟ ماذا فعل الحب الذي جمع بينها وبين كل واحد من هٰؤلاء؟

لقد دام زواجها من موفق بهجت ثمانية أشهر فقط، ودام زواجها من عمر خورشيد عامًا واحدًا، أما زواجها من حسين فهمي فكان سريًا حتىٰ لا تعلم زوجته الأولىٰ به.. فلما علمت طلقها.. ثم دب خلاف بينه وبين ميرفت أمين فطلقها هي أيضًا، ودام زواجها من المنتج السوري حسين القلا عامين، ولا أعرف كم دام زواجها الأخير الذي أنتهىٰ مثل غيره بالطلاق؟

لقد كان زواجها الأول في عام ١٩٧٠، وكان زواجها الخامس في عام ١٩٨٨، أي إنها تزوجت وتطلقت خمس مرات خلال ١٨ عامًا..

(هالة صدقي) دام زواجها من رجل الأعمال مجدي مكرم ثلاثين يومًا ! أجل. دام ثلاثين يومًا، لا ثلاثين سنة، ولا ثلاثين شهرًا، ولا ثلاثين أسبوعًا! ولم يتم الطلاق، بعد الزواج الذي لم يكمل شهر (العسل) بسلام وأمان! فقد دبت الخلافات بينهما، ووصلت إلىٰ حد تبادل الأتهامات علىٰ صفحات الجرائد والمجلات.

و (رانيا فريد شوقي) التي عُقد قرانها علىٰ وليد السعيد ابن مذيعة التلفزيون أحلام شلبي، في ليلة شهدها حشد من الممثلين والممثلات، والإعلاميين والإعلاميات، رانيا هٰذه تطلقت بعد شهرين فقط من عقد قرانها.

و(نهلة سلامة) تزوجت المخرج محمد خان سريعًا، وكان طلاقها منه سريعًا أيضًا! لماذا هٰذا الطلاق السريع؟ تقول ببساطة: (اختلفت وجهات نظرنا فانفصلنا في هدوء)!

أي (وجهات نظر) هٰذه التي تنهي ميثاق الزواج بتلك البساطة؟ أما كان يمكن أن يظهر الخلاف حولها قبل الزواج !؟

و(نورا) قبل اعتزالها وحجابها، تزوجت من حاتم ذي الفقار، في حفل وصفوه في المجلات بأنه (زفاف الموسم) وكان بعد التقائهما في أحد الأفلام واشتراكهما في تمثيله، حيث حدث بينهما (مودة وتفاهم) كما ذكرت إحدىٰ المجلات.

استمر الزواج خمسة أشهر وخمسة أيام، حيث اشتد الخلاف بين الزوجين، وتم الطلاق!

وهكذا، فإن أغلب زيجات الممثلين والممثلات لا تستمر طويلًا، وما أوردته ليس إلا نزرًا يسيرًا من كثير.

أليس هٰذا دليلًا علىٰ دعواهم الباطلة بأنه لابدَّ للخاطب والمخطوبة من أن يفهم أحدهما الآخر!

زواج يستمر خمسة أشهر، وآخر شهران، وثالث شهر واحد... ! ألا يستحي كل من يدافع عن مجتمع الممثلين والممثلات، أو يظهره ويتحدث عنه حديث المعجب المهتم !

تقول (علا رامي) التي انتهىٰ زواجها إلىٰ الطلاق: (غلطة عمري أنني تزوجت بقلبي وليس بالعقل) ! لماذا إذن تثيرون في أفلامكم ومسلسلاتكم عواطف البنات، وتضللونهن بالمشاعر، وتوهمونهن بأن الزواج الذي يأتي نتيجة ما تسمونه بـ (الحب) هو الناجح، علىٰ الرغم من أن الوقائع والإحصاءات والدراسات تؤكد عكس ذلك تمامًا ! بل حتىٰ تجاربكم الزواجية الفاشلة تؤكد هٰذا أيضًا !!؟

وأرىٰ مناسبًا، في هٰذا الشأن، أن أنقل ما نشرته صحيفة أجنبية من أقوال لمجموعة من مشاهير الممثلين والممثلات، قبل زواجهم، ثم ما قالوه بعده.

قال ريتشارد بيرتون عن إليزابيث تايلور قبل زواجه منها:

جسد إليزابيث معجزة صنعها مهندس متميز العبقرية.

وقال بعد الزواج:

إنها سمينة جدًا... وساقاها قصيران جدًا.

قالت اليزابيث تايلور عن زوجها الأول كونراد هيلتون قبل الزواج:

إنه يفهمني كامرأة... وهو يفهمني أيضًا كممثلة.

وقالت بعد الزواج:

بعد أن تزوجت سقطت من سمائي الوردية بشدة، لقد فقدت بعض وزني، ولم أعد آكل إلا طعام الأطفال.

قالت إنغريد بيرغمان قبل زواجها من زوجها الثاني روبرتو وسيليني:

نحن نحب بعضنا بجنون، إنه رجل حيوي، ويجعلني أحب الحياة.

وبعد الزواج:

روبرتوا وأنا في الواقع.. مختلفان جدًا.

قالت مارلين مونرو قبل زواجها من زوجها الثاني جوديماغيو:

إن عمله كرجل رائع ومثير.

وبعد الزواج:

كل ما كان يفعله هو مشاهدة رعاة البقر في التلفزيون.

قالت زازا غابور قبل زواجها من زوجها الثالث جورج ساندرز:

إنني أحبه كثيرًا.

وبعد الزواج:

كانت المشكلة هي أنني أنا وهو كنا نحبه (إشارة إلىٰ حبه نفسه فقط).

- وقالت زازا غابور أيضًا قبل زواجها من زوجها الثاني كونراد هيلتون:

إنه مثل قطعة السكر.. لٰكن من الماس.

وبعد الزواج:

أنا لم أكره رجلًا بهٰذا القدر.. حتىٰ أنني أعدت إليه ماساته.

وقالت بريجيت باردو عن زوجها الأول روجيه فاديم:

إنه يرشدني ويشجعني ويعلمني أن أكون شجاعة.

وبعد الزواج:

أنا أحب زوجي.. لٰكن أحب جان لوي تريتنتيان أكثر.

وقالت برجيت باردو أيضًا عن زوجها الثاني جاك شارييه:

أحبه كثيرًا إلىٰ درجة أنني أحس أن ألمه هو ألمي.

وبعد الطلاق:

كان مشكلة كبرىٰ في حياتي.

وقالت ريتا هيوراث عن زوجها الأول إدوارد جورسون:

لقد هربت معه؛ لأنه يملك كل ما تحلم به فتاة، وليس هناك رجل غيره قادر علىٰ إقناعي بصبغ شعري باللون الأحمر.. وبإنزال وزني ٣٠ باوندا.

وبعد الزواج:

لقد عاملني وكأنني لا أملك عقلًا أو روحًا يخصانني.

وقالت ريتا هيوراث أيضًا ولكن عن زوجها الثاني أورسور ويلز: هٰذا بالتأكيد أفضل ما في حياتي.

وبعد الزواج:

لم أعد أحتمل عبقريته زمنًا أطول.

وقالت ريتا هيوراث نفسها، ولكن عن زوجها الثالث الأمير علي خان:

إنه أمير أمرائي!

وبعد الزواج:

علي خان يستطيع أن يفعل ما يريد.. وأنا من ضمن ما يفعل!

وقالت ريتا هيوراث ولكن عن زوجها الرابع ديك هايمز:

سوف أتبعه إلىٰ أي مكان في العالم !

وبعد الزواج:

لست أدري أين هو.. ولست أبالي أين يكون !

هل هٰذا هو الحال الذي يريدون مجتمعاتنا أن تعيش فيه؟ زواج فطلاق، ثم زواج فطلاق، ثم زواج فطلاق.

أليست هٰذا الإخفقات في الزواج دليلًا علىٰ إخفاق ما يدعون إليه؟

لقد أدركت ممثلة تزوجت وتطلقت خمس مرات أيضًا، هي الممثلة سهير رمزي، أدركت أن تلك الحياة ليست حياة صحيحة، فاعتزلت ذاك المجتمع، وشهدت علىٰ فساده، وتحجبت، والتزمت بدينها.

هؤلاء هم وهن الذين يعرضون أفلام الحب وقصص السعادة صوَّرهم الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري بما يلي:

الباءسات المائسات	كـآلـة مـن غـير روح
الناشرات بشذىٰ ومن	أعماقهن أذىٰ يفوح
الضاحكات وقد طوين	قلوبهن علىٰ جروح
آلامها الحرى، مع	الزفرات في لهف تفوح

مخدرات عاطفية:

«أكد خبراء علم النفس أن قراءة المرأة للقصص العاطفية تؤثر في حياتها العقلية، لأن هٰذه القصص تتحول إلىٰ نوع من الإدمان الذي يجعل المرأة مكتفية بالرابطة العاطفية النظرية، وهي حالة لن تساعد المرأة في حياتها الصحيحة مع الرجل بعد الزواج؛ لأنها ستحلم بالاتحاد العاطفي الذي لا

يمكن أن يكون كاملًا في الواقع الجديد».

هٰذا الخبر الذي نشرته مجلة غربية، ربما يكشف بعض أسباب ارتفاع نسب الطلاق في مجتمعاتنا هٰذه الأيام، ومعها مجتمعات الغرب أيضًا.

فالفتاة التي تقرأ روايات عاطفية، وتسمع مسلسلات مثلها من الإذاعة، وتشاهدها ممثلة علىٰ شاشات التلفزيون، تحلم بأن تعيش أجواءها في حياتها الزوجية المقبلة، فإذا ما تزوجت ووجدت أن للزواج أيضًا تبعات ومسئوليات، وواجبات نحو الزوج وليس كما صورته تلك الروايات والمسلسلات والأفلام، حسبت المسكينة أنها لم توفق في زواجها، وأن الصورة الحالمة، الغنية بالمشاعر العاطفية، والتي عاشت طويلًا في خيالها قبل الزواج، كان يمكن أن تتحقق لو تزوجت غير زوجها الحالي.

وتنشأ هوة بينها وبين زوجها، وتبدأ هٰذه الهوة بالاتساع يومًا بعد آخر مع كل صحوة علىٰ واقع الزواج، صحوة توقظها من الخدر الذي تنامىٰ وكبر طوال سنوات قراءتها وسماعها ومشاهدتها تلك القصص والروايات العاطفية.

ومع اتساع هٰذه الهوة بين الزوجين يقترب الطلاق منهما .. يقترب مع تلاشي أوهام بَثَّتْها في ذهن الزوجة مسلسلات وأفلام تدخل البيوت كل يوم.. لتصوغ التصورات وتشكل الأفكار في عقول الأولاد والبنات.. مع انشغال الآباء والأمهات.

وإذا كنا نمنع مخدرات تشكل خطرًا علىٰ صحة أبنائنا.. أفلا ينبغي أيضًا أن نمنع مخدرات سمعية وبصرية تشكل خطرًا علىٰ عقول ونفوس بناتنا؟[1]

تقول الأستاذة: سعاد محمد فرج[2]:

ما من شك أن كلَّ امرأة تميل للاقتران برجل تجد معه المودة والرحمة،

---

(١) «رسالة إلىٰ حواء»: ص٤٨٢-٤٨٣ .

(٢) انظر رسالتها: «فتىٰ الأحلام».

التي جعلها الله آية من آياته، إذ قال- سبحانه-: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

فهٰذه فطرة الله التي فطر الأنفس البشرية عليها وينبغي للمرأة ألا تكابر في الإقرار بهٰذه الحقيقة؛ لأنها إذا كابرت فهٰذا دلالة علىٰ كونها غير سوية ولا سليمة من الناحية النفسية أو التكوينية أو غيرها.

ولما كان من تمام نعمة الله علىٰ المرأة الاقتران برجل تجد في كنفه أسباب الحياة الكريمة والعيش الهنيء؛ أحببتُ أن أدلي بدلوي ببعض التوجيهات المختصة بجانبٍ من هٰذا الأمر.

والحامل علىٰ كتابة هٰذه الصفحات أنَّ بعض النساء يكون لديها بعض التصورات والتصرفات الخاطئة حيال هٰذه القضية، وخاصة الطُّرق التي يسلكها «فتىٰ الأحلام»- إن صح التعبير- عندما يريد الاقتران- بزعمه- بإحدىٰ الفتيات.

تلك الطرق التي يتملقُ من خلالها بعض الشباب بمعسول الكلام، وزُخرف القول، والأماني الوردية والوعود النرجسية، ليتزلَّف من خلالها لإخراج تلك اللؤلؤة المكنونة من صدفتها- ألا وهي أنت أيتها الأخت الحبيبة- فإذا به يتابع مكالماته الليلية، وطرقه الملتوية، فإذا ظفر بخروج فريسته معه، ونال منها ما شاء، صار يتململ من [صديقته] «سابقًا» وينظر إليها باعتبارها وردة شمَّ عبيرها وتركها بعد أن ذبلت بين يديه، مع أن المسكينة قد تعلق قلبها به، فهي لا تزال في عالم تلك الوعود الهاتفية، والأماني التليفونية.

هٰذه النهاية البئيسة تتكرر كثيرًا لبعض الفتيات مما يؤلم النفوس ويضيق الصدور؛ لذا أحببتُ أن أؤدي واجب النصح لأخواتي المسلمات للحذر من هٰذه التصرفات البغيضة، فقمت بجمع هٰذه الرسالة المتواضعة؛ لتكون تنبيهًا وإرشادًا وتوجيهًا لأولئك الفتيات الحبيبات عند أول مكالمة تكون الأمور جميلة والعلاقة حميمة، والأحلام مع (فتىٰ الأحلام) وردية والوعود كثيرة؛

لأن فتىٰ الأحلام كثير الوعود، ويعدد المزايا ويصف نفسه بالوسامة وخفة الظل والعطاء، ويحكي عن مغامراته، وكأنه هو الذي كنت تحلمين به، يسمعك الشِّعر وقصص الحب ويخدعك، وبعد مدة: تكتشف المسكينة أنها فقدت السيطرة علىٰ مقاليد الأمور، واستولىٰ كذبه علىٰ عقلها وقلبها.

ومع الأيام يستمر في خداعها قائلاً لها: من زمن وأنا أبحث عنك، ٱكتشفت أن الحياة بدونك ليست بحياة، لقد كنتُ أبحث عن قلبٍ يحبني، وعقلٍ يفهمني، وإنسانة حنونة تنتشلني من الضياع.

مسكينة هٰذه الفتاة، لقد صدَّقت كل كلمة قالها، وهو بعد ٱنتهاء المكالمة ذهب إلىٰ ضحية «مسكينة أخرىٰ».

فعند أول مكالمة تَرِدُ إليك من «معاكس»، يجب أن تعرفي أن خنجر الذل والعار قد أشهر؛ ليغرس في قلبك، فاتقي الله في نفسك فإنك ترتكبين جُرمًا عظيمًا عندما تسمحين لشاب أن يعاكسك، وجرمك الآخر عندما تقومين بمجاراته والتمادي معه.

وحينئذ يكون خطؤك كبيرًا وعظيمًا في حقك وفي حق مجتمعك الطاهر.

أيتها الأخت الحبيبة: لو كنت زوجةً فهل ترضين لزوجك أن يتغزل بأخريات غيرك؟ ولو كنت غير متزوجة فهل تصدقين أحدًا من الشبان يدَّعي أنك محبوبته الوحيدة.

قد تزخر مفكرة شابٍ ما بعشرات الأرقام الهاتفية للفتيات فيقال له: ذكيًا ورجلاً علىٰ حد تعبيرهم.. أما أنت ففكري قبل الوقوع في مهاوي الردىٰ، يقولون بأنك قادرة علىٰ مقارعة الخطوب ويمجدونك حتىٰ إذا تمكنوا منك قتلوك، يمتدحون جمالك حتىٰ إذا نالوه قالوا: «عاهرة» يقولون: ملكة جمال فإذا حال الحول قالوا: قبيحة!!

أقول لك يا أختاه.. إن الهاتف في البداية عند بعض الفتيان وبعض الفتيات وسيلة للتسلية كما يزعمون، لكن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة،

وخطوة قد تكون مسلمة لديك، خطوة واحدة فقط مكالمة هاتفية أو محاولة أو تفكير أو شيء من هٰذا القبيل وبعد ذلك ينتقل بك إلىٰ خطوة أخرىٰ، والذي بدأ الخطوة الأولىٰ يصعب عليه في الغالب أن يتوقف عن الخطوة الثانية ولهذا قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

والشيطان طويل النفس، يبدأ مع الفتاة بقضية «أحلام الزواج»، ويقنعها أن الشاب (الذئب) يريد أن يتزوجها، ولكي تحظىٰ عنده هي بالقبول وتحصل عليه وتحقق هٰذا الحلم الذي وقع في خاطرها وهو الزواج به؛ فيجب عليها أن تجامله ولا تعكر عليه مزاجه ولا تردَّ له طلبًا، لأنها تخشىٰ أن يغير رأيه فيها، فتسعىٰ إلىٰ إرضائه حتىٰ يتزوجها فعلاً، فإذا طلب منها شيئًا لبت، وإن طلب منها أن تتحدث في أمر من الأمور أجابت، وإن طلب أن يراها ٱستجابت، بأسلوب أو بآخر ودون علم أهلها بالطبع، وهناك حالات كثيرة جدًّا يترك الشاب فيها البنت بعد أن أخذ أعزَّ ما لديها، وبعدما لطخ سمعتها، ودنس كرامتها، ثم يتخلىٰ عنها ويتركها باكية حسيرة كسيرة، وهو يضحك لينتقل منها إلىٰ غيرها.

أختاه: ماذا ترجين من هٰؤلاء الشباب الذين هٰذا سلوكهم، إنك في بيت والدك وبعد ذلك إن شاء الله في بيت زوجك ملكة غير متوجة، وبين أولادك مربية وموجهة لأجيال الغد المشرق.

لو أوصدت بابك وسماعة هاتفك أمام (الذئاب) الذين يمرغون كرامتك لحفظت نفسك وربيت بناتك علىٰ الطهر والعفاف.

أختاه: أنت - كغيرك من النساء- تتطلعين إلىٰ زوجٍ أو شريك لك في الحياة في المستقبل، ولن يحدث زواج عن طريق الهاتف مهما حدث، ومهما قال لك، لأنَّ أي شاب يعلم يقينًا أن من العار عليه أن يقترن بأم أولاده عبر هٰذه الوسيلة الدنيئة ومن خلال هٰذا الطريق الموبوء، والمرأة المؤمنة حقَّ

الإيمان لا يمكن أن تتجرأ علىٰ سلوك هٰذا الطريق الشائك الموحش.
وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

فالحذر الحذر من الهاتف قبل أن يوقع بك في مرادي الهوىٰ ومزالق الحضيض، وكم من فتاة قتلت عفتها، وشينت سمعتها ووقارها، ودنست عرضها، ففقدت عقلاً يصونها، بسبب كلمات بالهواء طائرة وعبارات في أدراج الرياح مبعثرة، ندمت أن تكلمت بها، وتمنت أنها لم تسمع يومًا رنين جرس هاتف في حياتها، فاحذري رعاك الله من تدنيس نفسك بما يسوؤك في يومك وتسألين عنه في غدك، وكفاك مهانة فأنت لست سلعة للبيع، أنت إنسانة كرمها الله وأعزها، ويجب أن تعلمي أن غاية المكالمات عند الشباب لم تكن للبحث عن شريكة الحياة، ولٰكن للبحث عن موقعة يعبثون وينتصرون فيها عليك وعلىٰ أمثالك من بنات المسلمين حفظك الله وحفظ المسلمات من هٰذه الذئاب. آمين.

أختي الحبيبة: أعلمي أن الشباب المنحرف عندما يرون آمرأة في أي مكان فهم ينظرون إليها ويضحكون أمامها وكأنها أجمل آمرأة، وغرضهم هو أن يضحكوا عليها ويأخذوها لحمًا ويرموها بعد ذلك عظمًا.

فاعلمي أختي الغالية: أن هدف هٰؤلاء هو الاستمتاع بتلك المرأة لدقائق معدودة، ثم يذهب هو ويبقىٰ العار- والعياذ بالله- تحمله هٰذه المخدوعة أبد الدهر.. يشتركان في لذةٍ لثوان: ثم ينسىٰ هو، وتظل هي تتجرع ألم هٰذه اللذة المحرمة، والعار الذي يجعل كل من حولها يشيرون إليها بأصابع الاحتقار والازدراء تحترق ألمًا في الدنيا، وما أدراك ما ينتظرها في الآخرة من العذاب. إن لم يمنن الله عليها بتوبة قبل الممات.

وأمَّا حال الرجل بعد أن يسرق من الفتاة حياءها وعفتها وجوهرة قلبها فإنه ينساها، ويذهب للبحث عن «مغفلة» أخرىٰ ليسرق منها عرضها، أما هي

فتتألم من ثقل الحمل في بطنها، والهم في نفسها ووصمة العار في جبينها، والمجتمع قد يسامح الرجل مهما عمل من المعاصي إذا تاب منها وينسىٰ جميع أعماله السابقة، ولكن الفتاة إذا غلطت فإنها قد تبقىٰ سجينة هٰذه الغلطة طول عمرها، ولا ينسىٰ المجتمع لها ذلك، حتىٰ ولو تابت، وينظر الناس لها نظرات سيئة طول العمر وتمتد هٰذه النظرات إلىٰ الأولاد إذا كان لها أولاد.

لا أدري هل أذكر لك قائمة الخسائر في الحياة من جراء مكالمات المعاكسات الهاتفية؟ أم أذكر لك خسارتها في الآخرة فبعد السقوط في الهاوية وضياع الشرف والعرض، هل تستطيع تلك الفتاة المخدوعة أن تنام بالنهار أو الليل.

فهي في أرق باستمرار ودموع وندم وضياع، والأهل وما أدراك ما الأهل.. الأهل الذين أعطوها كل الثقة وذلك مقابل أن تكون جديرة بها، ما ذنبهم بما ٱقترفت، لقد أتت لهم بالذل والخزي والعار.

وكل هٰذا من أجل شاب كان يتسلىٰ ويتمتع بها، وبعد ذلك تركها وذهب إلىٰ غيرها، وكان الثمن الضياع ونفور الناس منها ومن أهلها وسمعة رديئة للأسرة بأسرها. فيجب علىٰ كل ٱمرأة قبل أن يحدث ذلك أن توصد الباب أمام أي طارق يحاول هتك العرض والشرف وأن تجعل لها سياجًا واقيًا، وأن تتنازل عن المكالمات قبل أن تتنازل عن أشياء أخرىٰ ليست بالحسبان.

إن الرجال الناظرين إلىٰ النساء مثل السباع تطوف باللحمان
إن لم تصن تلك اللحوم أسودها أكلت بلا عوض ولا أثمان

أختي الكريمة.. إن كنت عاقلة- ولا أظنك إلا كذلك- فاستمعي إلىٰ هٰذه النصائح.

لا تصدقي..

لا تصدقي أن زواجًا سوف يتم عن طريق مكالمات هاتفية عابثة، ولو تم

فإن مصيره إلىٰ الضياع والفشل والشك والندم.

لا تصدقي أن شابًا- مهما تظاهر بالصدق والإخلاص- يحترم فتاة تخون أهلها وتحادثه عبر الهاتف، أو تتصل به، أو تخرج معه، مهما أظهر لها من الحب وألان لها من القول، فهو إنما يفعل ذلك لأغراض دنيئة لا تخفىٰ علىٰ عاقل.

لا تصدقي ما يردده «أدعياء التقدم» أو ما يسمىٰ «بتحرير المرأة» من أنه لابد من الحب قبل الزواج، فالحب الحقيقي لا يكون إلا بعد الزواج وما سواه فهو في الغالب حب مُزيَّف، مؤسس علىٰ أوهام وأكاذيب لمجرد الاستمتاع بقضاء الوطر، ثم لا يلبث أن ينهار فتنكشف الحقائق ويظهر المستور .

احذري **المكالمات الهاتفية**، فإنها تسجل عند الله تعالىٰ وتكتب سيئة في صحائف أعمالك، تتمنين زوالها يوم العرض عليه- سبحانه- ويسجلها شياطين الإنس (أدعياء الحب) فيستخدمونها سلاحًا للضغط عليك، أو النيل من سمعتك وعرضك.

احذري **التصوير** بشتىٰ أنواعه، فهو من أخطر الأسلحة التي يستخدمها «ذئاب البشر» لإرغام الضحية وتهديدها وافتراسها، إذا أعيتهم الفتاة برفضها الخروج معهم.

احذري كتابة الرسائل الغرامية، فهي أيضًا من وسائلهم في التهديد والضغط.

احذري المجلات والروايات الهابطة فإنها تحمل بين صفحاتها الملونة وأوراقها المصقولة السم الزعاف والأفكار المنحرفة.

احذري المسلسلات والأفلام الهابطة المضللة التي تقتل الحياء، وتقضي علىٰ الفضيلة وتسبب هدم الأخلاق والقيم، وخاصةً ما يبثه أعداء المسلمين من اليهود والنصارىٰ وغيرهم؛ ليخرجوك عن إيمانك وعفافك.

احذري التبرج والسفور وكثرة الخروج إلىٰ الأسواق وغيرها من غير

حاجة مما يعرضك للفتن ودواعيها.

احذري رفيقات السوء الضَّالات المضلات، فإنهنَّ يُعْدين كما يعدي المريض الصحيح.

احذري جميع المعاصي والذنوب، فإنها سبب للشقاء والتعاسة وزوال النعم وحلول النقم ونزول المصائب.

وأخيرًا.. ٱحذري ملك الموت إذا جاء لقبض روحك، بالاستعداد للآخرة بالتوبة النصوح والأعمال الصالحة فإنك لا تدرين متىٰ يهجم عليك.

وبعد هٰذه النصائح ٱعلمي -وفقك الله- أنَّ باب التوبة مفتوح للتائبين، فإن كنت قد ألممت بشيء من الذنوب فبادري بالتوبة النصوح، قبل أن يُغلق الباب، ويعلوك التراب، فلا ينفع الندم حينئذ.

ولو أنَّا إذا متنا تُركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنا إذا متنا بعثنا ونُسأل بعدها عن كل شيء.

انتهىٰ كلام الأستاذة/ سعاد محمد فرج

وهاهو جيمس بوند يرجع فشل الزواج إلىٰ العلاقات الغرامية التي تكون قبل الزواج.

حيث يقول[(١)]:

وإنه ليكون أهون عليك ولا ريب أن تمنح زوجتك الإخلاص والحب والوفاء، إذا تخيرتها فأحسنت الٱختيار فبرغم أن الزواج ليس كله نعيمًا مقيمًا، إلا أن إحسان ٱختيار الشريك يجعله بالنعيم المقيم أشبه.

ولكن الذي يحدث، للأسف، أن طلاب الزواج يندفعون إلىٰ الزواج أولا، ثم يتساءلون بعد ذلك: أأحسنوا الٱختيار أم أساءوا! والإحصاءات تشير إلىٰ أن ثلث هؤلاء، علىٰ الأقل، يخرجون من هٰذا التساؤل بالحقيقة

---

(١) «الشخصية الجذابة» ص ١٠٧- ١٠٩.

المؤسفة، وهي أنهم أساءوا الاختيار!

وبرغم أن الطلاق في تزايد مروع، إلا أنه لا يصح اتخاذه وحده مقياسًا لنسبة الشقاء الزوجي فمن التعساء في زواجهم من يمسكن عن الطلاق لدواعي اجتماعية أو إنسانية، ويستمرون في معاناة التعاسة والشقاء.

ولعل المسئولية الكبرىٰ في هٰذه النسبة الضخمة للزيجات الفاشلة، ملقاة علىٰ «الحب» أو علىٰ وجه الدقة، علىٰ ذلك النوع من الحب الذي يسمىٰ «حبًا رومنتيكيا» والذي يتوهم الفتىٰ والفتاة أنه يصلح أساسًا لقيام الزواج.

ولقد كان يهون الخطب لو حمل الفتىٰ والفتاة أحدهما للآخر الود بدلاً من الحب قبل الزواج. فهٰذا أخلق بأن يقيم السعادة علىٰ عمد أرسخ من تلك التي يقيمها عليها «الحب الرومانتيكي».

وللحب «الرومانتيكىٰ» مدرسة روجت لها «الأفلام» الغرامية التي تنتجها هوليود.. ومن أهم تعاليم هٰذه المدرسة أن الحب جاذبية مغناطيسية يحسها المرء إذا ما التقىٰ بالشخص الوحيد الذي ليس له نظير ولا شبيه؛ والذي تخيرته العناية الإلهية ليكون رفيق الحياة.

فإذا التقىٰ المرء بالدرة اليتيمة، والجوهرة الفريدة، تحتم عليه أن يتخذها زوجة مهما تكن الحوائل والعوائق، فليس في هٰذه الحالة ما يعول عليه ويعتد به إلا الحب!

ووفقًا لأفلام «هوليود» يعيش الزوجان الحبيبان بعد ذلك في نشوة لا تنتهي وهناءة لا تريم.

ولكن الحقيقة والواقع يقرران غير هٰذا فقد جربت الفتاة «مارجريت» هٰذا اللون من الغرام المشبوب كانت في العشرين من عمرها، عند التقت بفارس أحلامها في رحلة بحرية..وكان فتىٰ الأحلام مصورًا صحفيًا، لبق الحديث سيال الظروف، جريئًا مقدامًا، فما لبث أن وقعا في الغرام من

اللحظة الأولىٰ.. وأفضىٰ الغرام إلىٰ الزواج وهنالك راح فعل السحر ينجاب رويدًا.. وأخذت الجاذبية المغناطيسية تضمحل شيئًا فشيًا.. ونظرت الفتاة فإذا زوجها ليس علىٰ العهد به من الكياسة، والظرف والجرأة المحببة، علىٰ الأقل ليس معها! إنه لكذلك مع الأخريات، أما إذا ٱحتواهما المنزل، فهو ممل ممجوج، لا يطيب له معها حديث، ولا يطيب لها معه حديث.

وتقول «مارجريت» والحيرة تغلبها: «لست أدرىٰ ماذا دهاه لقد كان قبل الزواج يحلق بي في سموات من السعادة والهناء وكان الوقت الذي أقضيه معه، لفرط سعادتي، لا أحسبه من عمري.. أما اليوم فكأن كلا منا في واد!».

وبرغم هٰذا فإن مارجريت، كلداتها من تلميذات مدرسة «الحب الرومانتيكي»، ميالة إلىٰ إلقاء اللوم علىٰ الزواج لا علىٰ نفسها واندفاعها في غير روية ولا تدبر.

يا بنتي!

للأستاذ علي الطنطاوي[(١)].

يا بنتي: أنا رجل يمشي إلى الخمسين، قد فارق الشباب، وودَّع أحلامه وأوهامه، ثم إني سحت في البلدان، ولقيت الناس، وخبرت الدنيا، فاسمعي مني كلمة صحيحة صريحة من سنّي وتجاربي لم تسمعيها من غيري، لقد كتبنا ونادينا، ندعو إلىٰ تقويم الأخلاق، ومحو الفساد، وقهر الشهوات، حتىٰ كلّت منا الأقلام، وملّت الألسنة وما صنعنا شيئًا، ولا أزلنا منكرًا، بل إن المنكرات لتزداد، والفساد ينتشر، والسفور والحسور والتكشف، تقوىٰ شرّته وتتسع دائرته،، ويمتدّ من بلد إلىٰ بلد، حتىٰ لم يبق بلد إسلامي (فيما أحسب) في نجوة منه، حتى الشام التي كانت فيها الملاءة السابغة، وفيها الغلو في حفظ الأعراض، و ستر العورات، قد خرج نساؤها سافرات حاسرات، كاشفات السواعد والنحور...

ما نجحنا وما أظن أننا سننجح، أتدرين لماذا؟ لأننا لم نهتد إلى اليوم إلىٰ باب الإصلاح، ولم نعرف طريقه، إن باب الإصلاح أمامك أنت يا بنتي، ومفتاحه بيدك، فإذا آمنت بوجوده وعملت علىٰ دخوله، صلحت الحال، صحيح إن الرجل هو الذي يخطو الخطوة الأولىٰ في طريق الإثم، لا تخطوها المرأة أبدًا، ولكن لولا رضاك ما أقدم، ولولا لينك ما اشتد، أنت فتحت له وهو الذي دخل، قلت للّص: تفضل... فلما سرقك اللص، صرخت: أغيثوني يا ناس سرقت... ولو عرفت أن الرجال جميعًا ذئاب وأنت النعجة لفررت منه فرار النعجة من الذئب، وأنهم جميعًا لصوص لاحترست منهم احتراس الشحيح من اللص.

---

(١) مجلة «المسلمون» المجلد الأول السنة الثالثة ص٢٦- ٣٢.

وإذا كان الذئب لا يريد من النعجة إلا لحمها، فالذي يريده منك الرجل أعزّ عليك من اللحم على النعجة، وشرّ عليك من الموت عليها، يريد منك أعزّ شي عليك: عفافك الذي به تشرفين، وبه تفخرين، وبه تعيشين، وحياة البنت التي فجعها الرجل بعفافها، أشدّ عليها مائة مرة، من الموت على النعجة التي فجعها الذئب بلحمها... إي والله، وما رأىٰ شاب فتاة إلا جرّدها بخياله من ثيابها ثم تصورها بلا ثياب، إي والله أحلف لك مرة ثانية، ولا تصدقي ما يقوله بعض الرجال، من أنهم لا يرون في البنت إلا خلقها وأدبها، وأنهم يكلمونها كلام الرفيق، ويودونها ودّ الصديق، كذب والله، ولو سمعت أحاديث الشاب في خلواتهم، لسمعت مهولًا مرعبًا، وما يبسم لك الشاب بسمة، ولا يُلين لك كلمة، ولا يقدم لك خدمة، إلا وهي عنده تمهيد لما يريد، أو هي على الأقل إيهام لنفسه أنها تمهيد!

وماذا بعد؟ ماذا يا بنت؟ فكّري!

تشتركان في لذة ساعة، ثم ينسىٰ هو، وتظلين أنت أبدًا تتجرّعين غصصها، يمضي (خفيفًا) يفتش عن مغفلة أخرىٰ يسرق منها عرضها، وينوء بك[1] أنت (ثقل) الحمل في بطنك، والهم في نفسك، والوصمة علىٰ جبينك، يغفر له هٰذا المجتمع الظالم، ويقول: شاب ضل ثم تاب، وتبقين أنت في حمأة الخزي والعار طول الحياة، لا يغفر لك المجتمع أبدً.

ولو أنك إذ لقيته نَصَبْتِ له صدرك، وزويت عنه بصرك: وأَرَيْتِهِ الحزم والإعراض... فإذا لم يصرفه عنك هٰذا الصد، وإذا بلغت به الوقاحة أن ينال منك بلسان أو يد، نزعت حذاءك من رجلك، ونزلت به علىٰ رأسه - لو أنك فعلت هٰذا، لرأيت من كل من يمرّ في الطريق عونًا لك عليه، ولما جرؤ بعدها فاجر علىٰ ذات سوار، ولجاءك (إن كان صالحًا) تائبًا مستغفرًا، يسأل الصلة

(١) هٰذا هو التعبير الأفصح: قال تعالىٰ: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾.

بالحلال: جاءك يطلب الزواج.

والبنت، مهما بلغت من المنزلة والغنىٰ والشهرة والجاه، لا تجد البنت أملها الأكبر وسعادتها إلا في الزواج، في أن تكون زوجًا صالحة، وأما موقرة، وربة بيت.

سواء في ذلك الملكات والأميرات، وممثلات هوليوود ذوات الشهرة، والبريق الذي يخدع كثيرات من النساء، وأنا أعرف أديبتين كبيرتين في مصر والشام، أديبتين حقًا - جُمع لهما المال والمجد الأدبي، ولكنهما فقدتا الزوج ففقدتا العقل، وصارتا مجنونتين ولا تحرجيني بسؤالي عن الأسماء، إنها معروفة:

الزواج أقصىٰ أماني المرأة ولو صارت عضوة البرلمان، وصاحبة السلطان، والفاسقة المستهترة لا يتزوجها أحد. حتى الذي يغوي البنت الشريفة بوعد الزواج، إن هي غوت وسقطت تركها وذهب، إذا أراد الزواج فتزوج غيرها من الشريفات؛ لأنه لا يرضىٰ أن تكون ربّة، وأم بنته، امرأة ساقطة، والرجل وإن كان فاسقًا داعرًا، إذا لم يجد في سوق اللذات بنتًا ترضىٰ أن تريق كرامتها علىٰ قدميه.

وأن تكون لعبة بين يديه، إذا لم يجد البنت الفاسقة أو البنت المغفلة، التي تشاركه في الزواج علىٰ دين إبليس وشريعة القطط في شباط طلب من تكون زوجته علىٰ سنة الإسلام، فكساد سوق الزواج منكن يا بنات لو لم يكن منكن الفاسقات ما كسدت سوق الزواج ولا راجت سوق الفجور.. فلماذا لا تعملن، لماذا لا تعمل شريفات النساء علىٰ محاربة هٰذا البلاء؛ أنتن أولىٰ به وأقدر عليه منا؛ لأنكن أعرف بلسان المرأة، وطرق إفهامها، ولأنه لا يذهب ضحية هٰذا الفساد إلا أنتن: البنات العفيفات الشريفات، البنات الصيِّنات الديّنات، في كل بيت من بيوت الشام بنات في سن الزواج لا يجدن زوجًا؛ لأن الشباب وجدوا من الخليلات ما يغني عن الحليلات، ولعل مثل هٰذا في

غير الشام أيضًا.. فألفن جماعات منكن تعيد أخواتكن الضالات إلى الجادة، خوفوهن الله، فإن كن لا يَخفْنَه، فحذروهن المرض، فإن كن لا يَحْذَرْنَه فخاطبنهن بلسان الواقع، قلن لهن: إنكن صبايا جميلات فلذلك يقبل الشباب عليكن، ويحومون حولكن، ولٰكن هل يدوم عليكن الصبا والجمال، ومتىٰ دام في الدنيا شيء حتىٰ يدوم على الصبية صباها، وعلى الجميلة جمالها؛ فكيف بكن إذا صرتن عجائز محنيَّات الظهور، مجعَّدات الوجوه؟! من يهتم يومئذ بكنَّ ومن يسأل عنكن؟ أتعرفن من يهتم بالعجوز ويكرمها ويوقرها؟ أولادها وبناتها وحفدتها وحفيداتها هنالك تكون العجوز ملكة في رعيتها، ومتوجة علىٰ عرشها علىٰ حين تكون الأخرىٰ.. أنتن أعرف بما تكون عليه! فهل تساوي هٰذِه اللذة تلك الآلام؟ وهل تشتري بهٰذِه البداية تلك النهاية؟!

وأمثال هٰذا الكلام، لا تحتجن إلىٰ من يدلكن عليه، ولا تعد من وسيلة إلىٰ هداية أخواتكن المسكينات الضالات، فإن لم تستطعن ذلك معهن، فاعملن علىٰ وقاية السالمات من مرضهن، والناشئات الغافلات من أن يسلكن طريقهن.

وأنا لا أطلب منكن أن تَعدن بالمرأة المسلمة اليوم، بوثبة واحدة إلىٰ مثل ما كانت عليه المرأة المسلمة حقًا، لا. وإني لأعلم أن الطفرة مستحيلة في العادة، ولٰكن أن ترجعن إلى الخير خطوة خطوة، كما أقبلتن على الشر خطوة خطوة، إنكن قصرتن الثياب شعرة شعرة، ورققتن الحجاب، وصبرتن الدهر الأطول، تعملن لهٰذا الانتقال، والرجل الفاضل لا يشعر به، والمجلات الداعرة تحث عليه، والفساق يفرحون به، حتىٰ وصلنا إلىٰ حال لا يرضىٰ بها الإسلام، ولا ترضىٰ بها النصرانية، ولم يعملها المجوس الذين نقرأ أخبارهم في التاريخ إلىٰ حال تأباها الحيوانات. إن الديكين إذا ٱجتمعا على الدجاجة ٱقتتلا غيرة عليها وذودًا عنها، وعلى الشواطئ في الإسكندرية وبيروت رجال مسلمون لا يغارون علىٰ نسائهم المسلمات أن يراهن

الأجنبي، لا أن يرىٰ وجوههن.. ولا أكفهن... ولا نحورهن... بل كل شيء فيهن! كل شيء إلا الشيء الذي يقبح مرآه ويجمل ستره، وهو حلقتا العورتين وحُلمتا الثديين.. وفي النوادي والسهرات التقدمة الراقية، رجال مسلمون يقدمون نساءهم المسلمات للأجنبي ليراقصهن، يضمهن حتىٰ يلامس الصدر الصدر والبطن البطن، والفم الخد والذراع ملتوية على الجسد ولا ينكر ذلك أحد. وفي الجامعات المسلمة شباب مسلمون يجالسون بنات مسلمات متكشفات باديات العورات ولا ينكر ذلك الآباء المسلمون ولا الأمهات المسلمات، وأمثال هٰذا.

وأمثال هٰذا كثير، لا يُدفع في يوم واحد، ولا بوثبة عاجلة، بل بأن نعود إلى الحق، ومن الطريق الذي وصلنا منه إلى الباطل، ولوجدناه الآن طويلًا - وإن من لا يسلك الطريق الطويل الذي لا يجده غيره لا يصل أبدًا.

وأن نبدأ بمحاربة الاختلاط، والاختلاط غير السفور، وأنا لا أمنع من كشف الوجه، إن كان لا يتحقق بكشفه الضرر على الفتاة والعدوان علىٰ عفافها، وأراه عند أمن الفتنة خيرًا من هٰذا نسميه في بلاد الشام حجابًا، وما هو إلا ستر للمعايب، وتجسيم للجمال، وإغراء للناظر. السفور إن اقصر على الوجه، نقبل به وإن كنا نرى الستر أحسن وأولىٰ، أما الاختلاط فشيء آخر، وليس يلزم من السفور أن تختلط الفتاة بغير محارمها، وأن تستقبل الزوجة السافرة صديق زوجها في بيتها، أو أن تحييه إن قابلته في الترام، أو لقيته في الشارع، وأن تصافح البنت رفيقها في الجامعة، أو أن تصل الحديث بينها وبينه، أو أن تمشي معه في الطريق، وتستعد معه للامتحان، وتنسىٰ أن الله قد جعلها أنثىٰ وجعله ذكرًا، وركب في كلٍّ الميل إلى الآخر، فلا تستطيع هي ولا هو ولا أهل الأرض جميعًا، أن يغيّروا خلقة الله، وأن يساووا بين الجنسين أو أن يمحوا من نفوسهم هٰذا الميل، وإن دعاة المساواة والاختلاط باسم المدنية، قوم كذابون من جهتين: كذابون لأنهم ما أرادوا من هٰذا كله إلا

إمتاع جوارحهم وإرضاء ميولهم، وإعطاء نفوسهم حظها من لذة النظر، وما يأملون به من لذائذ أخر. ولكنهم لم يجدوا الجرأة علىٰ التصريح به، فلبسُوه بهٰذا الذي يهدفون به من هٰذِه الألفاظ الطنانة التي ليس وراءها شيء؛ التقدمية، والتمدن، والحياة الجامعية، وهٰذا الكلام الفارغ علىٰ دوّيه من المعنىٰ فكأنه الطبل، وكذابون؛ لأن أوروبا التي يأتمون بها، ويهتدون بهديها ولا يعرفون الحق إلا بدفعتها عليه فليس الحق عندهم الذي يقابل الباطل، ولكن الحق ما جاء من هناك من باريس ولندن وبرلين ونيويورك، ولو كان الرقص والخلاعة والاختلاط في الجامعة والتكشف في الملعب والعري على الساحل. والباطل ما جاء من هنا من الأزهر والأموي وهاتيك المدارس الشرقية، والمساجد الإسلامية، ولو كان الشرف والهدى والعفاف والطهارة، طهارة القلب وطهارة الجسد، إن في أوربا وفي أميركا، كما قرأنا وحدثنا من ذهب إليهما أسرًا كثيرات لا ترضىٰ بهٰذا الاختلاط ولا تسيغه وإن في باريز (في باريس يا ناس) آباء وأمهات يسمحون لبناتهم الصبايا الكبيرات أن يسرن مع شاب أو يصحبنه إلى السينما، بل هم لا يدخلونهن إلا إلىٰ روايات عرفوها وأيقنوا بسلامتها من الفحش والفجور اللذين لا يخلو منهما مع الأسف واحد من هٰذِه التهريجات والصبيانيات السخفية التي تسميها شركات مصر الهذيلة الرقيعة الجاهلة بالفن السينمائي مثل جهلها بالدين تسميها أفلامًا:

يقولون: إن الاختلاط يكسر شرَّة الشهوة، ويهذب الخلق، وينزع من النفس هٰذا الجنون الجنسي وأنا أحيل في الجواب علىٰ من جرّب الاختلاط في المدارس، روسيا التي لا تعود إلىٰ دين ولا تسمع رأي شيخ ولا قسيس ألم ترجع عن هٰذِه التجربة؛ لما رأت فسادها، وأميركا، ألم تقرأوا أن من جملة مشاكل أميركا، مشكلة ازدياد نسبة الحاملات من الطالبات؛ فمن يسرّه أن يكون في مصر والشام، وسائر بلاد الإسلام مثل هٰذِه المشكلة، وأنا لا أخاطب الشباب، ولا أ طمع في أن يسمعوا لي، وأنا أعلم أني سأهيج عليَّ

منهم مثل عش الزنابير يردّون عليّ ويسفّهون رأيي، لأني أحرمهم من لذائذ ما صدقوا أنهم قد وصلوا إليها حقًا، ولكن أخاطبكن أنتن يا بناتي، يا بناتي المؤمنات الدينات، يا بناتي الشريفات العفيفات، إنه لا يكون الضحية إلا أنتن، فلا تقدمن نفوسكن ضحايا علىٰ مذبح إبليس، لا تسمعن كلام هٰؤلاء الذين يزينون لكُنَّ حياة الآختلاط باسم الحرية والمدنية والتقدمية والحياة الجامعية، كان أكثر هٰؤلاء الملاعين لا زوجة له ولا ولد ولا يهمه منكن جميعًا إلا اللذة العارضة، أما أنا فإني أبو أربع بنات فأنا حين أدافع عنكن أدافع عن بناتي، وأنا أريد لكُنَّ من الخير ما أريده لهن.

إنه لا شيء مما يهرف به هٰؤلاء يردُّ على البنت عرضها الذاهب، ولا يرجع لها شرفها المثلوم، ولا يعيد كرامتها الضائعة، وإذا سقطت البنت لم تجد واحدًا منهم يأخذ بيدها، أو يرفعها من سقطتها، إنما تجدهم جميعًا يتزاحمون علىٰ جمالها، ما بقي فيها جمال، فإذا ولّىٰ ولَّوا عنها كما تولّى الكلاب عن الجيفة التي لم يبقَ فيها مزعة لحم، هٰذا نصيحتي إليك يا بنتي، وهٰذا هو الحق فلا تسمعي غيره، واعلمي أن بيدكِ أنتِ، لا بأيدينا معشر الرجال بيدك مفتاح باب الإصلاح فإذا شئت أصلحت نفسك وأصلحت بصلاحك الأمة كلها.

والسلام عليكِ ورحمة الله وبركاته.

شباب ذئاب(١)

كان من الشباب المتحرر من بعض مفاهيم الأخلاق والقيم يدعو إلى انطلاق الفتاة، واختلاطها بالشباب وحريتها في فعل ما تريد، والذهاب حيث تشاء، وكان يمضي كثيرًا من أوقات فراغه في السهرات والرحلات مع كثير من النساء والفتيات.

جاءني يقول لي: لقد قررت الزواج، قلت له: حسنًا تفعل، ولكن هل خطبت؟ قال: أريد أن أعتمد عليك في هذا الأمر؛ لتدلّني علىٰ من تعرف من أسر عندها فتيات مناسبات.

قلت: عجبًا! إنك تعرف من الفتيات أضعاف ما أعرف. قال: أجل، ولكن ليس بينهن واحدة تصلح للزواج. قلت: وكيف تريدها؟ قال: أن تكون فتاة مهذبة، ذات أخلاق عالية، متعلمة من أسرة محترمة، وعلىٰ قسط من الجمال.

هذا الشاب نموذج لكثير من شباب مجتمعنا، يدعون الفتاة إلى التحرر والانطلاق والتحلل ليعيشوا شبابهم، ويمتّعوا نفوسهم! فإذا ما أرادوا الزواج زهدوا في من يعرفون من الفتيات، وبحثوا عن المؤدبات المحتشمات.

إنهم يناقشون الأمر مناقشة يسيره: ما دامت هذِه الفتاة تخرج معي اليوم دون أن يربطني بها رابط، فما أدراني أنها لا تخرج مع غيري غدًا؟!

وإن كان لابد من حساب الربح والخسارة ما دمنا في عصر الاقتصاد والتجارة، فإن الشاب لن يخسر شيئًا وتكون الخسارة كلها علىٰ حساب الفتاة المسكينة المغرر بها.

احذريهم أختي الكريمة. احذري بعض الشباب الذين هم أقرب ما يكونون إلى الذئاب. ا.هـ.

قلت: وصدق الشاعر حين قال:

---

(١) «رسالة إلىٰ حواء» ص٦٦، ٦٧.

وزادني كلفًا في الحب أن منعت أحب شيء إلى الإنسان ما منعا

رومانسية زائلة أم مودة دائمة(١)؟!

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾(٢).

كثيرًا ما كنت أتوقف عند وصفه تعالىٰ للصلة بين الأزواج بأنها صلة ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وأتأمل في دقة الوصف، فليست العلاقة علاقة عشق و هيام، وصبابة وغرام، كما هي بين بعض الرجال والنساء الذين لا تربطهم رابطة الزواج، أو بين المخطوبين أو المحبوبين قبل أن تربطهما رابطة الزواج.

إنها صلة محبة هادئة ﴿مَّوَدَّةً﴾ وصلة ﴿وَرَحْمَةً﴾ متبادلة، صلة السكن والاستقرار، كما يقول صاحب «الظلال»، - رحمه الله-: قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجًا، وأودعت نفوسهم هٰذِه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكنًا للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقرارًا للحياة والمعاش، وأنسًا للأرواح والضمائر، واطمئنانًا للرجل والمرأة على السواء.

وأريد هنا - أيضًا- أن أقف بك علىٰ حالة تخضع لها بعض النساء حيث تصور لهن القصص والمسلسلات العلاقة بين الزوجين بأنها علاقة صبابة وغرام، وعشق دائم وهيام، أو أنها يجب أن تكون هكذا، فإذا تزوجت الفتاة وهدأت عاطفتها المشبوبة، واستقرت مشاعرها المتأججة، حسبت أن زواجها قد فشل، وأن زوجها ليس الرجل الذي كانت تحلم به وليس الزوج المناسب لها.

(١) من كتاب: «رسالة إلىٰ حواء» ص٢٩٥-٢٩٧.

(٢) الروم: ٢١.

يقول: د. فريدريك كونيغ، أستاذ علم النفس بجماعة تولين: إن الحب الرومانسي قوي، وعاطفي جدًا، ولكنه لا يدوم، بينما الحب الواقعي مرتبط بالأرض والحياة، ويستطيع أن يصمد أمام التجربة، إن كل إنسان يحس بالشوق الكبير إلى الحب الرومانسي، وكثيرًا ما يحس بأن هناك خطأ فيه؛ لأنه لم يمر بهٰذا الحب في حياته.

وغالبًا ما تبحث المرأة عن الشخص المثالي الكامل، الذي تستطيع أن تعيش معه حبها الرومانسي وتضع في ذهنها ألا تتنازل عن شيء من شروطها؛ لذلك تدير ظهرها للرجال الذين تحس معهم بإمكانية بناء علاقة لها معنىٰ، ويمكن أن تعيش في الواقع، ولكنها تجد في كل رجل شيئًا من النقص وهي تقارنه بالصورة المثالية في ذهنها.

ويضيف د. كونيغ: إنه من المستحيل أن يصل الإنسان إلىٰ تطويع العواطف القوية في الحب الرومانسي، إن هٰذا الحب يبدو مثل الكعكة، يحس الإنسان بالمتعة وهو يتناولها.. ثم يجيء زمن الهبوط، بينما الحب الواقعي هو الذي يعني تقاسم الحياة اليومية، والتعاون من أجل أن يستمر، وفي مثل هٰذا التعاون يستطيع الإنسان أن يصل إلىٰ حاجته الإنسانية.

وهكذا، عزيزتي حواء، يؤكد علماء النفس والاجتماع، حقيقة أوضحها القرآن الكريم من أربعة عشر قرنًا... كيف لا.. والقرآن من لدن الله تعالىٰ.. خالق الإنسان. والآن أختنا المسلمة، أيهما أفضل لك؟

حب رومانسي لا يدوم، أم مودة ورحمة دائمتان؟

الفتاة التي تلعب بالنار(١)

هٰذِه الفتاة التي رضيت أن تسلك هٰذا الطريق الوعر الحافل بالمخاطر

(١) من كتاب: «مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية».

والأشواك التي يمكن أن تمزق عنها ثياب العفة.

كيف تلعب بالنار؟ النار التي تحرق سمعتها وتدمر مستقبلها أما علمت أن شرف الفتاة كالثوب الأبيض، وهٰذِه العلاقة تظل نقطة من مداد أسود في ثوب شرفها الناصع البياض؟

أما عَلِمتْ أن الحياة مليئة بالخداع والمكر، حافلة بالذئاب الماكرة في لباس البشر؟ أيتها الفتاة. فإن فيك الرقة، وفيك الوداعة، وفيك البراءة، وفي قلبك الرقيق ينابيع الحب والرحمة والحنان. لا تمنحيها لأول طارق، واحتفظي بها، وادخريها لزوجك لفارس أحلامك، لأسرتك التي لا تقوم إلا بهٰذِه العواطف النبيلة.

لا تصدقي كلام الأقلام والمسرحيات والأغاني، فإنها: «أكل عيش» فهٰؤلاء يبنون ناطحات السحاب علىٰ أنقاض جروح الفضيلة، ويرفلون في أثواب الترف، ويتقلبون في أحضان النعيم، إذا ٱنهارت الأخلاق وسادت الرذيلة، وراجت متطلبات الدعارة... هٰؤلاء الذين ترينهم يمثلون أمامك أدوار الحب والغرام من أتعس خلق الله وأشقاهم في واقع الحياة.

كحامل لثياب الناس يغسلها   وثوبه غارق في الرجس والنجس

إن الفتاة التي تراسل الفتىٰ أو تعطيه صورًا فكأنما تهديه حياتها ومستقبلها.. وهي الوسائل التي تمكِّنُه من ٱبتزازها تحت ضغط أدلة الإدانة التي تحفَّظ عليها وربما دعته الظروف إلىٰ إشهار هٰذا السلاح لينتقم منها ويشهر بها، ويهدم صرح حياتها... والفشل في الحب يصنع الكوارث. هٰذا الفتى الذي يرسل إليك الخطابات يشكو فيها حرقة الجوىٰ ولوعة النوىٰ ويصف فيها ورد الخدود، ورمان النهود، وأغصان القدود. ٱحذريه..

إنه ذئب ماكر في ثوب محب ولهان.. يتسلىٰ بك، ويضحك عليك، ويتخذك متنفسًا مؤقتًا لعواطفه.. إنه يضع طُعْمة في الشبكة والفخ.. وطعمة الألفاظ المعسولة، وتكلف البطولة، والمفاهيم المزيفة باسم التحرر

والانطلاق، والتمتع بالحياة، والتفكير العصري، إنه بطعمه هٰذا يحاول أن يستغل براءتك؛ ليخدر أحاسيسك ومشاعرك ويحصل علىٰ أقصىٰ ما يستطيع منك من متعة رخيصة ليمضي هو خفيفًا. ثم تروح السكرة وتأتي الفكرة، وتنظرين حواليك لتجدي جيوش الفضيحة والعار تهزك بعنف، وتحيط بك من كل جانب.

هٰذا المحب الذي سهر الليالي، وعد النجوم، وشكا همومه إلى النسيم، وأخلصت له «ليلاه» وأعطته جسمها وعرضها.

هٰذا الثعلب الماكر لو قُدِّر له أن يخطب عروسًا في اليوم لتكون زوجة له وأمًا لأولاده. لما اختاره مثل هٰذِه زوجة أبدًا.. إنه سيجتهد في البحث ويحقق ويدقق، ويحلل ويمحص، ويسأل ويتساءل يقدم رجلًا ويؤخر أخرىٰ.. لماذا؟

لأنه أصيب بالشك، فهو يخاف أن يسقط علىٰ إنسانة ملوثة كما لوث هو الأخريات. وهكذا ذهب الحب (المزعوم) وتبخر وتلاشى مع أول جريمة صنعها أو قُبلة اختلسها، وألقىٰ بحبيبة القلب إلىٰ عرض الطريق كما يلقى المدخن (عَقِبَ) سيجارته بعد أن قضىٰ منها وطره، وأشبع نهمه ليدوسها كل من يمر بها دون أن يلقىٰ لها بالًا.. ويتولىٰ عنها ولسان حاله يقول:

لا تأمن الأنثىٰ جئتك بودها ... إن النساء ودادهن مقسم

اليوم عندك دُلُّها وحديثها ... وغدًا لغيرك كفها والمعصم

ونتيجة لهٰذا الحب الأرعن تصاب الفتاة بالإحباط، وتلعن الحب، وتلعن معه كل الرجال وتنطوي علىٰ نفسها يطاردها ماضيها الأليم، وتجد ذكريات الأسىٰ ليذيقها الضمير أبشع ألوان العذاب، وكأنه وقدات تلذع قلبها. وربما كان رد الفعل أقوىٰ، فتسمم حياتها الزوجية، وتنتقم من المحب الهارب في صورة زوجها المسكين!!

إن الرجل يحب في الفتاة شرفها وفضيلتها.. يحب فتاة بلا ماض. فتاة عذراء الروح.. بكر الفؤاد، لم يستهلك طاقة الحب في قلبها الرقيق بشر، ولم

يلوث جسدها الطاهر إنسان.

هٰذِه الفتاة هي التي تلهب مشاعر الفتىٰ، وتجعله يلهث وراءها، لا أقصد الذي يريد أن يلهو ويتسلىٰ بها، ولكنه الذي يريد الزواج.. الذي يريد حبًا مع النفاذ.

وإننا لنجد في تراثنا العربي شمم المرأة العربية وأنفتها حين تقف قوية المراسي أمام عواطفها. قيل لعتبة بعد موت عاشقها: ما كان يضرك لو أمتعته بوجهك: قالت: منعني من ذلك خوف العار وشماتة الجار، ومخافة الجبارِ وإن بقلبي أضعاف ما بقلبه - غير أني أجد سترهُ أبقىٰ للمودة، وأحمد للعاقبة، وأطوع للرب، وأخف للذنب.

احذري أن تخدعي عن نفسك.. إن المرأة أشد ٱفتقارًا منها إلى الحياة.

إن الكلمة الخادعة إذ تقال لك، هي أخت الكلمة التي تقال ساعة إنفاذ الحكم للمحكوم عليه بالشنق يغترونك بكلمات الحب، والزواج، والمال، كما يقال للصاعد إلى الشناقة: ماذا تشتهي؟ ماذا تريد؟

الحب؟ الزواج؟ المال؟ يا لحم الدجاجة. بعض كلمات الثعلب هي أنياب الثعلب.

أيتها الشرقية ٱحذري.. ٱحذري.

احذري السقوط، إن سقوط المرأة لهوله وشدته ثلاثة مصاب في مصيبة.

سقوطها هي، وسقوط من أوجدوها، وسقوط من تُوجدهم. نوائب الأسرة كلها. قد يسترها البيت إلا عار المرأة. فيد العار تقلب الحيطان كما تقلب اليد الثوب فتجعل ما لا يرىٰ هو ما يرىٰ. والعار حكم ينفذه المجتمع كله، فهو نفي من الٱحترام الإنساني.

أيتها الشرقية ٱحذري، ٱحذري.

لو كان العار في بئر عميقة لقلبها الشيطان مئذنة ووقف يؤذن عليها.

يفرح اللعين بفضيحة المرأة خاصة، كما يفرح أب غني بمولود جديد في

بيته. واللص والقاتل والسكير، والفاسق، كل هٰؤلاء علىٰ ظاهر الإنسانية كالحر والبرد.

أما المرأة حين تسقط، فهٰذِه من تحت الإنسانية هي الزلزلة. ليس أفظع من الزلزلة المرتجة تشق الأرض إلا عار المرأة حين يشق الأسرة.

«أيتها الشرقية. ٱحذري، ٱحذري».

الدين والحب(١)

وهل عليَّ من حرج إن تحدثت في الحب؟..

ربما توهم بعض الناس ذلك!.. فأنا لا أزال أذكر يوم أن ترجمت تلك القصة العاطفية (مم وزين) وخرجت بها على الناس، وهي قصة ليس فيها من الحب إلا أنينه وآلامه وسموه وعفافه. فقد ٱنهال عليّ يومها، إلىٰ جانب عبارات الإعجاب كثير من كلمات النقد والعتاب.

وعجبت طائفة من الناس، وراحت تتساءل: كيف يستقيم أن يكتب الإنسان في دقائق الفقه والأصول، ثم ينقلب فيكتب في رقائق الشجو والحنين؟.. وقال قائل منهم: شيخ، ويتكلم في الحب؟!..

وأجمعت العزم إذ ذاك علىٰ أن ٱكتب فصلًا في هٰذا الصدد؛ فقد رأيت أن هٰذا التعجب والاستعظام ليس إلا واحدة من النتائج الكثيرة لما ٱستقر في أذهان بعض الناس من صورة غير صحيحة عن الإسلام!..

ثم عرضت لي شواغل صرفتني عن كتابة هٰذا البحث، ثم إني نسيت الحادث ومر زمن طويل، فلم ٱكتب شيئًا.

وفي هٰذِه الأيام، ذكرني شاب من الناس بما كنت قد عزمت علىٰ كتابته

(١) مقال للدكتور البوطي في مجلة (حضارة الإسلام) ص٥٠.

من قبل، وسألني سؤالًا جدد في نفسي العزم علىٰ نشر ما قد كنت طويته في نفسي ولم أكتبه. ورأيت أن أجعل من حديثي مع هٰذا السائل وجوابي له، مقالًا أكتبه في هٰذا الموضوع.

سألني الشاب، بعد أن استوثق أني لن أضيق ذرعًا بسؤاله:

ما رأي الإسلام في الحب؟..

فقلت له: عليك أن تصحح صيغة السؤال أولًا. فإن الإسلام ليس رجلًا من الناس ولا هو تأليف رجل من الناس، حتىٰ يكون صاحب رأي وفكر فيما يقرره ويرتئيه. وإنما الإسلام مجموعة الأحكام الإلهية التي ألزم الله -ﷻ- بها عباده قضاءً مبرمًا لا خِيَرة لأحد من الناس فيها.

ولو كان ما ينطق بها الإسلام من الأحكام رأيًا، لكان لكل رأي آخر أن يتكافأ معه في النظر والبحث. فما كانت الحقيقة لتتبدىٰ ظاهرة لرأي عاقل واحد، وتتستر محتجبة عن عقول الآخرين.

وما أظنك يا هٰذا إلا متأثرًا - من حيث لا تشعر- بتلك الكلمة التي صاغها خبيث متقصد، وراح يختم بها علىٰ آذان الناس في حديث إذاعي متكرر، وهي كلمة «رأي الدين». وذلك كي تنصقل في آذان الناس، فتنفذ منها إلىٰ عقولهم، فيستقر فيها من حيث لا يشعرون أن أحكام الإسلام إن هي إلا آراء إنسانية من السهل جدًا أن تُقرع بآراء مثلها.

فهي كما تقول: رأي علم الاجتماع كذا.. ورأي الفلسفة كذا... ورأي علم الطبيعة كذا.. وللدين أيضًا رأي بين هٰذِه الآراء. وهو كذا!!..

ومعاذ الله أن يكون الأمر كذلك. إن الدين الحق إنما هو خطاب خالق الكون كله للنخبة الممتازة من مخلوقاته آمرًا وناهيًا ومقررًا. وهيهات أن يقارَع شيء من ذلك بنقد أو برأي.. إذًا لكان للرأي أن يقارع شيئًا من قضاء الله في خلقه، فليس هٰذا إلا مثل ذاك وما كلاهما إلا مظهر لعبودية الإنسان لمالكه وخالقه - جل جلاله-.

ثم قلت: للسائل: وإنما ينبغي أن تكون صغية سؤالك:

ما هو حكم الإسلام في الحب؟

قال: فهٰذا ما قصدته وإنما سبق لساني إلى الصيغة الشائعة كما قلت.

قلت له: ولٰكن الإسلام لا حكم له في الحب، أرأيت أن الإسلام يحكم بشيء على الكراهية والحزن والخوف والجوع؟.. فهو أيضًا لا يحكم بشيء على الحب.

وبيان ذلك أن أحكام الإسلام إنما هي عبارة عن التكاليف المنوطة بالعباد من إيجاب وتحريم وندب وكراهة وإباحة. وهي إنما تتعلق بما يصدر عن الإنسان من أفعال ٱختيارية، لا بما ٱستكن فيه من ٱنفعالات ومشاعر قسرية. ومعلوم أن الحب من جملة الأنفعالات القسرية التي لا سلطان للإنسان عليها.

ألم تسمعهم يقولون: الإسلام دين الفطرة؟

قال: بلىٰ. قلت فهٰذا الذي سمعته إنما هو من وصف رب العالمين له في مثل قوله - جل جلاله-: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(١)].

ومعنىٰ كونه دين الفطرة، أنه يلبي كل حاجات الإنسان وتطلعاته وأشواقه الأصيلة، في صورة من العدل والاستقامة والتنظيم. أي أنه لا يكبت في الإنسان شيئًا من مشاعره وانفعالاته ووجدانه، ولكنه يعلِّمه السبيل الأمثل إلىٰ معالجتها والاستجابة لها.

فالإسلام لا يقول لك في شيء من أحكامه: لا تجع، أو لا تكره، أو لا تحب.

ولكنه يقول لك: إذا جعت فلا تسرق، وإذا كرهت فلا تظلم، وإذا

---

(١) الروم: ٣٠.

أحببت فلا تنحرف.

ثم إنه يضع أمامك لمعالجة الجوع، مشروعية الكدح والعمل من أجل الرزق. ويضع أمامك لمعالجة الكراهية، نظام العدل و المقاضاة في الحقوق، ويضع لمعاجلة ما تلقاه بين جنبيك من لواعج الحب قانون النكاح والزواج.

ومن هنا تعلم أن الإسلام لا يحاسب الإنسان علىٰ شيء من هٰذِه المشاعر والانفعالات التي جبلت عليها النفوس، ولٰكن الإسلام إنما يحاسب الإنسان علىٰ ما قد يجترحه من أفعال غير مشروعة بسائق تلك المشاعر والانفعالات.

غير أن هٰذا كله ليس إلا جزءًا من الجواب علىٰ سؤالك. وتتمته أن تعلم بأن ما قلته لك لا يعني أن تعرض فؤادك لعواصف الحب وصواعقه المحرقة، ذلك لأن التسبب إلىٰ شيء منه داخل في جملة الأفعال الٱختيارية التي تستطيع أن تسيطر عليها لا في جملة الٱنفعالات التي لا قبل لك بها.

ومشاعر الحب والعواطف في كيان الإنسان، أشبه ما تكون بسراج يتقد في غرفة بليل، فإن أطفأت السراج ٱنقلب المكان إلىٰ ظلام موحش دامس، وإن بالغت في رفع الذبالة ومد لسان اللهب تحول السراج المضيء إلىٰ نار محرقة قد تحيل الغرفة كلها إلىٰ ألسنة من اللهب!..

وإنما يكون الحب في فؤاد الإنسان بمثابة السراج المضيء إذا كان الإسلام قد هذب كيانه وأقامه علىٰ صراط من الٱعتدال الذي شرعه الله له.

فلا هو يضرب علىٰ نفسه نطاقًا من الحرمان والقسوة المتجانفين عن هدي الإسلام، ولا هو يمد اليد والعين إلىٰ كل ما يلوح أمامه من مظاهر المتعة والأهواء ويذهب نفسه حسرات وراءها.

ثم إذا كان المجتمع من حوله، مهذبًا هو الآخر بآداب الإسلام، كان هٰذا السراج المضيء في قلبه دليل سعادة غامرة، تموج بعبير الزهر والريحان، لا تشوبها أشواك دامية ولا آلام كاذبة، وإنما يبغي الإسلام من وراء ما يشرعه

من تهذيب للفرد والمجتمع تحقق هٰذِه السعادة التي لا يمكن أن تتحقق إلا باتباع منهجه وحكمه.

أما إن لم يكن المجتمع من حوله متسمًا بآداب الإسلام ومتقيدًا بحكمه، فإن له من عقيدته الجاثمة في قلبه وعباداته التي تملأ رحاب وجدانه، ما يضمن له السمو فوق مغريات المجتمع ومفسداته، ويعينه على التقيد بنظام الإسلام وحكمه.

ثم إن ذلك السراج المتقد من وراء ضلوعه، قد ينفث فيها بين الحين والآخر ضرامًا كاويًا وآلامًا مبرحة، وقد تمتد منه إلىٰ قلبه خفقات تذهب بنوم عينيه وراحة فكره، ولٰكن اعلم أيها السائل أن مثل هٰذا الحب ما التقىٰ في القلب مع عقيدة مسلمة صادقة، إلا كان لصاحبه منهما مزيج من السمو الروحي العجيب، يكسبه نشوة ورضىٰ، يجدهما من خلال دمعه الساخن ويحس بهما ضمن آهاته الصاعدة. وما هذب الإنسان شيء مثل هٰذا الحب، وما بصره بأسرار الروح شيء مثل هٰذا الحب، وما بصره بأسرار الروح شيء مثل تباريحه ولواعجه!.

وكم في الناس من تعساء، إذ حيل بينهم وبين ثمرات حبهم ولكنهم مع ذلك عاشوا سعداء بالحب نفسه!..

معذبون.. يقطعون هدأة الليل في حسرات كاوية تشفق عليهم منها النجوم في سمائها البعيدة، ولكنهم أسعد بذلك العذاب من النائم الذي يغط مستغرقًا في أحلامه الرائعة!..

هائمون.. لا يفقهون من شدو العنادل في الخمائل والرياض، إلا رجع الأنين المنبعث من صدورهم، ولكنهم أطرب لما يسمعون من أولئك الذين يصغون بآذان ملؤها اللهو والمرح.

وهل في الدنيا كلها عذاب أبعث على النشوة من عذاب الحب؟..

وهل سمع الناس عن نار تنشر كلما اتقدت مزيدًا من عبق النعيم غير نار الحب؟.

أولم تسمع بقيس العامري، يوم أن ذهب به أبوه إلىٰ بيت الله الحرام، بعد أن ٱستيأس من ليلاه وحيل بينه وبينها، رجاء أن يدعو لنفسه بالشفاء من حبها فيجاب دعاؤه. فلما صار عند الكعبة، قال له أبوه تعلق بأستار الكعبة واسأل الله أن يعافيك من حب ليلىٰ. فتعلق بأستار الكعبة ولكنه قال:

اللهم زدني لليلىٰ حبًا، وبها كلفًا، ولا تنسني ذكرها أبدًا..

ثم قلت للسائل: ولكن إياك أن تخطئ فتحسب أن هٰذا هو الحب الذي يتحدث عنه كثير من أدعياء الأدب اليوم في كتاباتهم، والذي يمثله الممثلون في أفلامهم، ويتهامس به كثير من الشبان والفتيات في خلواتهم.

إن هٰؤلاء أبعد ما يكونون عن المعنى الذي ذكرناه، وإنما الحب في حسابهم شيء لا يتجاوز خائنة الأعين وتقلباتها.

إنهم إنما يفقهون من الحب، ذاك الذي يتسلل حيث عيون الشرف والدين غافلة، ويختفي حيث تبدأ قداسة الشريعة وروح الزواج!..

والحب عندهم، كلمات منمقة تصاغ منها شبكة صيد توضع كل أسبوع في طريق ضحية جديدة!..

فلو تجسد هٰذا الحب، لما رأيته تمثل إلا في أقبح ما يمكن أن يتصور فيه الكيد والظلم والامتهان!.

فإن كنت عن هٰذا الحب تسألني، فاعلم أنه ليس إلا مكيدة مقنعة جاءت تتسلل في مظهر ٱنفعال متألم خافق! وأين هٰذا مما قد وصفته لك؟

الحب، الذي يشدو به كثير من الناس اليوم، ليس إلا كلمة غاض كل ما قد كان فيها من الفضائل و تجمع كل ما لم يكن فيها من الرذائل.

كان الحب سرًا من أسرار القلب يربي فيه فضائله، ويحوط بالحفظ كمالاته، ويغرس في النفس بذور الرحمة والإنسانية بعد أن يقتلع منها جذور الأثرة والأنانية، فكان بذلك خير مهاد لبناء الأسرة، وأفضل روح لتضامن الأمة، وأقوىٰ زناد لتفجير ينابيع الحكمة وإذكاء شعلة الأدب.

أما اليوم، فقد غدا الحب سرًا من أسرار (التواليت) يثير في النفس غرائزها، ويقتلع من الروح فضائلها.

ثم أنه قد أصبح عرضةً للسلب والنهب تجد بواعثه في كل سكة وشارع وزقاق ومزدحم! وبذلك أصبح أسوأ مدمر لكيان الفرد والأمة وأعظم خطر علىٰ بناء البيت والأسرة.

وما قد يصفه لك بعض أرباب هٰذا (الحب)، من لواعجه وآلامه، إنما هو من نتائج الغيرة الطبيعية في الإنسان وليس من نتائج الحب المزعوم في شيء.

وإنما تتسعر الغيرة بين جوانح أحدهم، بسبب ما ذكرناه من أنهم يمارسون حبًا قد أصبح عرضة للسلب والنهب، في جو من التحلل الذي لا ترد فيه يد لامس: تبتسم الفتاة لصاحبها الأول فترة قصيرا من الوقت تظللهما خلالها أجنحة الأحلام ثم ما هو إلا أن يفاجأ بها تبتسم لخليلها الثاني، فيلتف سعار الغيرة علىٰ قلبه وتقيمه اللواعج دون أن تقعده.. ثم يمضي ينشد في حاله الشعر ويبعث من صدره الأنين، ظانًا أنه إنما يعاني من برحاء الحب المتأجج في قلبه، وهو إنما يعاني من آلام الغيرة النابعة من سوء مجتمعه.

وما أعظم الفرق بينهما لمن يعلم!

عذاب الحب، يسمو بالكيان الإنساني كله إلىٰ صعيد من النشوة الراضية، يتنفس المحب فيها بالدمع ويتغنىٰ بالألم ويطرب بالوجد.

وهو لهٰذا يعتبر أرق لحن عرفه المجتمع وأبهىٰ زهرة فاحت في أرجائه.

وعذاب الغيرة، يحبس صاحبها في مضيق خانق، يعصر القلب بالحقد، ويملأ الرأس بأخيلة دكناء من الكيد ومظاهر النقمة والإجرام، وهو لهٰذا يعتبر وباءً في المجتمع وشؤمًا في طريقه وخطرًا علىٰ سعادة أهله!.

قال السائل، وقد لمعت عيناه ببريق من الخبث المتأدب:

أراك يا سيدي خبيرًا ودقيقًا في هٰذا الباب!..

قلت له: الحمد لله الذي هو أهل للمحامد كلها، علىٰ كل حال. وأشكره شكر عبد أيقن أنه مملوك له في السراء والضراء...

ونظر إليَّ الشاب ينتظر مزيدًا من الشرح، فقلت له: حسبك ما قد سمعت!...

الحب والزواج(١)

قرأت في بعض المجلات قصة قصها أحد الكتاب موضوعها أن كاتبها غاب عن بلده بضعة أعوام ثم عاد إليها بعد ذلك فزار صديقًا له من أسرياء الرجال ووجوههم ومن ذوي الأخلاق الكريمة والأنفس العالية فوجده حزينًا كئيبًا علىٰ غير ما يعهد من حاله قبل اليوم، فاستفهم منه عن دخيلة أمره فعرف أنه كان متزوجًا من فتاة يحبها ويجلها ويفديها بنفسه وماله فلم تحفظ صنيعه ولم ترع عهده وأنها فرت منه إلىٰ عشيق لها رقيق الحال وضيع النسب، فاجتهد الكاتب أن يَلقىٰ تلك الفتاة ليعرف منها سر فرارها من بيت زوجها فلقيها في منزل عشيقها فاعتذرت إليه عن فعَلتها بأنها لا تحب زوجها؛ لأنه في الأربعين من عمره وهي لم تبلغ العشرين، وقالت إنها جرت في ذلك علىٰ حكم الشرائع الطبيعية، وإن خالفت الشرائع الدينية؛ لأن الأولىٰ عادلة، والثانية ظالمة، وقالت إن ما يسميه الناس بالزنا والخيانة هو في الحقيقة طهارة وأمانة؛ لأن أساسه الحب، وكل ما كان أساسه الحب فهو طاهر شريف، وإن كان في أعين الناس عيبًا وعارًا، وقالت ما الخيانة ولا الجريمة، ولا الغشّ ولا الخداع، إلا أن تأذن المرأة لزوجها الذي تكرهه بالإلمام بها إلمام الأزواج بنسائهم مادامت لا تحبه ولا تألف عشرته، وقالت لو أدرك الناس أسرار الديانات وأغراضها لعرفوا أنها متفقة في هٰذِه المسألة مع الشرائع الطبيعية، وأنها ربما تعد المرأة في بيت زوجها زانية، وفي بيت

(١) من كتاب: «النظرات» للمنفلوطي ١/ ٢٦٢- ٢٦٩.

عشيقها طاهرة، إذا كانت تكره الأول و تحب الثاني.

هٰذا ملخص القصة علىٰ طولها، وأحسَبها قصةً موضوعة علىٰ نحو ما يضع الكتاب القصص الخياليةَ؛ لنشر رأي من الآراء أو تأييد مذهب من المذاهب، لأن الكاتب قد أعذر تلك الفتاة فيما فعلت، واقتنع بصحة أقوالها وصحة مذهبها وأعداها علىٰ زوجها وقضىٰ لها فيما كان بينهما.

وسواء أكانت القصة حقيقة أم خيالية، فالحق أقول: إن الكاتب أخطأ في وضعها، وما كنت أحسب إلا أن مذهب الإباحية قد مضىٰ وانقضىٰ بانقضاء العصور المظلمة حتىٰ قرأت هٰذِه القصة منشورة باللغة العربية بين أبناء الأمة العربية فنالني من الهم والحزن ما الله عالم به.

قرأنا ما كتب الكاتبون في سبيل الدفاع عن المرأة الساقطة وهي التي هفت في حياتها هفوة دفعها إليها دافع خداع أو سائق حاجة ثم ثاب إليها رشدها وهداها فقلنا لا بأس بتهوينهم ذنبًا جسمته العادة، وألبسته ثوبًا أوسع من ثوبه، ولا بأس برحمتهم فتاة مذنبة تحاول الرجوع إلىٰ ربها، والتوبة من ذنبها، ويأبى المجتمع البشري إلا أن يسد عليها أبواب السماء المفتحة للقاتلين والمجرمين.

أما وقد وصل الحد إلىٰ تزيين الزنا للزانية وتهوين إثمه عليها وإغراء العفيفة الصالحة بالتمرد علىٰ زوجها والخروج عن طاعته كلما دعاها إلىٰ ذلك داع من الهوىٰ فهٰذا ما لا يطاق ٱحتماله، ولا يستطاع قبوله.

إن فتاة الرواية لم تهفُ في جريمتها فقط كما يهفو غيرها من النساء لأنها مقيمة في منزل عشيقها من زمن بعيد، وقد عقدت عزمها على البقاء فيه ما دامت روحها باقية في جسدها، ولم يسُقها إلىٰ ذلك سائق شهوة بشرية إن صح أن تكون الشهوة البشرية عذرًا يدفع مثلها إلىٰ مثل ما صنعت، لأنها فرت من فراش زوجها، لا من وحشة خلوتها، ولا سائقُ جوع، لأنها كانت أهنأ النساء عيشًا، وأروحهن بالًا، بل كانت علىٰ حالة من الرفاهية والنعمة

والتقلب في أعطاف العيش البارد، لم ترَ مثلها من قبل ولا من بعد، إذن فهي ٱمرأة مجرمة لا يمنحها العدل من الرحمة ما منح المرأة الساقطة.

إن كانت هٰذِه الفتاة عفيفة طاهرة كما يزعم الكاتب فقد أخطأ علماء اللغة جميعًا في وضع كلمة الفساد في معاجمهم؛ لأنها لا مسمىٰ لها في هٰذا العالم، عالم العفة والطهارة، والخير والصلاح، ولا يمكن أن يكون المراد منها فتاةَ المواخير؛ لأنها لم تترك وراءها زوجًا معذبًا منكوبًا، ولم ترضَ عن حياتها الجديدة التي ٱنتقلت إليها قط، ولا ٱغتبطت بعيشها فيها ٱغتباط تلك الفتاة.

كل الأزواج ذلك الزوجُ إلا قليلًا، فإذا جاز لكل زوجة أن تفرَّ من زوجها إلىٰ عشيقها كلما وقع في نفسها الضجر من معاشرة الأول وبرقت لها بارقة الإنس من بين ثنايا الثاني، فويل لجميع الرجال من جميع النساء، وعلى النظام البيتيِّ والرابطة الزوجية بعد اليوم ألف سلام.

أيها الكاتب: ليس في ٱستطاعتي ولا في ٱستطاعتك ولا في ٱستطاعة أحد من الناس أن يُوقِفَ دورة الفلك ويصد كرّ الغداة ومر العشي حتىٰ لا يبلغ الأربعين من عمره مخافة أن تراه زوجته غير أهل لعشرتها إذا علمت أن في الناس من هو أصغر منه سنًا وأكثر رونقًا وأنضر شبابًا.

إن الضجر والسآمة من الشيء المتكرر المتردد طبيعة من طبائع النوع الإنساني فهو لا يصبر علىٰ ثوب واحد أو طعام واحد أو عشير واحد، وقد علم الله - ﷻ- ذلك منه، وعلم أن نظام الأسرة لا يتم إلا إذا ٱنبنىٰ علىٰ رجل وامرأة تدوم عشرتهما، ويطول ٱئتلافهما، فوضع قاعدة الزواج الثابت؛ ليهدم بها قاعدة الحب المضطرب، وأمر الزوجين أن يعتبرا هٰذا الرباط رباطًا مقدسًا؛ حتىٰ يحول بينهما وبين رجوعهما إلىٰ طبيعتهما، وذهابهما في أمر الزوجية مذهبهما في المطاعم والمشارب، من حيث الميلُ لكل جديد، والشغف بكل غريب.

هٰذا هو سر الزواج وهٰذِه حكمته، فمن أراد أن يجعل الحب قاعدة

العشرة بدلًا من الزواج فقد خالف إرادة الله وحاول أن يهدم ما بناه؛ ليهدم بهدمه السعادة البيتية.

أي ٱمرأة متزوجة بأجمل الرجال لا تحدثها نفسها بالرغبة في ٱستبداله بأجملَ منه، وأي رجل متزوج بأجمل النساء لا يتمنىٰ أن يكون في منزله أجملُ منها، لولا هٰذا الرباط المقدس رباط الزوجية، فهو الذي يعالج أمثال هٰذه الأماني وتلك الهواجس، وهو الذي يعيد إلى النفوس الثائرة سكونها وقرارها.

لا بأس أن يتثبت الرجل قبل عقد الزواج من وجود الصفة المحبوبة لديه في المرأة التي يختارها لنفسه، ولا بأس أن تصنع المرأة صنيعه، ولكن لا علىٰ معنىٰ أن يكون الحب الشهوي هو قاعدة الزواج، يحيا بحياته، ويموت بموته، فالقلوب متقلبة، والأهواء نزاعه، بل بمعنىٰ أن يكون كلٌّ منهما لصاحبه صديقًا، أكثر منه عشيقًا، فالصداقة ينمو بالمودة غرسها، ويمتد ظلها، أما الحب فظل يتنقل، وحال تتحول.

مقامة الحب[1]:

دعني من حب مجنون ليلىٰ، ومحبوب سلمىٰ، ومعشوق عفراء، فلطالما لطخت بأشعارهم الطروس، وضاقت بأخبارهم النفوس، وخدعت بقصائدهم الأجيال، واتَّبعهم الضلال. حدّثني عن أنباء الأنبياء، وهم من أجل حب الربِّ يهجرون الآباء والأبناء، فإبراهيم يتبرأ من أبيه، ونوح من بنيه، وامرأة فرعون تلغي بنفسها عقد النكاح؛ لأن البقاء مع الكافر سفاح.

هٰذا هو عالم الحب بتضحياته، بأفراحه وأتراحه، وهو حبٌّ يصلك برضوان من رضاه مطلب. وعفوه مكسب.

والله ما نظَرت عيني لغيركُمُ يَا وَاهِبَ الحُبِّ والأشوَاقِ والمُهَجِ
كُلُّ الذينَ رَوَوا في الحُبِّ مَلحَمَةً في آخِرِ الصَّفِّ أو في أسفَلِ الدَّرَجِ

---

(١) «مقامات القرني» ص٣٥٦- ٣٦٣.

امرؤ القيس يصيح في نجد، وقد غلبه الوَجد، «قِفا نبكِ» فإذا بكاؤه على الأطلال، وإذا دموعه تسفح على الرمال، إنه هيام العقل بلا وازع، وحَيرة الإنسان بلا رادع. ورسولنا ﷺ يذوق الويلات، ويعيش النكبات، ثم ينادي مولاه في مُناجاة وإخبات، ويقول: «لَكَ العُتبىٰ حَتَّىٰ تَرضَىٰ».

لا تجعل العمر في ضيعة، بشِعر عمر بن أبي ربيعة، وهو يشكو الحبَّ والصَّدَّ، حبّ ماذا، يا هٰذا؟ أما علمت أن أحد الأنصار، كان يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾(١) بتكرار، فَسُئِل عن المقصود، قال: لأن فيها مدح المعبود، وأنا أحبّ تلك البنود، فدخل الجنة بالمحبة، لأن الله أحبه.

دَعنِي أمَسِّح فَوقَ الرَّوض أجفَانِي ... فالنُّورُ موقِدُهُ من بَعضِ أشجَانِي
نَسيتُ في حُبِّكُم أهلي ومُنتَجَعِي ... فَحُبُّكُم عن جَمِيع النَّاسِ الهَانِي

شغلونا بالروايات الشرقية، والمسرحيات الغربية، ويل هٰذا الجيل ويله، سهر مع غراميات ألف ليلة وليلة. وفي الذِّكر المُنَزَّل، والحديث المُبجَّل، من قصص الحب الصادقة، والمعاني الناطقة، ما يخلب اللب، ويستميل القلب.

الحُبُّ ليسَ روَاية شَرقيَّةَ ... بِأرِيجِهَا يَتَزَوَّجُ الأبطَالُ
الحُبُّ مَبدأ دَعوة قُدسِيَّة ... فيهَا منَ النُّورِ العَظيم جَلالُ

أخرجونا يا قوم من ظلمات عشق الأعراب، والهيام في الأهداب، فكلّ ما فوق التراب تراب، وأدخلونا في عالم الحب الراقي، والدّواء الواقي، الذي تطير له الأرواح، وتهتز له الأشباح، في ملكوت الخلود، وعلىٰ بساط ربّ الوجود.

بكت عيني غَدَاةَ البَين دَمعًا ... وأخرىٰ بالبُكَا بَخِلَت علينَا
فعاقبتُ التي بالدَّمع ضنَّت ... بأن أغمَضتُهَا يَومَ التَقينا

---

(١) الإخلاص: ١.

دع حبّ هٰؤلاء فإنهم مرضىٰ، وتعالَ إلى الواحد ونادِ: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[1]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾[2].

حمزة سيد الشهداء يمزق الحب تمزيقًا وأنتم تهيمون بروايات غرامية لُفِّقَت تلفيقًا، نقول: حدَّثونا عن الحب عند ابن عباس، فتذكرون لنا عشق أبي نُواس، كفىٰ جفاء، لأنَّ الزبد يذهب جُفاء.

حب طلحة والزبير، أعظم من حبّ شكسبير، لأن حبّهم سطَر في بدر لمرضاة القوي العزيز، وحب شكسبير كتب في شوارع لندن لمراهقي الإنجليز.

إن كنت يا شاعر الغرب كتبت رواية الحب بالحبر، فالصحابة سجّلوا قصص المحبة بدم الصبر.

ومـن عـجـبٍ أنّي أحِـن إليهـمُ فَاسألُ عَنهُم من لقيتُ وَهُم مَعِي
وتطلُبُهم عيني وهم في سوادها وَيشتَاقُهُم قلبي وهم بين أضلعِي

لا تدري ربما عُذِّبت بحبّك، وكُتِبَ عنك عند ربّك هٰذا فراق ما بيني وبينك ونحن نسمع من أجل أمرأة بكاءك وأنينك.

ولَّما جَعَلتُ الحُبَّ خِدنا وصَاحبًا تَرَكتُ الهَوىٰ والعشق ينتَحِبَان
فلا تُسمِعَنّي شِكسبِيرَ وَلَهوَه وَرَنَّةَ عُودٍ أو غناء غوَانِي
فَلي في رحاب الله مُلكٌ وَدولَة أظُن السَّمَا والأرض قد حَسَدانِي

كلما خرج علينا شاعر مخمور. فاقِدٌ الشعور، حفظنا شعره في الصدور. وكتبناه في السطور، وقلنا: يا عالم هٰذِه قصصنا الغرامية، ونسينا رسائلنا السماوية، وفتوحاتنا الإسلامية التي أنقذت الإنسانية.

---

(١) طه: ٨٤. (٢) البقرة: ٢٦.

علِّمني الحبُّ من سورة الرحمن، ولا تكدَّر خاطري بهيام ظبية البان، أنا ما أحبّ لغة العيون، ولكن أحب لغة القلوب، ولا أتّباع فلتات أبي نواس والمجنون، ولكني أرتع في رياض الكتاب المكنون ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾(١).

ومُعَنِّفي في الحُبِّ قلت لهُ: ٱتَّئِد فَالدَّمعُ دَمعِي والعُيُوَنُ عُيُونِي

الحبّ الصادق في جامعة ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾(٢)، والغرام الرخيص في مسرح الفنانين والفنانات. ٱستعرض نصوص الحب في وثيقة الوحي المقدّس، لترىٰ فيها حياة الأنفس، الحبّ الأرضي يقتل الإنسان بلا قيمة، والحب السماوي يدعو العبد إلىٰ حياة مستقيمة، ليجد فضل الله ونعيمه.

أرَقٌ علىٰ أرَقٍ ومثلي يَأرَقُ وَجَوىٰ يَزيدُ وَعَبرَةٌ تَترقرقُ
جُهدُ الصَّبَابَةِ أن تَكُونَ كَمَا أرىٰ عَينًا مُسهَّدَةً وقَلبًا يَخفقُ

حبُّ الكِبْرِ عند فرعون، وحبُّ الكنز عند قارون، وحبُّ القتل عند شارون، أما حبُّ الجنة فعند أبطال السُّنَّة، الذين حصلوا علىٰ أعظم مِنَّة. الجعدُ بن درهم ذُبح على الأبتداع، وأنت تبخل بدمعة في محراب الاتباع.

سَقَيناهُمُوا كأسًا سَقَونًا بمثلها ولكنَنا كُنَّا على الموت أصبرا
بَلْغَنَا السَّمَا جُودًا وفضلًا وسُؤدُدًا وإنَّا لنَرجُوا فوقَ ذَلِكَ مظهرًا

أتريد من الجيل أن يحبّ الملك العلام، ويصلّي خلف الإمام، ويحافظ علىٰ تكبيرة الإحرام، وأنت تُحفِّظه رباعيات الخيام، ليبلّغهم رسالة لا بَعث ولا نُشور، أعوذ بالله من تلك القشور. يا حاج، أين حَمّلة المنهاج، أما ترىٰ كيف عَشِق الإمارةَ الحَجّاج، وقتل في البدعةِ الحَلّاج، وأنت من أحرص

---

(١) الدخان: ٢١. (٢) الأحزاب: ٣٥.

الناس علىٰ حياه، فبماذا تدخل الجنة يا أخاه.

من تداجي يا إبراهيم بن ناجي، ومن تكلم ومن تناجي، تقول: يا فؤادي رحم الله الهوىٰ، بل قتل الله الهوىٰ، من يشارك في ثورة الخبز، لا يحضر معركة العزّ، لَّما نسيت الأمة حبَّ القلوب، واشتغلت بحب البطون، رضيت بالدون، وعاشت في هون.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[1].

هل عند الأمة فراغ في الأزمان تسمع صوت الحرمان، وهو ينادي:

إنَّ العُيون التي في طرفِهَا حَوَرٌ   قَتَلننا ثُمَّ لم يُحيينَ قَتلانَا
يَصرَعن ذَا اللُّب حتَّىٰ لا حِرَاكَ بِه   وَهُنَّ أضعَفُ خَلقِ اللهِ إنسَانا!

نحن بحاجة إلىٰ صوت خبيب بن عدي وهو يُلقي قصيدة الفداء، علىٰ خشبة الفناء، وفي إصرار وإباء، وصبر ومضاء:

ولَستُ أبَالي حِينَ أُقتَلُ مُسلِمًا   عَلَىٰ أيِّ جَنبٍ كَانَ في الله مصرَعِي
وذَلِكَ في ذَاتِ الإلـه وإن يَشَأْ   يُبَارك عَلَىٰ أوصال شِلوٍ ممزَّعِ

بارك الله فيك وفي أشلائك يا خبيب، فأنت إلىٰ قلوبنا حبيب. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[2]. اللهم اجعلنا ممّن يحبك ويحب من يحبك، ليُؤنسنا قُربك، اللهم ازرع شجرة حبك في قلوبنا، لنرى النور في دروبنا، وننجو من ذنوبنا، ونطَهَّر من عيوبنا.

فَلَيتَكَ تحلُو والحَيَاةُ مَرِيرَةٌ   ولَيتَكَ تَرضَىٰ والأنَامُ غِضَابُ
وليت الذي بيني وبينَكَ عَامرٌ   وبيني وبينَ العَالَمِينَ خَرَابُ
إذا صحَ منك الودُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ   وكُلُّ الذي فوقَ التُّرابِ ترابُ

وإن تعجب فعجب أن ترىٰ شاعرًا بائسًا، يشكو طللًا دارِسًا، فهو يبكي

---

(١) آل عمران: ١٣٩.   (٢) البقرة: ١٦٥.

من نار الغرام، ويشكو ألم الهيام، ولو سافرت روحه في عالم الملكوت، لصار حبّه عنده كالقوت لو أدرك عنترة الإسلام ما كَبَا، وما قال: ٱذكري يا عبل أيام الصِّبَا.

جرير يشكو العيون السود، وبشّار يشكو الصدود، والشريف الرضي يشكو فتنة الخدود، وكأن الحياة لديهم ٱختصرت في ٱمرأة حسناء، وكأن العمر يتّسع لهٰذا الهراء، ويحسبون أن الناس من أجلها تركوا المنام، وهجروا الطعام إذا ٱفتخرنا على الغرب بأن لدينا نساء حسناوات، وفتيات فاتنات، قالوا لنا: عندنا في ذلك مسارحُ ومسرحيات، ومغامراتٌ وغراميّات، لكن فخرنا على الناس أن لدينا رسالة ملأت الكون نورًا، والعالم حبورًا، والدنيا طهورًا.

نَحنُ الذينَ ملأنَا جوَّنَا كرَمًا ... وقد بَعَثنَا علىٰ قُرآنِنَا أممَا
والعَالَم الآخرُ المشبُوه في ظُلَم ... من يَعبُدُ الجنِس أو من يعبدُ الصَّنَمَا

يقول الأستاذ أنور الجندي[1]:

على الفتاة أن تعرف ما هي العوامل التي يجب أن تكون ممثلة في الشاب الذي تختاره زوجًا لها، وعليها أن تعرف أن عوامل الرجولة والخلق، والثقافة هي أهم هٰذِه العوامل، وعليها أن تحرص عندما ترىٰ بوادر تعارف أو تقارب أن تكاشف والديها به، وأن تدعو هٰذا الصديق إلى الاتجاه فورًا نحو الأسرة، مادامت الغاية من التقدير والإعجاب هي الزواج، وفي ظل الأسرة تدرس المسألة تمامًا حتىٰ يدرس من هم ليسوا في ظل عاطفة ما، تحت ظل التعقل أوجه الالتقاء، أما ما يدعىٰ بالتسلية أو قضاء الوقت باللقاء الفردي فإنه من أخطر الأمور ذلك لأن الغاية إذا كانت سليمة فإن أول ٱتجاه لها أن تنمو في ظل الأسرة، وعلى الفتاة أن تكون حذرة غاية الحذر، فلا تلقي

---

(١) «معلمة الإسلام» ١/ ٦٤٤.

بنفسها إلىٰ زيارات غامضة أو غرف مغلقة، فإنها لا تأمن الخداع، إن فتاتنا الآن مضللة في معرفة المثل الأعلىٰ في الرجل، وربما تظنه في عربة فارهة أو منصب، أو قدر من المال أو الغنىٰ، وذلك كله باطل وسيبدو بطلانه بعد الوقوع في الفخ، أما العماد الصحيح والسناد السليم الذي لا يخيب الاْعتماد عليه فهو الخلق والإيمان بالله وتقدير مسئولية اللقاء، وعلى الشباب أن ينظروا إلىٰ هٰذا نظرتهم إلىٰ ما يجري لأخواتهم وبناتهم من بعد.

أنانية الرجال هي الدافع إلىٰ مقاومتهم لحشمة النساء[1]:

ترىٰ ما الذي يكمن وراء دعوة طائفة من الرجال النساء إلى التخلي عن قيود الحشمة طبق الضوابط الشرعية التي فرضها الله؟.. أهو حقًا الغيرة علىٰ مصالح المجتمع، والرغبة في تحرره عن قيود التخلف، والدفع به إلىٰ مراقي السمو والتقدم؟

أعتقد أن اْفتراض كون الدافع لهم إلىٰ ذلك، هٰذِه الغيرة المخلصة الصافية، على المجتمع أو على المرأة، من الطرافة بمكان، وأعتقد أن الذي يجزم بهٰذا الاْفتراض، ويطمئن إلىٰ أنه هو الحق، يعاني من قدر كبير من السذاجة.

إن الذي يحضر حفل اْستعراض فني، ينتقي من هٰذِه الحفلات أكثرها إثارة وعرضًا للمفاتن.. فهل في الناس من يشك في أنه إنما يبحث في ذلك عن هوىٰ نفسه وإشباع غريزته. ومن ثم فإنه إنما يعبر بذلك أصدق تعبير عن أنانيته؟ وهل في العقلاء من إذا رآه وقد ألهب كفيه بالتصفيق إعجابًا بالعارضات وعروضهن، وقر في نفسه واستقر في عقله أنه محب لهن غيور علىٰ مصالحهن مضح بنفسه من أجلهن؟

الأمر، كما هو واضح، ليس أكثر من الاْهتمام بالذات. عن طريق

(١) من كتاب «المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني» ص١٦٦- ١٧١.

ٱستخدام الآخرين.

ولنأت بمثال أقرب: إن الذي يعجب بدار يسعىٰ إلى ٱمتلاكها، أو أثاث رائع يسعىٰ إلى ٱقتنائه، تمامًا كالذي يعجب بالمرأة ويسعىٰ إلىٰ مدّ جسور المتعة بينه وبينها، ويعمل علىٰ أن تبرز أمامه بأبهىٰ زينتها وكامل مغرياتها، إنما يعبر بكل ذلك عن ٱهتمامه بذاته وحبه لنفسه، وإدارة كل ما قد تمتد إليه يده من الرغائب والمتع علىٰ محور شخصه.

فهل هٰذا يدخل بشكل ما في المعنى الإنساني والحقيقي للحب؟... معاذ الله.

الحب أن يرى الإنسان ذاته في الآخرين.. أي أن يرىٰ في رعايته لهم سعادة لذاته.

أما أن يرى الإنسان الآخرين في ذاته.. أي أن يرىٰ منهم أدوات لأهوائه ومتعه، فهي الأنانية في أصفىٰ معانيها ملفوفة ربما بأوراق من سلوفان الحب.

وكم هو ضروري وهام، أن يدرك المجتمع الفرق بين هاتين الحالتين، وأن يعطي كلًا منهما من المعاملة ما يستحق.

إذن، فبوسعنا جميعًا أن نعلم، أن الدعوة اللاهثة التي تنطلق من أفواه كثيرٍ من الشباب، إلى الفتيات والنساء، بأن يتحررن من ضوابط الستر والحشمة، وأن يمارسن حظوظهن في إبراز مفاتنهن، في الأسواق والأندية والمجتمعات، إنما تحركها الرغبة ذاتها التي تدفع النظارة إلى البحث عن عروض فنية أكثر إثارة وعرضًا للمفاتن، والتي تدفعهم إلى التصفيق الحاد كلما صافح الواقع المرأيّ هوىٰ متميزًا في نفوسهم.

أما عن مصلحة هٰؤلاء الفتيات، أو العارضات، والغيرة علىٰ سعادتهن ومصيرهن، فلا وقت للبحث أو النظر في شيء من ذلك: إذ الدعوان أو المصفقون، إنما يرون في فتنة هٰؤلاء الفتيات أنفسهم، ويمارسون السعي من خلال ذلك إلىٰ إشباع ذاتهم.

والمرأة هي التي تسقط ضحية ذلك كله، في نهاية المطاف.. لقد أحبَّتْ من خلال الطريق الذي دفعت إليه، وراحت تبحث عمن يحنو عليها ويرعاها من خلال (الشريك الجنسي) علىٰ حدّ تعبير الكاتبة الألمانية المجيدة: إسترفيلار. ولكنها لم تعثر إلا علىٰ من يجني منها ثمار متعته، ويرىٰ فيها الرعاية لذاته وغريزته، ثم يمضي باحثًا عن ثمار شهية أخرىٰ، في مثيلات لها أو أجمل منها.

وإن في مأساة الغربية نموذجًا بينًا يجسد هٰذا الذي نقول.

ولاشك أن كلًا من الرجل والمرأة، في هٰذا المضمار، محب لذاته باحث عن إسعاد نفسه.. ولكن الرجل تغلب بقوته الخادعة فنال منها ما يريد وسخرها لتحقيق ذاته، وأما المرأة فغُلِبَتْ من جراء ضعفها واستخذت لسلطان رقتها، وسكرت بالأحلام التي بثّت في مخيلتها، ثم صحت لتعلم الحقيقة المرّة: لقد نالوا منها كل ما يريدون، دون أن تنال هي منهم بعض ما تريد..!!.

لعلّ في القرّاء من يظن أنني أنسج هٰذا الكلام من ضباب الوهم والخيال.

ولكن الواقع أنني أضع من هٰذا الكلام صورة مصغرة جدًا لواقع مرير كبير، تضيق الصفحات الطوال عن رسمه واستيعابه.

وفي جعبتي نماذج كثيرة لهٰذا الواقع، ومع أنني هنا لست بصدد ٱستعراضها، غير أن من المفيد، بل من الضروري فيما أعتقد أن أضع أمام القارئ نموذجًا واحدًا منها:

ذات يوم، قبل بضعة أعوام، دخلت مكتبي في كلية الشريعة، فتاة ٱصطنعت - فيما بدالي- حجابًا سترت به جزءًا من شعرها، واستأذنتني أن تجلس فتقصّ عليّ مأساتها، أملًا في أن أهديها إلىٰ مخرج أو أعينها علىٰ حل.

كانت خلاصة قصتها أنها نشأت في بيت لا يعرف للدين معنىٰ ولا ينضبط منه بأي قيم.. وتلّقت تربيتها وثقافتها في المدارس، فالجامعة، دون أي رقيب عليها أو ناصح مشفق عليها... قالت: وكان الشباب منذ مرحلة

الدراسة الثانوية يحومون حولها، ويظهرون الإعجاب بها، ويدفعونها إلىٰ مزيد من التحرر في المظهر والسلوك...

قالت: فاستسلمت لذلك كله، وتحول قلبي إلىٰ (فندق) علىٰ حدّ تعبيرها، يحتلّه الوافدون إليه من الشباب واحدًا إثر آخر.

وفي الجامعة ٱزدادت علاقتي مع الشاب ٱستجابة وعمقًا... وكان الكل معجبًا بما أتمتع به من التحرر في المظهر والسلوك، مع الضغط المستمر عليّ بأن أزداد تحررًا وسعيًا إلىٰ تحقيق الذات.. وتعلقت في تلك الأثناء بشاب منهم ظننت أنني قد أحببته وسيطر هواه علىٰ مجامع نفسي، إذ كان يؤكد لي صدق حبه لي وتعلقه بي، فعرضت عليه أن يخطبني من أهلي، واقترحت عليه مشروع زواج... فأظهر الاستجابة الكلية، وأكد أن هٰذِه هو مشروعه القائم في ذهنه، وأنه سيتقدم لخطبتي عما قريب.. وازدادت من جراء هٰذِه الثقة صلة ما بيننا قوة وعمقًا.. وفي إحدى اللقاءات، ٱستطاع أن يستلب مني أعز ما أملك، إذ كنت قد أيقنت بحبه ووثقت بوعده، وصدّقت أحلامي بأنه الشاب الذي سأركن إليه وأحتمي به.

وتكرر من بعد، حصوله علىٰ مبتغاه.. ورحت أذكره بالخطبة، وأستعجله بإنجاز الوعد، وراح هو يستمهلني ويتذرع بأعذار علمت فيما بعد أنه يختلقها.

وفي إحدى اللقاءات طالبته بإلحاح أن ينجز وعده في الخطبة، فألقىٰ إليّ نظرة تفيض بالازدراء وقال: عندما أقرر الزواج سأبحث عن فتاة شريفة، لا تجعل من نفسها ملهاةً للشباب!!..

طرقت سمعي هٰذه الكلمة، وكأنها صيحة كبرىٰ أيقظتني من نوم متطاول عميق. لأجد نفسي بين حشد من الناس العابثين بي والمخادعين لي..؟ ورأيتني غريبة في هٰذا العالم حتىٰ عن أهلي الذين تركوني أهيم علىٰ وجهي كما أشاء، ومع ذلك فلو شكوت إليهم نتيجة إهمالهم لي وإعراضهم

عني لتعرضت يقينًا لأسوأ أشكال الهلاك.

ثم قالت في غمرة التأثر: لقد أيقنت الآن أنني لو تحصنت بمبادئ الإسلام ونصائحه، لما نال مني أي دجال مخادع، ولبقيت مكلوءة السعادة والشرف.. ولست أدري ما الذي يمكن أن أفعله الآن.

قلت لها: أفكان من الضروري أن تمتحني أوامر الله وتخوضي غمار هٰذِه التجربة القاتلة، كي تصلي أخيرًا إلىٰ هٰذا اليقين؟

ألم يكن يغنيك عن ذلك ما ينبغي أن يعلمه كل عاقل، سلفًا، من أنّ هٰذا الدين ليس في مجموعة إلا جملة نصائح الإله الذي هو أرحم الراحمين يخاطب بها عباده المكرّمين، كي يسعدوا برعايتها ويجدوا فيها حماية لهم من كل سوء؟

لقد أعرضت عنه خلال السنوات التي مضت، وآثرت علىٰ أوامره وأحكامه الآنقياد لخداع العابثين، ولكنك ستجدينه، على الرغم من ذلك، الصديق الصادق الوحيد الذي يؤنسك في غربتك، وينقذك من بؤسك وآلامك. ولن يكلفك ذلك سوى الأصطلاح معه بصدق والانقياد لأوامره ووصاياه جهد الأستطاعة، بثقة واطمئنان.

قالت لي: إنني منذ اليوم أعاهد الله - تائبة نادمة- على الآنقياد لأوامره والخضوع لجميع أحكامه. ولن ألتفت بعد اليوم لخداع شيطان، ولن أستخذي لأي من الأهواء والمغريات.

قلت لها: فترددي عليّ بين الحين والآخر، وأعتقد جازمًا أن الله سيجعل لك من أمرك فرجًا ومخرجًا.

ومن أعاجيب لطف الله، أنها ما إن غابت عني ثلاثة أو أربعة أيام، حتىٰ زارني شاب يشكو إليّ أنه بحاجة إلىٰ زواج ولا يجد الفتاة الدّينة المناسبة، وتبيّن لي أنه متدين وملتزم عن دراية ووعي.

قلت له: هل لك في فتاة يسرّك شكلها وتطمئن إلىٰ دينها وسلوكها،

ويكون لك في الزواج منها أجر كبير لا يناله إلَّا الصدّيقون، وأنا بذلك كفيل؟

فقال متحمسًا: نعم. من هي؟

شرحت له خبرها، ووضعته أمام جلية أمرها، وأكدت له ثقتي بصدق توبتها، فازداد رضًا وانشراحًا، ووكل إليّ مهمة إنجاز هٰذا الأمر على النحو الذي أريد، وسبحان مقلب القلوب.. سبحان ربي الرحيم الودود الذي شرح الصدر ويسّر الأمر، ومسح بيمين لطفه ركام الآلام الخانقة التي أطبقت علىٰ فؤاد تلك المسكينة التي ذهبت ضحية السماسرة... سماسرة الدعوة إلىٰ (التقدم) والتحذير من (التخلف).

وفقني الله، فجمعت بينهما، وفي جلسة واحدة تعارفا، تحاورا، وتعاهدا وتواثقا.. وخطبها الشاب من أهلها حسب المألوف. وجمع الله بينهما في حياة زوجية رغيدة وسعيدة، تحت مظلة من الألتزام بتعاليمه المسعدة. وصدق الله القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(١).

تلك هي عاقبة النصائح الماكرة.. وهٰذِه هي ثمرة الأنقياد لتعاليم أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ﷻ.

هٰذا نموذج.. وفي الجعبة والذاكرة نماذج شتىٰ تزيد الإنسان العاقل يقينًا برحمة الله وفضله، وحكمته ولطفه، كما تزيده تحذيرًا من مكر الماكرين، وخداع المستغلين الأنانين.

زواج الحب ونسب الطلاق المرتفعة

مما ابتليت به مجتمعاتنا المسلمة، تلك المسلسلات الإذاعية والتليفزيونية التي تزين الحب بين الفتىٰ والفتاة، وتصور العشق مقدمة لا بد

---

(١) الأنفال: ٢٤.

منها للزواج، الذي لا يمكن أن ينجح إذا لم يسبقه ذاك الحب والعشق، كما يزعم أولئك الذين يكتبون تلك المسلسلات ويخرجونها، فترسخ في أذهان الفتيات الصغيرات أوهامًا وخيالات تجعلهن عرضة للخطأ، وصيدًا سهلًا لشباك الشباب الزائغ الضائع.

حتىٰ مع افتراض أن ما يسمونه بالحب قد انتهىٰ إلىٰ الزواج، فإن هٰذا الزواج عرضة للنزاعات الزوجية الكثيرة، والشقاقات الشديدة، وذلك لأن العاطفة هي وحدها التي ساقت إليه، دون إعمال العقل، ودون الاختيار القائم علىٰ الدين، وهٰذه هي نسب الطلاق المرتفعة يومًا بعد آخر تؤكد صدق ما ذهبنا إليه، بل إن الدراسات الاجتماعية الحديثة في الغرب تؤكد هٰذا أيضًا.

ففي جامعة سيراكوز الأمريكية، أجريت دراسة تبين منها -بما لا يقبل الشك مطلقًا- أن الحب أو العشق، ليس ضمانة لزواج ناجح، بل -في الأغلب- قد يؤدي إلىٰ إخفاق هٰذا الزواج.

وقد يستغرب الكثيرون كيف أن الزواج المبني علىٰ حب ينتهي بالطلاق أو الانفصال، وفي أحسن الحالات إلىٰ الجحيم من الشجار المستمر والخلافات الزوجية.

يلاحظ الخبراء في شئون الزواج أن الحياة العصرية، تتيح الكثير من وسائل التعارف واللقاء، وبالتالي يمكن القول: إن جيل اليوم ينتقي شريك الحياة أكثر مما كان متاحًا لجيل الآباء والأجداد، ومع ذلك فإن الحياة الزوجية تعاني الكثير، فنسبة حوادث الطلاق في ازدياد مستمر مع ازدياد حالات الزواج بعد حب عنيف، كما يقول الدكتور صول غوردن الأستاذ المحاضر في جامعة يراكوز في دراسات حول الأسرة والطفل والتربية.

يقول هٰذا الباحث: إنك حين تكون في حالة حب، فإن العالم كله بالنسبة إليك يدور حول شخص من تحب، ويأتي الزواج ليثبت عكس ذلك،

وليهدم تصوراتك كلها؛ لأنك تكتشف أن هناك عوالم أخرىٰ لا بد أن تنتبه لوجودها ليس عوالم البشر فقط، بل عوالم المفاهيم والقيم والعادات التي لم تكن لتنتبه لوجودها من قبل.

ويضيف: إن من علائم الحب المندفع بشكل يُعمي البصر عن رؤية حقائق الحياة، أن يسعىٰ المرء ليمضي كل دقيقة من وقته مع الإنسان الذي يحب، ويعدّ الدقائق التي تفصله عن لقاء من يحب، حتىٰ أنه لا يستطيع التركيز في عمله أو دراسته، أو ينجاهل أقرب أصدقائه أو أهله ليمضي وقته مع من يحب.

ويورد الدكتور غوردن عدة أسباب وتفسيرات لإخفاق الزواج الناتج عن الحب:

١- مع الحب الشديد... لا يستطيع أي من الزوجين أن يُقيِّم مختلف جوانب شخصية الطرف الآخر، ولا يستطيع أن يتعامل معه بعقلانية؛ لأنه دومًا يجد التبريرات لما يفعله الآخر. وفي أحسن الحالات يأمل أن يتغير الحال إلىٰ الأفضل بعد الزواج.

لكن الوقائع أثبتت أن ذلك التغير بعد الزواج لا يتحقق؛ لأن الإنسان الرجل والمرأة حين يتعود الاستحسان من الآخر لا يمكنه أن يتحمل الانتقاد أو اللوم منه بعد الزواج، حول موضوع يعرف يقينًا أنه لم يكن يضايقه من قبل، بدليل أنه لم يسبق له أن اعترض أو أبدىٰ أي ملاحظة.

٢- حين يسيطر الحب لا يرىٰ الواحد الآخر في إطار الحقيقة، إنما في إطار المثاليات، ولهٰذا يتجنب إثارة أي موضوع يشعر أنه لا يروق للآخر. وهكٰذا يستمر ستار الأحلام والأماني في حجب شخصية الآخر وتصرفاته، إذ لم ينظر إليها بمنظار العقلانية.

٣- الحياة الزوجية حياة مسئولة زاخرة بالأعباء بينما العاشاقان يتصوران أن حياة الحب كلها سعادة ومباهج وكلمات شاعرية. فهما يعيشان

في أبراج عاجية لا يريان من خلالها الحياة علىٰ حقيقتها؛ لأن عاطفة الحب الجامحة تصر علىٰ ألا ترىٰ الأشياء بألوانها، وبأحجامها الحقيقية.

ويختم الباحث حديثه بقوله:

«المطلوب أن نميز بين حب يقوم علىٰ التفهم والتفاهم، وحب يقوم علىٰ التسليم المطلق بأن العالم كله يدور حول شخصية الآخر، وأن الشمس لا تشرق إلا إن لم يبتسم الآخر. هٰذا النوع من الحب مسئول إلىٰ حد كبير عن بروز موجة الطلاق والانفصال في العالم كله دون تمييز إلا بالشكل الخارجي».

أختي المسلمة:

لاحظي أن ما يصلون إليه من حقائق، بعد الدراسات والأبحاث، سبقهم إليها الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا. لماذا؟ لأن الذي أكمل دين الإسلام ورضيه لنا هو سبحانه خالق الإنسان، فكيف لا يختار له ما يصلحه وينفعه!

أليس هٰذا الدين نعمة كبرىٰ لا يعرف قدرها كثير من الناس؟ ولقد وصفه سبحانه بالنعمة والنعمة التامة في آية من أواخر الآيات التي نزلت علىٰ النبي ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(١). إنه دين كامل، ونعمة تامة، فليس لأحدٍ بعده أن يزيد عليه شيء.

ولنعد الآن إلىٰ بحث الدكتور صول غوردن الذي يقول فيه: إن القاعدة الصلبة للزواج، هي قاعدة التفاهم والتعاون وتقاسم المسؤوليات، وليست قاعدة العشق والهيام، والصبابة والغرام.

ولقد كتبت في غير هٰذا المكان عن وصفه سبحانه للعلاقة بين الأزواج بأنها علاقة «مودة ورحمة» وليست علاقة صبابة وهيام، وعشق وغرام، في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(٢).

---

(١) المائدة: ٣ (٢) الروم: ٢١.

سبحان الله «مودة ورحمة» لا مشاعر قيسية خيالية، ولا أوهام عشقية لا تثبت علىٰ أرض الواقع، ولا خيالات غرامية لم يقم عليها أي زواج ناجح.

والحق أننا في غنىٰ عن دراسات الغرب وأبحاثه، ولا نحتاجها لبيان حكمة ديننا وصلاحه؛ إنما ماذا نفعل بأؤلئك المفتونين والمفتونات بالغرب، ويخضعون لما يسمّونه «عقدة الخواجة» ألا يحسن أن ننقل لهم نتائج هٰذه الدراسات ليعلموا يقينًا أنه ليس هناك ما ينفعهم، ويصلح حالهم، ويضمن لهم الحياة الطيبة في الدنيا، والجنة الناعمة في الأخرة غير الإسلام.

وتبقىٰ كلمة لأولئك الذين يكتبون تلك المسلسلات وأولئك الذين يسمحون بعرضها، أن يكفوا يكف الكاتبون عن كتابتها ويكف المسؤولون في التليفزيونات العربية عن عرضها لأنها تعمل بصراحة علىٰ هدم المجتمع، وترفع نسب الطلاق.

تهدم المجتمع بإثارة عواطف الفتيات والفتيان وتزين العشق والغرام لهم، وإفهامهم خطأ أن الزواج الناجح إنما يكون نتيجة عشق وهيام.

وترفع نسب الطلاق حين تحسب الفتاة بعد الزواج، أن زواجها قد أخفق؛ لأن مشاعر العشق توقفت، وواقعية الزواج ظهرت، والمسئوليات تسارعت فتحسب المخدوعة أن زواجها أخفق.

وكذلك يحسب الفتىٰ الذي يجد زوجته قد انشغلت ببيتها وأولادها وما عادت تظهر له العواطف القديمة، ومشاعر العشق الوالهة، أن زواجه قد أخفق.

فينشأ الشجار وتشتد الخلافات ويحتدم الشقاق فيقع الطلاق أو يستمر الزواج فاشلًا، لا راحة فيه بل هو هم وعبء علىٰ طرفيه.

نظموا حياتكم كما أمر الإسلام وكفاكم جهلًا وتقليدًا أعمىٰ وهدمًا لبيوتكم ومجتمعاتكم بأيديكم(١).

---

(١) «رسالة إلىٰ مؤمنة» ص١٢٣-١٢٨ .

أحبت ابتسامته وتزوجته كله!!

قالت إحدىٰ الممثلات في زوجها الذي انفصلت عنه بالطلاق: «لقد أحببت ابتسامته الجميلة، وأخطأت حين تزوجته كله».

هٰذه العبارة، علىٰ قصرها تجمع فلسفة الاختيار، اختيار كل من الزوجين لزوجه الآخر.

إنها -أي العبارة- شاهد عظيم للخطبة الإسلامية وإدانة بليغة للأساس الخاطئ الذي اعتمدته الخطبات غير الإسلامية.

فالفتاة تحب شابًا أسرها كلامه، أو جذبها شكله، أو شدتها نظراته، فهي لا تريد الزواج إلا منه، ولا ترىٰ سعادتها إلا معه، فإذا ما تزوجته، ومرت أسابيع الزواج الأولىٰ أو أشهره القليلة فوجئت ببخله، أو اكتشفت سوء معشره أو صدمت بكثرة غيابه عن البيت، وغير هٰذا وذاك من الأخلاق السيئة أو الطباع المنفّرة.

ولهٰذا تتميز الخطبة الإسلامية عن غيرها من الخطبات، حيث يشارك ولي أمر الفتاة في الاختيار، فيسأل هٰذا عن تعامله مع الناس، ويسأل ذاك عن دينه، ويطلب من يسأل عنه زملاءه في العمل، ورفاقه في الحياة، ثم هو يجلس معه، فينظر إليه بغير العين التي تنظر بها الفتاة، ويحادثه ويسأله؛ فيكتشف أمورًا قد لا تكتشفها البنت التي لم تخبر الرجال ولم تعرف أساليبهم في إظهار غير ما يخفون.

وهٰذا مثل لمئات آلاف الحالات: محمود وقعت عيناه علىٰ رباب في إحدىٰ الحفلات الأسرية المختلطة. تقول رباب: كل ما أستطيع تذكره هو أنني اعتقدت أنه الفارس الذي كنت أبحث عنه؛ فقد رأيت فيه من خلال مشاعري كل ما كنت أحلم به من صفات.

هٰذا الانجذاب سرعان ما تحوَّل إلىٰ عواطف جياشة أدت إلىٰ زواجهما بعد عدة شهور من تعارفهما. ولكن، بعد ثمانية عشر شهرًا من زواجهما،

وقف الزوجان أمام القاضي يطلبان الانفصال بعد أن سقطت الأقنعة كلها، وأصبح النفور هو الصفة التي تطغىٰ علىٰ حياتهما معًا.

ومن هنا نفهم اشتراط الفقهاء المسلمين في أن يكون الشاب كفئًا للفتاة التي يخطبها، ولكن: هل يمكن للفتاة وحدها أن تقرر أن هٰذا الشاب أو ذاك كفء لها؟

تقول «إلين هاتفليد» وهي أستاذة لعلم النفس في جامعة هاواي الأمريكية في كتابها «نظرة جديدة إلىٰ الحب»: كلما كان التكافؤ أكبر بين الزوجين كلما ازدادت فرص السعادة أمامهما، وازدادت إمكانية استمرار الزواج بنجاح.

ولهٰذا السبب تنصح «هاتفيلد» المقبلين علىٰ الزواج بالواقعية، وبتقويم خصائص الشخص الآخر، ومحاولة التوفيق بين صفات الزوجين، وباختيار شريك الحياة المتكافئ.

وتضيف قائلة: إن تأجج العواطف سيخف تدريجيًا بعد الزواج. وهي لهٰذا تعرف الزواج الناجح بأنه: تلك العلاقة التي يحل فيها محل العاطفة المشبوبة حب أعمق وأطول عمرًا؛ لأن جذوره متأصلة في التفهم والتفاهم والتجارب والأهداف المشتركة والعادات المتقاربة.

ويقول الدكتور «صول غوردن» الأستاذ المحاضر في جامعة سيراكوز الأمريكية: «إنك حين تكون في حالة حب فإن العالم كله بالنسبة إليك يدور حول شخص من تحب. ويأتي الزواج ليثبت عكس ذلك، ويهدم كل تصوراتك؛ لأنك تكتشف أن هناك عوالم أخرىٰ كان لا بد أن تنتبه لوجودها: عوالم المفاهيم والقيم والعادات».

ويضيف الدكتور «غوردون» متسائلًا: «لماذا يكون الزواج أكثر نجاحًا حين لا يسبقه ما يسمىٰ الحب؟» ويجيب فيقول: «مع الحب الشديد، لا يستطيع الشاب أو الفتاة أن يقوم مختلف جوانب شخصية الآخر، ولا يستطيع

أن يتعامل معه بعقلانية؛ لأنه دائمًا يجد التبريرات لما يفعله الآخر.

وفي أحسن الأحوال: يأمل في أن كل شيء سوف يتغير بعد الزواج. ولكن الوقائع أثبتت أن ذلك غير صحيح؛ لأن كلا الطرفين، حين يتعود الاستحسان من الآخر، لا يمكن أن يتحمل النقد أو اللوم منه بعد الزواج حول وضع معين يعرف يقينًا أنه لم يضايقه من قبل. والدليل أنه لم يعترض، ولم يضع ملاحظة ما».

ويؤكد غوردون هٰذه المعاني بقوله: «حين يسيطر الحب في العلاقة فإن الواحد لا يرىٰ الآخر في الحقيقة، بل ضمن إطار من المثاليات. ولذلك فإنه يتجنب الانتقادات، ويتجنب حتىٰ إثارة أي موضوع يشعر أنه لا يروق الآخر.

وهكٰذا يستمر حبًا سطحيًا لا يرىٰ الواحد في الآخر إلا أحلامه وأمانيه، ولا يستطيع أن يفكر فيه وبتصرفاته بعقلانية حقيقية».

أليس هٰذا كله شهادة واضحة للخطبة الإسلامية[1].

الحب الأعمى أم الخطبة المبصرة؟

في دراسة أجرتها جامعة القاهرة حول ما أسمته زواج الحب والزواج التقليدي تبين أن الزواج الذي يأتي بعد قصة حب تنتهي ٨٨٪ من حالاته بالإخفاق، أي بنسبة نجاح لا تتجاوز ١٢٪ أما ما أطلقت عليه الدراسة «الزواج التقليدي» فقد حققت ٧٠٪ من حالاته النجاح.

وبعبارة أخرىٰ فإن عدد حالات الزواج الناجحة في «الزواج التقليدي» تعادل ستة أضعاف ما يسمىٰ بـ«زواج الحب».

وعلىٰ هٰذا فإن أغلب المسلسلات والتمثيليات الإذاعية والتلفزيونية والأفلام السينمائية يجب أن تمنع من العرض؛ لأنها تروج لباطل يقال: إن

(١) رسالة إلىٰ مؤمنة ص١٩٩-٢٠٢ .

النجاح حليف كل زواج يأتي نتيجة حب والإخفاق حليف كل زواج يأتي نتيجة خطبة رسمية يشارك فيها الأهل! ألا توافقونني أن معظم الأفلام والمسلسلات والتمثيليات العربية التي تعرضا شاشات السينيما تظهر الخاطب في صورة كاريكاتيرية منفرة وتظهر من تعلق به قلب الفتاة وشغفها حبًا، في صورة مثالية جذابة؟!

ألا يسهم ما يعرض علىٰ بناتنا، ويشاهدونه ويتابعنه باهتمام وشوق، في تشكيل قناعات لديهم، بأن الخاطب الذي يوافق عليه الأهل، بعد بحث وسؤال وتحر لا يصلح أن يكون زوجًا مناسبًا، ومن ثم لا يمكن أن يوفر السعادة التي تحلم الفتاة بها، هٰذه الأفلام والمسلسلات مسئولة عن نسب الطلاق التي تزيد يومًا بعد آخر ومسئولة عن تضليل الفتيات الصغيرات وتحتاج إلىٰ من يراقبها ليمنع عرضها.

لقد أجرت الدراسة جامعة علمية محايدة ولم تجرها جهة إسلامية فيشكك فيها من يشكك، ويرفضها من يرفض. بل حتىٰ الدراسات العلمية في الغرب تؤكد ما وصلت إليه جامعة القاهرة فها هي الدكتورة «إلين هاتفيلد» - وهي أستاذة علم نفس في جامعة «هاواي الأمريكية» تذكر أن الخبراء يجمعون علىٰ أن العواطف المتأججة تخف كثيرًا جدًا بعد السنوات الثلاث أو الأربع الأولىٰ بعد الزواج، ويستمر خفقانها ببطء تدريجي بعد ذلك، ولهٰذا فهي تنصح المقبلين على الزواج بالواقعية، وبتقييم خصائص الشخص الآخر، ومحاولة التوفيق بين صفات الزوجين، وباختيار شريك الحياة المتكافئ.

والسؤال هل يمكن لمن يخضع لعاطفة الحب الأعمىٰ (كما يصفونه) أن يأخذ بالواقعية ودراسة خصائص من يجب واختيار شريك الحياة المتكافئ.

أليس الأهل العاقلون الناضجون هم الأقدر علىٰ ذلك[1].

---

(١) «رسالة إلىٰ مؤمنة» ص٢٥٥-٢٥٦ .

الفصل السابع
علاقة المرأة بالرجل
من حيث الإباحة الجنسية

علاقة المرأة بالرجل من حيث الإباحة الجنسية

انقسم الناس إلىٰ فريقين في مفهوم علاقة المرأة بالرجل من حيث الإباحة الجنسية.

ففريق مال إلىٰ جانب الأخلاق والروحانية، وغلا فيه إلىٰ أن جعل العلاقة الجنسية بين الصنفين في ذاتها شيئًا يعاب ويُزدرىٰ وهٰذا الأنحراف عن القصد تجده في ديانة (بوذا) والنصرانية وفي بعض الديانات الهندوكية، ومن تأثيره ما يوجد في جزء كبير من هٰذا العالم من أعتقاد أن العلاقة الجنسية بذاتها إثم، سواء كانت في دائرة الزواج أو خارجها فماذا كانت نتيجته؟ كانت النتيجة جعلت حياة الرهبنة المنعزلة غير المتدينة غاية الأخلاق ومقصود التزكية النفسية ! وأضاع كثير من أفراد النوع الإنساني - رجالًا ونساءً - مواهبهم العقلية وقواهم الجسدية في مجانبة الفطرة، بل في محاربتها ونضالها، والذين أستجابوا منهم لدواعي الفطرة، ومارسوا العلاقة الجنسية فيما بينهم، لم يفعلوها إلا متحرجين، كمن يقضي لنفسه حاجة مستقذرة علىٰ كره منه، ومن البديهي أن مثل هٰذه العلاقة لا يمكن أن تكون بين الصنفين رابطة المودة والتعاون، ولا هي جديرة بإنشاء تمدن صالح ماضٍ إلىٰ الرقي، وليس هٰذا فقط بل هٰذا التصور الخلقي هو الذي أدىٰ إلىٰ حط منزلة المرأة في نظام الأجتماع، إذ جاء عشاق الرهبانية يحكمون علىٰ النزعة الجنسية بأنها وسوسة الشيطان، وعلىٰ محرك هٰذه النزعة - وهي المرأة - بأنها حبالة إبليس، وجعلوها مخلوقًا نجسًا يجب أن يحتقره كل من يحب لنفسه التزكي والطهارة، وهٰذا التصور لمنزلة المرأة هو الغالب، في الآداب النصرانية والبوذية والهندوكية، وتستطيع أن تقدر ما عسىٰ أن يكون من مكانة المرأة في النظام الأجتماعي الذي يشاد علىٰ هٰذا التصور.

وأما الفريق الثاني فهو علىٰ عكس ذلك، راعىٰ للإنسان دواعيه الجسدية، وغلا فيه غلوًا جعله يتعدىٰ مقتضيات الطبع الحيواني فضلًا عن

الطبع الإنساني» وقد اتضح هٰذا الإفراط في التمدن الغربي وضوحًا لا يمكن معه ستره، مهما حاول المحاولون، فالزنا ليس بجريمة في قانونه، وإنما الجريمة هي ما كان معه إكراه أو تدخل في حق شرعي لشخص آخر، وأما إذا كان الزنا لا يقترن بإحدىٰ هاتين الجريمتين فإنه ليس في ذاته جريمة تستوجب العقاب وليس حتىٰ بعار خلقي يُستحيا منه، ولو وقف التمدن الغربي عند هٰذا الحد لكان ذلك منه وقوفًا عند حدود الفطرة الحيوانية، ولكنه تجاوزه إلا أن أبطل المقصد الحيواني أيضًا من العلاقة الجنسية وهو التناسل، وبقاء النوع، بما اتخذ هٰذه العلاقة أداة للمتعة، واللذة الجسدية، ولما بلغ الإفراط بالإنسان إلىٰ هٰذا الحد، عاد هٰذا المخلوق الذي خلق في أحسن تقويم مردودًا أسفل سافلين، فانحرف أولًا عن فطرته الإنسانية، فاسترسل في العلاقة الجنسية المطلقة كالتي تكون في الحيوانات، ولا يمكن أن تكون أساسًا للتمدن، ثم انحرف عن فطرته الحيوانية أيضًا فحال بين العلاقة ونتيجتها الطبيعية، وهي التوليد - حتىٰ لا ينشأ في العالم أجيال تخلفه وتبقي من بعده نوعه[1].

أما الإسلام فهو يعترف بوجود الطاقة الجنسية في الكائن البشري، كما يعترف بوجود طاقاته وغرائزه الأخرىٰ الفطرية.. ولما كان الإسلام دين الفطرة فقد وضع النظام الفطري لتنظيم تصريف هٰذه الغريزة..

فهو من جانب لم يطلق لها العنان كما هو الحال في مذاهب الماديين، كما أنه لم يكبتها كما هو الحال في مذاهب المتقشفين والصوفيين المتطرفين.. وإنما كان موقفه حيالها موقفًا يحقق تصريفها والغاية الإنسانية من تصريفها ضامنًا بذلك صيانة المجتمع من الأضرار التي تنتج عن كل تصريف منحرف شاذ.

(١) «الحجاب للمودودي» ص ١٣٢-١٣٣.

الزواج هو الطريق

لذلك كان الزواج في الإسلام الطريق الإنساني الأخلاقي الأوحد الذي يؤدي إلىٰ الإشباع الجنسي للفرد من غير أضرار بالمجتمع، بل كان الواحة الطبيعية الفطرية التي تجمع بين الرجل والمرأة وتمنحها الراحة النفسية والحسية.. وكانت الآصرة المقدسة التي تتوالد عنها وتتزايد الأواصر والصلات المجتمعية الأخرىٰ..

إن الإسلام ينظر إلىٰ الإنسان علىٰ أنه مستخلف في الأرض لعمارتها وإشاعة الهدىٰ والخير فيها، وإزالة الشر والبؤس عنها.. وإن كل قواه وغرائزه وأفكاره وعواطفه يجب أن تسير في هٰذا الاتجاه ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

إن الإسلام يعتبر الإنسان في الحياة موضع تجربة واختبار.. وأنه سيبعث في الحياة الثانية؛ لينال جزاءه، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾.

فالإنسان في نظر الإسلام مسئول عن نفسه، مسئول عن جسده، مسئول عن غرائزه عن أعضائه.. مسئول عن ذاته ومسئول عن المجتمع من حوله في كل ذلك ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

إن عبودية الإنسان الحقة لا يمكن أن تحقق إلا بخضوعه كلية .؛ بخضوع تفكيره ومشاعره وغرائزه للمنهج الذي أراده الله وجعله دين الفطرة ونظام الفطرة، دين البشرية ونظامها من يوم أن قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣].

إن الإسلام يعمل علىٰ تكوين الإنسان، الذي لا يعتبر الإشباعات المادية غاية بذاتها كائنًا ما كانت، وإنما هي وسائل لتحقيق نتائج إنسانية كريمة.

يقول الشيخ محمد الغزالي(١):

الغريزة الجنسية من أنشط الغرائز في دماء الناس، بل لعل بقاء العمران علىٰ ظهر الأرض قد وُكِّل إليها وحدها، وحساب هٰذه الغريزة، لا ينسىٰ في ميدان الاقتصاد أو ميدان التربية. ولا يتجاهل هٰذه الغريزة إلا امرؤ أغمض عينيه عن الحقائق، وأصم أذنيه عن الصراخ..!

والفطرة التي تصدر عنها شرائع الإسلام- هدت هٰذه الغريزة إلىٰ صراط مستقيم، فلا هي قتلتها بالرهبانية، ولا هي أطغتها بالإباحية.

لقد أتاحت لها أن تتنفس وأن تؤدىٰ وظيفتها العتيدة لا في استدامة الحياة الإنسانية فحسب بل تلطيفها بالحب والتعاون والرحمة.

وحضارة الغرب الحديث تشبه الإسلام في اعترافها بهٰذه الغريزة وتخالف الأديان كلها في أنها جعلت التسول الجنس الواسع علاج نهمها.

ولا شك أن أوربا دللت الحيوان المتنزىٰ في دماء البشر، فيَّسرت الاختلاط المطلق، وقبلت في برود جميع نتائجه، وتواصلت بالسكوت عليها.

وشرائع الله التي بلغها موسىٰ وعيسىٰ ومحمد ﷺ أجمعين أنزه من أن تقر هٰذه الحال أو تأذن بها.

وهٰذا ليس الحل الموفق للمشكلة القائمة.

فالمنهج الذي تلمح معالمه في كتاب الله وسنة رسوله هو الحل الفذ الرشيد للعلاقة العابرة أو الدائمة بين الذكر والأنثىٰ إن الزواج وحده هو الحل

---

(١) «ليس من الإسلام» ص ٢٤١-٢٤٨.

الأول والأخير للمشكلة الجنسية وهو أنبل صلة عرفتها الإنسانية، لتكوين الأسرة، وتربية الأولاد في جو زكي طهور.

ويقول الأستاذ عبد القادر عودة[(١)]:

تعاقب الشريعة الإسلامية علىٰ الزنا باعتباره ماسًا بكيان الجماعة وسلامتها، إذ إنه اعتداء شديد علىٰ نظام الأسرة، والأسرة هي الأساس الذي تقوم عليه الجماعة، ولأن في إباحة الزنا إشاعة للفاحشة وهٰذا يؤدي إلىٰ هدم الأسرة ثم إلىٰ فساد المجتمع وانحلاله، والشريعة تحرص أشد الحرص علىٰ بقاء الجماعة متماسكة قوية.

أما العقوبة في القوانين الوضعية فأساسها أن الزنا من الأمور الشخصية التي تمس علاقات الأفراد ولا تمس صوالح الجماعة، فلا معنىٰ للعقوبة عليه ما دام عن تراض، إلا إذا كان أحد الطرفين زوجًا، ففي هٰذه الحالة يعاقب علىٰ الفعل صيانة لحرمة الزوجية.

ولعل ما حدث في أوربا والبلاد الغربية عامة، يؤيد نظرية الشريعة، فقد تحللت الجماعات الأوربية وتصدعت وحدتها وذهب ريحها، وما لذلك من سبب إلا شيوع الفاحشة والفساد الخلقي والإباحية التي لا تعرف حدًا تنتهي إليه.

وما أشاع الفاحشة وأفسد الأخلاق ونشر الإباحية، إلا إباحة الزنا وترك الأفراد لشهواتهم، واعتبار الزنا من الأمور الشخصية التي لا تمس صالح الجماعة.

ولعل أشد ما تواجهه البلاد غير الإسلامية اليوم من أزمات اجتماعية وسياسية يرجع إلىٰ إباحة الفاحشة فقد قلّ النسل في بعض البلاد قلة ظاهرة تنذر بفناء هٰذه الدول أو توقف نموها، وترجع قلة النسل أولاً وأخيرًا إلىٰ

---

(١) «التشريع الجنائي في الإسلام» ص ٣٤٧.

ٱمتناع الكثيرين عن الزواج، وإلىٰ العقم الذي ٱنتشر بين الأزواج.

ولا يمتنع الرجل عن الزواج إلا لأنه يستطيع أن ينال من المرأة ما يشاء في غير حاجة إلىٰ الزواج، ولأنه لا يثق في أن المرأة ستكون له وحده بعد الزواج وقد ٱعتاد أن يجدها مشاعًا بينه وبين الغير قبل الزواج.

والمرأة التي كانت أمنيتها الأولىٰ الزواج، ووظيفتها التي خلقت من أجلها إدارة البيت وتربية الأولاد، هٰذه المرأة أصبحت في كثير من الأحوال تنفر من الزواج، ولا ترضىٰ أن تستأسر لرجل تنال ما عنده، وتثقل نفسها بالقيود والأغلال.

وقد أدَّىٰ شيوع الزنا إلىٰ مقاومة الحمل من جهة، وانتشار الأمراض السرية من جهة أخرىٰ، وإذا كانت مقاومة الحمل تؤدي في كثير من الأحوال إلىٰ عقم النساء، فإن ٱنتشار الأمراض السرية يؤدي في الغالب إلىٰ عقم الرجال والنساء علىٰ السواء.

وكانت المرأة تعيش في كنف الرجل في ظل الزواج، فلما أضرب الرجال عن الزواج كان لابد للمرأة من أن تعيش، فاضطرت إلىٰ مزاحمة الرجل في ميدان العمل؛ لتنال قوتها، فأدىٰ هٰذا إلىٰ تفشي البطالة وشيوع المبادئ الهدامة، وألقىٰ بشعوب أوربا في بحر لجي يزخر بالفوضىٰ والاضطراب.

ويستطيع الإنسان أن يرتب علىٰ هٰذه المفاسد الٱجتماعية نتائجها الخطيرة، دون أن يخطئ الحساب، ولو تدبر هٰذه النتائج القائلون بأن الزنا علاقة شخصية لعلموا أن الزنا من أخطر الجرائم الٱجتماعية، وأن مصلحة الجماعة تقتضي تحريمه في كل الصور، والمعاقبة عليه أشد العقاب، وعلىٰ هٰذا الأساس حرمت الشريعة الإسلامية الزنا؛ لتتجنب الوصول إلىٰ تلك النتائج المخيفة، وقررت أشد العقوبات للزناة، حتىٰ أنها ٱعتبرت من يزني بعد إحصانه غير صالح للبقاء؛ لأنه مثل سيئ وليس للمثل السيئ في الشريعة حق البقاء».

إن الإسلام حين شدد في عقوبة فوضىٰ الغريزة إنما رمىٰ بذلك إلىٰ دفع خطر يهدد الحياة بالدمار والفناء.

يقول صاحب «الظلال»:

«إنما أراد الإسلام محاربة الحيوانية التي لا تفرق بين جسد وجسد، أو لا تهدف إلىٰ إقامة بيت وبناء عش، وإنشاء حياة مشتركة، لا تنتهي بانتهاء اللحظة الجسدية الغليظة! وأن يقيم العلاقات بين الجنسين علىٰ أساس من المشاعر الإنسانية الراقية، التي تجعل من التقاء جسدين التقاء نفسين وقلبين وروحين، وبتعبير شامل التقاء إنسانين، تربط بينهما حياة مشتركة وآمال مشتركة وآلام مشتركة ومستقبل مشترك يلتقي في الذرية المرتقبة ويتقابل في الجيل الجديد الذي ينشأ في العش المشترك، الذي يقوم عليه الوالدان حارسين لا يفترقان.

من هنا شدَّد الإسلام في عقوبة الزنا بوصفه نكسة حيوانية، تذهب بكل هٰذه المعاني وتطيح بكل هٰذه الأهداف، وترد الكائن الإنساني مسخًا حيوانيًا لا يفرق بين أنثىٰ، وأنثىٰ، ولا بين ذكر وذكر، مسخًا كل همه إرواء جوعة اللحم والدم في لحظة عابرة. فإن فرّق وميز فليس وراء اللذة بناء في الحياة، وليس وراءها عمارة في الأرض، وليس وراءها نتاج ولا إرادة نتاج! بل ليس وراءها عاطفة حقيقية راقية؛ لأن العاطفة تحمل طابع الآستمرار. وهٰذا ما يفرقها من الآنفعال المنفرد المتقطع الذي يحسبه الكثيرون عاطفة يتغنون بها، وإنما هي آنفعال حيواني يتزيَّ بزيِّ العاطفة الإنسانية في بعض الأحيان!

إن الإسلام لا يحارب دوافع الفطرة ولا يستقذرها، إنما ينظمها ويطهرها، ويرفعها عن المستوىٰ الحيواني، ويرقيها حتىٰ تصبح المحور الذي يدور عليه الكثير من الآداب النفسية والاجتماعية. فأما الزنا- وبخاصة البغاء- فيجرد هٰذا الميل الفطري من كل الرفرفات الروحية والأشواق العلوية، ومن كل الآداب التي تجمعت حول الجنس في تاريخ البشرية الطويل، ويبديه عاريًا

غليظًا قذرًا كما هو في الحيوان، بل أشد غلظًا من الحيوان، ذلك أن كثيرًا من أزواج الحيوان والطير تعيش متلازمة، في حياة زوجية منظمة، بعيدة عن الفوضىٰ التي يشيعها الزنا في بعض بيئات الإنسان.

يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه «الإنسان بين المادية والإسلام»: يتصور الإسلام وجود علاقة بين الرجل والمرأة علىٰ أنه الشيء الطبيعي الذي ينبغي أن يكون، فهو يقر بأن الله قد جعل في قلب كل منهما هوىٰ للآخر وميلًا إليه.. ولكنه يذكرهما بأنهما يلتقيان لهدف هو حفظ النوع، وتلك حقيقة لا أحسبها موضع جدال، فمن المسلم به لدىٰ (العلم) أن للوظيفة الجنسية هدفًا معلومًا، وليست هي هدفًا في ذاتها، فيقول القرآن ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] فيحدد بذلك هدف العلاقة بين الجنسين، بتلك الصورة الموحية..

وربما خطر في فكر سائل أن يقول: إن هدف الحياة من هٰذه الشهوة يتحقق سواء تيقظ إليه الفرد أو كان غارقًا في الشهوة العمياء، فما الفرق إذن بين هٰذا وذاك؟

ولكن الحقيقة أن هناك فارقًا هائلًا بين النظرتين، في واقع الشعور، فحين يؤمن الإنسان بأن للعمل الغريزي هدفًا أسمىٰ منه، وليس هو هدفًا في ذاته، يخف سلطان الشهوة الطاغية في شعوره، فلا يتخذ تلك الصورة الجامحة التي تعذب الحس أكثر مما تتيح له المتعة والارتياح، وليس معنىٰ ذلك أنه يقلل من لذتها الجسدية ولكنه علىٰ التحقيق يمنع الإسراف الذي لا يقف عند الحد المأمون.

ففي حدود الأسرة وفي نطاق الزواج يتيح الإسلام للطاقة الجنسية مجالها الطبيعي المعقول، ولكنه لا يتيح لها المجال في الشارع، خلسة أو علانية، وهو يرىٰ ببصيرته كيف تنحل الأمم وتسقط حين تترك أفرادها يتهاوون في الرذيلة دون أن تأخذ بحجزهم وتمنعهم من الانحدار..)

ويرىٰ الدكتور فريدريك كهن أن الزواج هو الطريق الصحيح لتصريف

الطاقة الجنسية وهو الحل الأوحد الجذري للمشكلة الجنسية، فيقول في كتابه «حياتنا الجنسية»: كان البشر في الماضي يتزوجون باكرًا، وكان ذلك حلًا صحيحًا لمشكلة الجنسية، أما اليوم فقد أخذ سن الزواج يتأخر كما أن هناك أشخاصًا لا يتوانون عن تبديل خواتم الخطبة مرارًا عديدة فالحكومات التي ستنجح في نص قوانين تسهل بها الزواج الباكر ستكون الحكومات الجديرة بالتقدير؛ لأنها تكتشف بذلك أعظم حل لمشكلة الجنس في عصرنا هذا.

يقول الأستاذ أنور الجندي[1]:

الجنس في نطاق الفكر الإسلامي والمجتمعات الإسلامية لا يشكل ظاهرة خاصة منفصلة عن الحياة الاجتماعية، وليست له أزمة معينة فرضتها عوامل قديمة تغيرت من النقيض إلي النقيض.

ذلك لأن الإسلام بطبيعته يلتمس فطرة الإنسان، ويعترف برغائبه، ويفتح له الطريق إلي تحقيق الصلة بين الرجل والمرأة علي أحسن أسلوب وأسمىٰ طريق.

ومن ثم فلا تقوم في المجتمع الإسلامي حالة من حالات التحدي التي تدعو إلي الصراع النفسي بالمنع، أو الكبت، أو احتقار الصلة الطبيعية القائمة بين الرجل والمرأه على النحو الذي شهدته بيئات الغرب والتي كانت مصدر الدعوة الصارخة إلي إطلاق الجنس وتحرير وسائله و أسبابه.

ذلك أن الأزمة التي عرفتها أوروبا والتي جاءت من تفسيرات قدمت الدين علىٰ أنه دعوة إلي مطالبة البشر بأن يزهدوا في رغائب الجسد، وأن يكبتوا النوازع الفطرية؛ اعلاء للروح وسموًا بها، وبذلك علت الدعوة إلي

---

(١) «معلمة الإسلام» ١/ ٢٠٥

إنكار الصلة الطبيعية مع المرأة، ووصفت المرأة بأنها شيطان مريد، واعتزال الناس الحياة إلي الجبال والأكنان في ٱقتناع بأن هٰذا هو الطريق الصحيح إلىٰ مرضاة الله ولقد كان لهٰذا المفهوم أثره البعيد المدىٰ على النفس الإنسانية، والحياة الاجتماعية جميعًا، فقد عاشت النفس الإنسانية حياة مريرة تمزقها المحاولة التي تعمل على العزلة عن الحياة بقهر النوازع الفطرية بحجة أن هٰذِه النوازع دنس يجب أن يتطهر منه الأتقياء.

وبذلك أوشكت الحياة أن تتعطل، فقد ٱنصرف الناس إلى الأديرة وهجروا السعي في الأرض، ولم يكن ذلك إلا فهمًا باطلًا لدعوة الدين في إعلاء القيم الروحية والنفسية دون الحرمان من الاستجابة للرغبات والنوازع الفطرية.

ومن هٰذا الانحراف الشديد الذي أستمر مسيطرًا على الحياة الاجتماعية في الغرب قرونًا طويلة تولدت الدعوة إلي الانطلاق والتحرير وإعلان الجنس، ٱنطلاقًا من القاعدة التي تقول: إن كل فعل له رد فعل مساوٍ له في القيمة مختلف عنه في النتيجة.

وهكذا ٱنتقلت أوروبا من النقيض إلي النقيض، وجاء فرويد فدعا إلىٰ إعلاء الجنس وإطلاق الجنس، وحمل راية التهديد والوعيد بالمرض والعصاب لكل من يعترض علىٰ دعوته، وبذلك ٱنفتح الباب واسعًا أمام الفكر الغربي والمجتمع الغربي إلي معارضة النظرة القديمة وحربها دون هوادة علىٰ أسلوب حاد عنيف لا يلتمس الاعتدال أو التوسط أو النظرة الموضوعية، ولكنه يجرىٰ في اندفاع خطير فيدمر كل شيء.

ولقد كانت نتيجة هٰذا التحول خطيرة وبالغة الأثر، وقد ظهرت آثارها سريعًا، فقد هدمت القيم الروحية والنفسية والأخلاقية، وفكت القيود والضوابط . ودفعت الناس دفعًا إلي الفاحشة والتحلل والإباحية علي نحوٍ

كان له أثاره الخطيرة في هٰذِه الأزمة التي يمر بها الإنسان الغربي والمجتمع الغربي؟ نتيجة التمزق والشك والصراع و الإندفاع الجنوني نحو إرضاء الغرائز دون تقدير لأي نتائج تتعلق بكيان الإنسان نفسه أو بالمجتمع الذي يعيش فيه.

أما الإسلام فقد نظر إلي الجنس نظرة الفطرة، وحرره من معتقدات الرهبنة والرياضات القاسية، كما حماه من أخطار التحلل والتدمير، وأعلن أن الرغبات من طبيعة الإنسان التي لا سبيل إلي الوقوف في وجهها، وإن كان من المقدور ضبطها وتعديل مسارها، وتخفيف أخطارها وتذليلها؛ لتؤدى الغاية منها دون إسراف أو فساد أو تجميد، ومن هنا وضع لها ضوابط من الحلال والاعتدال والعفة.

كذلك فإن الإسلام كشف عن مهمة الجنس ودوره، وكيف أنه جزء من مهمة كبرىٰ للإنسان وليس الغاية الكبرىٰ في حياته، وأنه وسيلة إلي بناء الأسرة وإنشاء الجماعة، وتوالي حركة المجتمع ونحوه؛ ليحقق إرادة الله الكبرىٰ في تعمير الأرض، وليس الجنس هو غاية الحياة كما تقول الفلسفات الغربية وليس هو أكبر أهدافها.

ومن هنا فقد عجزت قضية الجنس التي هي نبت غربي خالص أن تجد مجالًا في محيط الإسلام؛ لأنها لم توجد أصلًا، نظرًا لسماحة الإسلام واعترافه بالرغبات وإباحة الٱستجابة لها في إطار العقد الشرعي.

وإن السر في ٱنطلاق هٰذِه الظاهرة بشدة وعنف هو ٱنتقال الغرب من القسر الشديد إلي الإطلاق الشديد، أما الإسلام فقد أعلن منذ يومه الأول وجود الرغبات في كيان الإنسان من مال وطعام وجنس،ولكنه وضعها في إطارها الصحيح ولم يجعل الطعام قضية فوق القضايا لتسيطر عليها، ولم يجعل الجنس كذلك قضية أولية، ولكنه نظر إلي الحياة نظرة متكاملة في عناصرها، متوائمة في رغباتها وحدودها، متوازنة، تهب النفس الإنسانية السكينة والطمأنينة وشفاء القلوب وقضاء الحاجات، بعيدًا عن السرف

والزهادة والكبت، وبعيدًا عن التحلل والانطلاق.

ومفهوم الإسلام في الغرائز والرغبات يقوم علىٰ تحقيقها في حال القدرة وفي حدود قواعد الزواج، ويقوم علي التسامي والإعلاء في حال عدم القدرة دون أن يفقد ذلك الإعلاء هٰذِه الرغبات حقها المعترف به في حالة الاستطاعة.

وكذلك أقام الإسلام إلي جانب ذلك نظام الطهارة الجسدية والنفسية وأباح المصادر الشريفة للمال والطعام والجنس...والإسلام لا يفتح الباب أمام الكبت بل يزيله قبل أن يحدث، ولا يترك فرصة مهيئة لحدوثه، فهو يعترف بالرغبات، ويقرر إقامة الحدود التي تحفظ النفس البشرية من الانهيار في نفس الوقت، هٰذِه الحدود تنظم مدي القيام بالنشاط الحيوي وتحدد له ميادين معينة يكون فيها مأمون العاقبة دون أن تحرم الإنسان من الإحساس به والرغبة فيه، ودون أن تحول بينه وبين حقه في أنه مباح له، مسموح به، ليس في مزاولته أي نوع من الحجر، حلالًا ليس حرامًا، بل وهناك ترغيب فيه ودعوة إليه حتىٰ لا يوضع في غير مكانه، كل ذلك شريطة أن يتم في إطاره الشرعي ومع ضوابطه. ومن هنا فإن النفس الإنسانية عند المسلم هي دائمًا مستريحة راضية مطمئنة إلي أن الطريق إلي الغاية مفتوحة وشرعية ومأجور عليها صاحبها، أما أمر الوسائل فهو شأن من يسرع بسرعة القادرين أو يتأخر حتىٰ يفسح الله له ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾(١)

ومعني هٰذا أن الإسلام يحول دون الكبت؛ لأنه يعترف بالواقع البشري ويضع الضوابط في حالة التنفيذ.

إن من أعظم معطيات الإسلام هو أنه ضبط الرغبة ولم يحقق لها الإباحة الكاملة، ذلك لأنه لا يريد أن يظن الإنسان أن هٰذِه الرغبة هي غايته الكبرىٰ،

---

(١) النور: ٢٤

أو أن يدمر كيانه الخاص من جراء الإسراف في مزاولتها، فجاءت تلك القيود ضرورة ملحة لازمة لحفظ كيان الفرد ذاته، وحماية المجتمع نفسه، ودفع الإنسان إلىٰ الأمام إلي الغايات الكبرى التي هو موئلها، في تعمير الأرض وتحقيق إرادة الله في تنفيذ النظام الرباني بالعدل والإخاء، والبر والرحمة، وتلك هي رسالته الكبرىٰ وليست الرغبة الحسية العاجلة.

ولقد حفظ التاريخ عشرات المواقف التي أنهارت فيها الأمم نتيجة التحلل والانهيار الخلقي.

وفي السنوات الأخيرة خلال الحرب العالمية أنهارت أمم تحت أول ضربة من خصومها، وأعلن قادتها أن مصدر ذلك هو التحلل الخلقي.

فالإسلام يعمل علىٰ حفظ أمته من هٰذا الخطر.كذلك فإن القول بأن إطلاق الحرية في الرغبات يزيد المتعة أو يعطى النفس حال الأكتفاء، هٰذا القول مردود بالتجربة والدراسة؛ فإن اللذات لا تنتهىٰ ولا تشبع منها النفس ولا يحس صاحبها أبدًا بالاكتفاء فينصرف عنها، سواء أكان ذلك في مجال الطعام أو مجال الجنس.

وإنما تنشأ من الإسراف طبيعة نهمة مسرفة من شأنها .أن تهدم الجسد الإنساني، ومن أجل هٰذا دعا الإسلام إلي التوسط والاعتدال﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1] ودعا إلي حماية البدن «إن لبدنك عليك حقًا»[2].

فالنظرية التي تقول بأن إطلاق الحرية يؤدي إلىٰ أن يفرغ الإنسان من ضغط الغرائز علي أعصابه يمكن أن تتحقق بالمنهج المعتدل الذي شرعه الإسلام في أمر الجنس والطعام وغيره، وذلك بالتوسط وعلىٰ فترات منظمة،

---

(١) الأعراف: ٧.

(٢) تقدم تخريجه.

أما إطلاق اللذات إطلاقًا كاملًا فإنه لا يؤدي إلي الغاية المرجوة، بل إنه يزيد الشهوات اشتعالًا، إن الطعام يقوي شهوة النهم، فالإسلام لا يقبل هذا النهج، ولا يسمح بالانطلاق الذي لا تحده ضوابط أو حدود، ذلك لعجز الجسد نفسه عن احتمال الجهد الدائم مهما تقوَّى بالطعام أو بغيره. ومن شأن كل شهوة يباح لها التفريغ الدائم الذي يؤدى بدوره إلي الظمأ الدائم أن تفسد العقل، وتذهب الصواب، وتجعله عرضة للهبوط والانحلال.

ومن هنا كانت الضوابط و الحدود عاملًا هامًا في ضبط كيان الفرد ومصلحة الجماعة.

والقيد المفروض علي الشهوة الجنسية هو قيد لصالح المجتمع، حماية له من اختلاط الأنساب، وتفكك الأسرة، واضطراب عواطف الناس، وهو في نفس الوقت حماية للفرد ذاته من الاضطراب النفسي. ومن شأن هذا التنظيم أن يقيم العلاقة الطيبة بين الفرد والمجتمع.

ولما كانت شهوة الجنس ليست غاية في ذاتها، وإنما هي عامل بقاء النسل واستمراره، فقد وضعت في حجمها الطبيعي حتى لا تفسد الرسالة الأساسية للإنسان ولا الهدف الصحيح له، وحتى يظل الكيان الإنساني محتفظًا بقدرته وقوته فترة طويلة سليمًا قادرًا علي النسل لحفظ النوع في الأرض.

هل علاقة الرجل بالمرأة هي علاقة جنس؟

هذا ما تحاول النظرية النفسية والاجتماعية الغربية أن تصوره؛ لتجعل هذه العلاقة قاصرة على الغريزة، وبذلك تنهدم كل الروابط الروحية والنفسية والاجتماعية بين الرجل والمرأة التي هي دعامة قيام الأسرة.ولا ريب أن هذه المحاولة إنما ترمي إلى هدم الكيان الاجتماعي كله، بالعمل علي تغيير التركيب الفكري للجنس البشري، وبإضعاف العوامل الأساسية لقيام الأسرة، وهي محاولة لم تتوقف علي مدى التاريخ من جانب القوي الهدامة، ولكنها

لم تحقق شيئًا، وكان مصيرها دائمًا الهزيمة والانحدار لأنها ضد طبيعة الأشياء ومعارضة للفطرة.

إن نظرة الإسلام إلي علاقة الرجل بالمرأة هي نظرة واقعية، وهي في نفس الوقت كريمة وسامية؛ فقد وضع الإسلام غريزة الجنس في موضعها الصحيح، فهو لم يحتقر ذلك النداء الطبيعي، ولم يعتبر الترفع عنه رقيًا، أو عبادة، وقد صور الإسلام هٰذِه العلاقة في أدق عبارة﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ فالأمر إذن أكبر من اللذة العارضة، وأكبر من الجنس، ولكنه محيط ضخم من التعارف والمودة، وأساس مكين لبناء شامخ فيه الأبوة والأمومة والبنوة، والتربية، والتكوين، والرعاية، والجنس جزء منه.

ولما كان الهدف الأكبر هو حفظ النوع، فقد أباح الإسلام هٰذِه العلاقة ووضع لها إطارها الصحيح، وجعل الضوابط أساسًا لحمايتها، فوضع أساس الأختلاط؛ وهو التقوىٰ وحرم الخلوة، ودعا إلي غض البصر، وإدناء الملابس، وإذا بلغت المرأة المحيض فلا يرىٰ منها إلا الوجه والكفان، وكره الإسلام للمؤمنات التبذل و الإبتذال، وجعل الإشباع الكامل لنداء الجنس هو الزواج دون سواه .

والمرأة في الإسلام ليست أداة كما تصورها بعض الفلسفات وليست شيطانًا، وقدم الإسلام تربية الأطفال،وحماية الأسرة ودعم الأسرة على العمل .

والإسلام في هٰذا يكرم المرأة ويحمىٰ عرضها وشرفها، ولا يجعلها كما تريد الحضارة الحديثة متعة وأداة يتمتع الرجل بها كيفما شاء ودون قيد يقيده أو نظام صحيح يكفل لها حماية وجودها وكيانها.

لا يتصور الإسلام المرأة جنسًا صرفًا، بل هي إلي ذلك أخت وأم أو

عقل وإرادة، ولا يرىٰ في الجنس رجسًا بل ينظمه بالزواج، ويرقيه في رسالة التربية وبناء المجتمع، وقد يضعف الإنسان رجلًا كان أو امرأة أمام الجنس المحرم، ولكنه قادر علي التماسك والسمو إذا أراد، والشعور الجنسي ليس محرمًا حتىٰ قبل الزواج؛ لأنه سبيل يؤدىٰ إليه، وفي إطار الجنس ذاته لا يكون الجنس لونًا واحدًا ولا درجة واحدة. نعم إن الشعور الجنسي يشغل من نفس الإنسان مساحة لا يشغلها من مساحة الحيوان والنبات والجماد، ولكنه يظل متوازنًا مع جوانب النفس الإنسانية الأخرىٰ في النفس السليمة ثم إن الجنس وسيلة لا غاية، وسيلة في الذرات المادية للتماسك، ووسيلة في النبات والحيوان لحفظ النوع، أما في الإنسان فهو وسيلة لحفظ النوع وترقيته، فالجنس جزء من ناموس الكون الأكبر ومن أخرجه عن وجهه بالكبت أو الإسراف خرج علي هٰذا الناموس.

وكذلك وضع الإسلام الجانب الجنسي في العلاقة بين المرأة والرجل في موضعه الطبيعي وحجمه الطبيعي بحيث لا يطغىٰ علي الجوانب الأخرىٰ، متطور إليه من خلال التكامل النفسي والتوازن الفطري، والخطأ في كل القصص تصور لحظة الضعف الإنساني علي أنها هي الحياة كلها وبذلك تمجد الرزيلة وتصور المجتمع و كأنه قد سقط كله في هٰذا ٱلأنحراف، وأن ٱلأنحراف قد بدأ طبيعيًا في كل بيت، وهٰذا ليس صحيحًا علي إطلاقه ولكنه من دعوة القُوى المضللة لهم المجتمعات ... حرم الإسلام الزنا وتحريم الزنا هو تكريم للمرأة و حماية لها من أن يأخذ منها الرجل ما ليس من حقه، والرجل الذي يمارس الجنس مع المرأة دون أن يرتبط بها رباطًا شرعيًا و دون أن يحمل أولادها ٱسمه، هٰذا الرجل إنما يحتقر المرأة، ولا ريب أن ٱكتمال الحرية الشخصية للرجل و المرأة إنما يتم بحق الزواج و الطلاق لا بالإباحة الجنسية، فليست الإباحة مرادفة للحرية، وتحريم الزنا في الإسلام لا ينبعث من كراهية للجنس، بل من ٱحترام للمرأة، وتنزيه لعلاقتها عن العبث، وحتىٰ

لا تكون المرأة زينة ومتعة وأداة للرجل، وحتىٰ لا ينسب الطفل إلي غير من أنجبه، ولقد عبرت عقوبة الزنا عن ٱحترام عميق للمرأة، وتقدير عميق للجنس، كذلك فإن الإسلام أحل الطلاق حتىٰ لا يقيد الرجل و المرأة دون رغبتهما الحقيقية، وحتىٰ يتمكن كل منهما من إعادة التجربة من جديد، وإنقاذ الأسرة من الكراهية والفشل.

والطلاق في الإسلام هو رد ٱعتبار المرأة المطلقة عندما لم يعد الزواج قائمًا على العدل والحق .

الإِسلام يحض على الزواج

وإذ يعتبر الإِسلام الزواج الطريق الفطري الذي يحقق للطاقة الجنسية هدفها الإنساني فضلًا عن تحقيقه اللذة الآنية منها فإنه ينبري للحض علىٰ الزواج وتسهيله وتيسير أسبابه.

وإلىٰ أن تتهيأ للشباب فرص الزواج وأسبابه فإن الإِسلام يدعوهم إلىٰ الأستعفاف وهو علاج مقبول وطبيعي في مجتمع نظيف خال من المثيرات مجتمع لا يترك الإِنسان فريسة القصف الغريزي المدمر، كما هو مشاهد اليوم في المجتمعات البشرية كافة[١].

ولقد وضع الإِسلام عوامل وسبلًا للوقاية من الوقوع في الزنا، من هٰذه العوامل:

١- العناية بالتربية والتوجيه:

وذلك بتثبيت العقيدة وإحسان العبادة وتزكية الأخلاق، فإذا توافرت هٰذه العناية نشأ الشباب - بنين وبنات - علىٰ حب الطهر والعفاف من ناحية وعلىٰ الشعور بالمسئولية الفردية من ناحية أخرىٰ.

فالتربية الروحية: غايتها عقد الصلة الدائمة بين الإِنسان وبين الله في كل لحظة من اللحظات تحقيقًا لاستقامة حياة الإِنسان وخضوعها للمنهج الإِسلامي في جميع تفريعاتها وتفصيلاتها.

إن شعور الإِنسان بأن الله قريب منه، يسمعه ويراه، يحصي سيئاته وحسناته، يبعث في نفسه الرهب والرغب والاطمئنان.. الرهب من مخالفة الله وعصيانه، والرغب في رحمته ورضوانه، والاطمئنان إلىٰ عدله وإحسانه، والقرآن الكريم يشير إلىٰ هٰذه المعاني في كثير من المواقع، منها قوله تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ

(١) «الإِسلام والجنس» ص٢٩-٣٣.

يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠] وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦].

ومن أجل بعث هذه الصلة من أجل تحقيق هذه المعاني في أعماق الإنسان، شرع الإسلام العبادة؛ لتنظيم وتنمية هذا العروج الروحي الذي يرتقي بالإنسان دائمًا إلىٰ الأعلىٰ ويدفعه دومًا إلىٰ الأسمىٰ ..﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إن العبادة في مدلولها الحقيقي وفي مردودها الأصيل هي بعث للطاقة الروحية التي توقظ القلب وتحييه وتجعله يمارس وظيفته الهادية في حياة الإنسان.

إن حياة القلب ويقظته حياة النفس ويقظتها، حياة الضمير ويقظته، وإن موت القلب وغفلته موت الضمير وغفلته وانعدام الخير وانطفاء النور في أعماق النفس البشرية، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**» وإلىٰ هذا المعنىٰ يشير الشاعر:

رأيت الذنوب تميت القلوب   وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب   وخير لنفسك عصيانها

أن التربية الروحية في مقاصدها الأساسية تهدف إلىٰ إيجاد النفسية المسلمة المتكاملة.. إلىٰ تحقيق (الكيفية الإسلامية) التي يمارس الإنسان بها غرائزه وميوله ونزعاته جميعًا..

٢- التبكير بالزواج لتوفير الإحصان:

عن عبد الله بن مسعود.. قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع البَاءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه**

بالصوم فإنه له وِجَاء»(١).

يشيع أهل الضلال أن الزواج المبكر للفتاة غير حسن! وأن الزواج المتأخر خير منه، وترسخت قناعة لدىٰ كثير من البنات بهٰذا، بل لدىٰ كثير من أهلهن أيضًا.

ولكن، في مقابل هؤلاء نجد فتيات واعيات مدركات لمحاسن الزواج المبكر، وحريصات عليه.

ولقد قرأت ما نشرته إحدىٰ الصحف اليومية من آراء عدد من الفتيات في الزواج المبكر، فكانت المؤيدات له أكثر عددًا وأقوىٰ دليلًا، وأبلغ حجة.

تعدد إحدىٰ الفتيات إيجابيات الزواج المبكر فتقول: أنا أحبذ الزواج المبكر للفتاة. وهٰذا ينبع طبعًا من قناعتي ومبادئي التي أستمدها من الإسلام الذي أيد الإبكار، ومن ثمرات الزواج المبكر: الراحة النفسية والفسيولوجية نتيجة تلبية الفتاة لرغباتها الغريزية التي تكون في هٰذه السن في أوجها، وتكوين أسرة في وقت مبكر، وهو ما يلبي فطرة كل أنثىٰ بأن تصبح أمًّا.

وتضيف امرأة تزوجت مبكرًا ثمرة أخرىٰ لهٰذا الزواج وهي أن الفارق الأقل في السن بينها وبين أبنائها وبناتها؛ نتيجة إبكارها في الزواج، يجعلها مثل رفيقة لهم، تفهمهم ويفهمونها، وتكون قريبة من أفكارهم مقدرة مشاعرهم وأحاسيسهم.

وتضيف فتاة أخرىٰ إيجابية هامة إلىٰ إيجابيات هٰذا الزواج، وهي أنه يمنح الفتاة استقلالًا عن أهلها، ويجعلها حرة داخل بيتها الجديد.

وأختم فضائل الزواج المبكر بالتذكير بأن إنجاب المرأة أولادًا معافين أصحاء لا يتحقق بعد سن الثلاثين؛ في الأغلب، ومعنىٰ هٰذا أن التأخر في الزواج ينقص من الزمن الذي تستطيع فيه المرأة إنجاب هؤلاء الأطفال

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠) [٣،٤].

المعافين الأصحاء[١].

٣ - المراقبة الحازمة في سن المراهقة:

عن عبد الله بن عباس قال: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت ٱمرأة من خَثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلىٰ الشق الآخر[٢].

فالنبي ﷺ لاحظ نظر المرأة إلىٰ الفضل وكذلك نظر الفضل إليها لذلك صرف وجه الفضل إلىٰ الشق الآخر حيث تخشىٰ الفتنة لا سيما في سن الشباب والمراهقة.

عن أم عطية قالت: كنا نؤمر أن نَخْرُج يوم العيد حتىٰ نُخْرِج البكر من خدرها، وفي رواية: أمرنا نبينا ﷺ أن نخرج العواتق وذوات الخدور[٣].

عن ابن عباس:... أن رسول الله ﷺ كثر عليه الناس (يوم فتح مكة) يقولون: هٰذا محمد هٰذا محمد، حتىٰ خرج العواتق من الخدور.

فالحديثان يشيران إلىٰ أن العرف الذي أقره الرسول ﷺ كان يضيق علىٰ البنات الأبكار في الخروج من البيت حتىٰ تقل مجالات لقائهن الذكور.

جاء في «المبسوط» للسرخسي:... فإذا بلغت الجارية ٱحتاجت إلىٰ التزويج (كذلك كان عرف ذلك الزمان).. وصارت عرضة للفتنة ومطمعة للرجال، فإن كانت البكر قد دخلت في السن فاجتمع لها رأيها وعقلها... وأخوها وعمها مخوف عليها (أي غير مؤتمن عليها) فلها أن تنزل حيث شاءت

---

(١) «رسالة إلىٰ مؤمنة» ص٢١٢-٢١٣ .

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٤٤٣ رقم ١٥١٣)، (٤/ ٧٩ رقم ١٨٥٤)، (٤/ ٨٠ رقم ١٨٨٥)، (٧/ ٧٠٨ رقم ٤٣٩٩)، (١١/ ١٠ رقم ٦٢٢٨)، ومسلم (٢/ ٩٧٣ رقم ١٣٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤، ٣٥١، ٩٧١، ٩٧٤، ٩٨٠، ٩٨١، ١٦٥٢)، ومسلم (٢/ ٦٠٦ رقم ٨٩٠) [١٠، ١١، ١٢].

في مكان لا يخاف عليها.. لأن الضم (إلىٰ الأخ أو العم) كان لخوف الفتنة بسبب الانخداع وفرط الشبق وقد زال ذلك حين دخلت في السن واجتمع لها رأيها وعقلها.

وليس معنىٰ تضييق مجالات اللقاء في سن المراهقة أن نمنعها نهائيًا إنما معناه تقليل هٰذه المجالات من ناحية وتوفير المراقبة من ناحية، والمراقبة تكون - في نطاق العائلة - بحضور الوالدين أو بعض الأقارب، وخارج نطاق العائلة بحضور شخصيات لها احترام وهيبة في نفوس الشباب.

٤ - حرم الإسلام النظر بشهوة أو المس.

قال تعالىٰ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

٥ - أمر الإسلام النساء بالحجاب ونهىٰ عن تبرجهن..

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقال الله تبارك وتعالىٰ في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال النبي ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»**[1].

٦ - نهىٰ الإسلام عن سفر المرأة وحدها بلا محرم:

وذلك لما يجره سفر المرأة بلا محرم من فواحش ومحرمات، فالمرأة

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) [١٢٥]، وص٢١٩٢ [٥٢].

بجبلتها التي جبلها الله عليها ضعيفة لا تستطيع في كثير من الأحيان الدفاع عن نفسها، وسرعان ما تُخدع، وسرعان ما تضعف، وسرعان ما يُغرَّر بها، فمن ثَمَّ نُهيت عن السفر بلا محرم، وقد تواترت النصوص عن رسول الله ﷺ في ذلك.

٧ - نهىٰ الإسلام عن الخلوة:

فالخلوة من أكبر العوامل التي تساعد علىٰ الفاحشة لذلك جاءت النصوص تحذر من الخلوة وتمنع الخلوة بغير الزوجة والمحارم من النساء.

وقد أدىٰ التساهل في هٰذه المسألة في بعض المجتمعات التي ٱنحرفت عن فطرة الله تعالىٰ إلىٰ كوارث ٱجتماعية باتت تهدد بانهيار تلك المجتمعات، ومن ذلك ما ورد في دراسة جرت في ألمانيا وأظهرت أن (٦٨٪) من النساء العاملات يتعرضن للتحرش الجنسي المستمر أثناء العمل، ولهذا فإن البلدان التي كانت تبيح الاختلاط والخلوة بين الجنسين أخذت تعود تدريجيًا إلىٰ جادة الصواب، وبدأت تسنُّ القوانين الصارمة للفصل بينهما، ومن ذلك ما أعلنته وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) في أواخر شهر آذار (مارس ١٩٩٨م) من توجيهات تمنع ٱنفراد مجند بمجندة وراء باب مغلق، بعد ٱنتشار فضائح التحرش الجنسي وغيرها من الفضائح الأخلاقية في قطاعات الجيش المختلفة.

٨ - حرم الإسلام علىٰ المرأة التطيب:

فتطيب المرأة وتعطرها يعد أيضًا من العوامل التي تساعد علىٰ ٱقتراف الفاحشة.

لذلك قال النبي ﷺ: «**إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبًا**»[(١)].

٩- حرم الإسلام علىٰ الزوجة أن تمتنع من فراش زوجها إذا طلبها للجماع

---

(١) أخرجه مسلم (١/٣٢٨ رقم ٤٤٣) [١٤١، ١٤٢].

لقول النبي ﷺ : «إذا دعا الرجل ٱمرأته إلىٰ فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتىٰ تصبح»[(١)].

فتلبية الزوجة لرغبة زوجها الجنسية، دون تلكؤ أو تباطؤ أو تسويف يعدُّ عاملاً وقائيًا لزوجها من الآنحراف؛ لأن أساس الخيانة الزوجية هو تلك الرغبة الجامحة في الزوج، فحين لا تلبيها الزوجة يقوىٰ ٱندفاع الزوج نحو الخيانة؛ لتلبية غريزته لدىٰ ٱمرأة أخرىٰ بصورة غير شرعية فهٰذه الكاتبة كارول بوتوين تقدم عدة نصائح للزوجة تساعدها علىٰ الآحتفاظ بزوجها بعيدًا عن الخيانة حيث تقول في كتابها الذي كان واحدًا من أكثر الكتب مبيعًا في الولايات المتحدة «رجال ليس بوسعهم أن يكونوا مخلصين» .

«لتكن حياتكما الجنسية مفعمة بالحيوية، فالأزواج يعلقون أهمية كبرىٰ علىٰ الحياة الجنسية، فإذا ما وجدت القناعة في هٰذه الناحية، فمن غير المحتمل البحث عن ٱمرأة أخرىٰ».

فهٰذا هو حكم الإسلام في علاقة المرأة بالرجل الأجنبي عنها من حيث النظر والخلوة والمس والمشاركة الآجتماعية والعلاقة العاطفية والعلاقة الجنسية.

والناظر فيها يجد أنها علاقة لا تفريط فيها ولا إفراط..

وبقي لنا أن نعرف علاقة المرأة بالرجل الأجنبي عنها عند الغرب ثم نوازن من خلال النتائج أينا أهدىٰ طريقًا؟

وفضح الآستعمار الفكري الذي صنع في بلادنا قومًا يَصمُّون آذانهم عن حكم الله ورسوله، ويدعوننا إلىٰ أن ندع للمرأة حبلها علىٰ غاربها، حتىٰ تثبت وجودها، وتبرز شخصيتها، وتستمتع بحياتها وأنوثتها!

تختلط بالرجل بلا تحفظ، وتخبُره عن كثب، فتخلوا به، وتسافر معه،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٧، ٥١٩٣)، ومسلم (١٤٣٦) [١٢١، ١٢٢].

وتصحبه إلىٰ السينما وتسهر معه إلىٰ منتصف الليل، وتراقصه علىٰ نغمات الموسيقىٰ، وتعرف في تجوالها - بالتجربة لا بالسماع - الرجل الذي يصلح لها وتصلح له، مِن بين مَن عرفتهم من الأصدقاء والمعجبين، وبهذا تستقر الحياة الزوجية، وتصمد في وجه العواصف والأعاصير!

ويقول هٰؤلاء الذين يزعمون أنهم ملائكة مطهرَّون: لا تخافوا علىٰ المرأة ولا علىٰ الرجل من هٰذا الاتصال المهذَّب، والصداقة البريئة، واللِّقاء الشريف، فإنَّ صوت الشَّهْوة - لكثرة التلاقي - سيخفت، وحدَّتها ستفتر، وجذوتها ستخبو، ويجد كل من الذكر والأنثىٰ لذته في مجرد اللقاء والاستمتاع بالنظر والحديث، فإن زاد علىٰ ذلك فمراقصة، هي ضرب من التعبير الفني الرفيع ! أما المتعة الحسية فلن يصبح لها مكان، إنه التصريف النظيف للطاقة لا غير! وكذلك يفعل الغربيون المتقدمون بعد أن فكوا عقدة الكبت والحرمان !!

وردنا علىٰ هٰذه الدعوىٰ من جهتين:

أولًا: إننا مسلمون قبل كل شيء، ولا نبيع ديننا اتباعًا لهوىٰ الغربيين أو الشرقيين، وديننا يحرِّم علينا هٰذا الاختلاط بتبرجه وفتنته وإغوائه؛ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

ثانيًا: إن الغرب الذي يقتدون به يشكو اليوم من آثار هٰذا التحرر أو التحلل الذي أفسد بناته وبنيه، وأصبح يهدد حاضرته بالخراب والانهيار، ففي أمريكا والسويد وغيرهما من بلاد الحرية الجنسية، أثبتت الإحصاءات أن السعار الشهواني لم ينطفئ بحرية اللقاء والحديث، ولا بما بعد اللقاء والحديث، بل صار الناس كلما ازدادوا منه عَبًّا، ازدادوا عطشًا.

وعلينا أن نبحث: ماذا كان أثر هٰذا التحرر أو التطور، أو التحلل من

الفضائل والتقاليد، في المجتمعات الغربية المتحضرة؟

وهٰذا ما سنعرفه في الباب الثاني.

النتائج

رأينا فيما سبق أن الإسلام حدد علاقة المرأة بالرجل الأجنبي عنها ووضع الضوابط والقيود لتلك العلاقة، فهي علاقة لا إفراط فيها ولا تفريط، ولا ريب أن ذلك حفظ المرأة من الوقوع في الهاوية، وحافظ علىٰ أنوثتها وإنسانيتها، وعاشت المرأة في كنف الإسلام تجد سعادتها وحريتها وتكريمها، وهاهي بعض شهادات النساء الغربيات، التي تنم عن غبطتها للمرأة المسلمة، وتتمنىٰ أن لو عاشت في بلاد الإسلام تحت مظلته لتجد إنسانيتها وأنوثتها وكرامتها المفقودة في بلادهن.

تقول الكاتبة آنىٰ رود: لئن تشتغل بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها. إلىٰ الأبد. ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهر رداء الخادمة والرقيق يتنعمان بأرغد عيش ويعاملان كما يعامل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء. نعم إنه لعار علىٰ بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال فما بالنا لا نسعىٰ وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها.

وتقول بالرجان مارش[1]:

«... علىٰ فرض وجود بعض القيود علىٰ المرأة المسلمة في ظل

---

(١) سالي جان مارش: سلوىٰ جان مارش:

ولدت في واشنطن عام ١٩٥٤ في عائلة بروتستانتية. حصلت علىٰ درجة الماجستير في العلوم السياسية من واشنطن، كما تفرغت لدراسة اللغة العربية بجامعة الكويت. قرأت كثيرًا عن معظم الأديان المعروفة في الغرب فلم يقبل عقلها أي واحد منها فلما التقت بالإسلام أحست منذ البداية أنها تؤمن بكافة تعاليمه بحكم فطرتها التي فطرها الله عليها فانتمت إليه.

الإسلام، فإنَّ هٰذه القيود ليست إلا ضمانات لمصلحة المرأة المسلمة نفسها، ولخير الأسرة، والحفاظ عليها متماسكة قوية، وأخيرًا فهي لخير المجتمع الإسلامي بشكل عام».

«لقد لاحظت أن المشكلات [العائلية التي يعاني منها الغرب] لا وجود لها بين الأسرة المسلمة التي تنعم بالسلام والهناء وكذلك الحب فلا الزوج ولا زوجته في ظل الإسلام يعرفان شيئًا عن موعد العشاق ومودة الصديقات السائدين هٰذه الأيام في الأقطار غير الإسلامية. لقد أحببت هٰذا الجانب من الحياة الإسلامية حبًا كثيرًا، لأنه يمنح الزوج والزوجة والأبناء ما لابد لهم عنه من حب وإخلاص وسلام يعمر حياتهم. وليس ذلك فحسب بل بفضل هٰذا الإخلاص في العلاقات الزوجية بين المسلمين، هم واثقون أن أبناءهم حقًا من صلبهم غير دخلاء عليهم. وهٰذا مفقود في المجتمعات الأخرىٰ».

ويقول جاريٰ واندر(١):

«من خلال معايشتي للمسلمين أكتشفت العلاقة الرائعة بين أفراد الأسرة المسلمة، تعرّفت كيف يعامل الآباء المسلمون أبناءهم، وعرفت العلاقة الوثيقة التي تربط أفراد الأسرة المسلمة، كما أعجبت بالمكانة التي يتمتع بها كبار السنّ بين المسلمين. وفي الوقت الذي أجد فيه كبار السن في الغرب وفي بلادي أمريكا، قمة الحضارة الغربية المادية المعاصرة، يلقىٰ بهم في مؤسسات العجزة، وينبذون فلا يلتفت إليهم أحد، أجد الجد والجدة المسلمين في مركز الأسرة وبؤرتها من حيث الحفاوة والتكريم. لقد أحببت ذلك كثيرًا»(٢).

---

(١) جاري واندر:
صحفي أميركي يعمل في صحيفة (كويت تايمز) من مواليد نيويورك. نشأ في ظل أسرة بروتستانتية. تخرج من قسم العلوم السياسية بجامعة نيويورك. زار عددًا من البلاد العربية حيث وجد نفسه يندفع لاعتناق الإسلام. وهو الآن في العقد الرابع من عمره.

(٢) «قالوا عن الإسلام» د/ عماد الدين خليل.

في مقابلة صحيفة أجرتها إحدىٰ المجلات العربية مع «نادية أوبيريية» وهي امرأة فرنسية متخصصة في الفن الإسلامي قالت: (وجدت المرأة العربية (المسلمة) محترمة ومقدرة داخل بيتها أكثر من الأوروبية، وأعتقد أن الزوجة والأم العربيتين تعيشان بسعادة تفوق سعادتنا، وربما كان الأمر مختلفًا بالنسبة للمرأة العاملة التي تقع عليها أعباء كثيرة بالإضافة إلىٰ أعباء البيت».

وتوجه نصحها للمرأة المسلمة فتقول: «**لا تأخذي من العائلة الأوروبية مثالاً لك.. لأن عائلاتها هي أنموذج رديء لا يصلح مثالاً يحتذىٰ**»[1].

إن بقاء المرأة في بيتها، واهتمامها برعاية زوجها وأولادها هو سر نجاها وسعادتها واستقرار الأسرة وتماسكها لا سيما وأن الإسلام أمر المرأة بطاعة زوجها في المعروف كما أمر الرجل بإكرام المرأة واحترامها والعطف عليها فقال عليه الصلاة والسلام: «**استوصوا بالنساء خيرًا...**».

---

(١) «مجلة الأمة القطرية»، العدد/ ٣٤.

الباب الثاني

علاقة المرأة بالرجل في حضارة الغرب

الفصل الأول
علاقة المرأة بالرجل الأجنبي عنها
عند الغرب

تاريخ الإباحية

إن أساطين الفلسفة والأدب وأقطاب العلوم الطبيعية، الذين رفعوا لواء الإصلاح في القرن الثامن عشر، كانوا يجابهون نظامًا للتمدن فيه أنواع من القيود والسدود، وفيه صلابة من غير مرونة، وعسر من غير يسر، طافحًا بالتقاليد النابية التي لا يقبلها الطبع، والضوابط الجامدة والطرق المناقضة للفطرة والعقل. وزاد طينه بلة ٱنحطاط القوم المتواصل علىٰ طول القرون فجعله عقبة كأداء في كل طريق للرقي، فبجانب كانت النهضة العلمية والعقلية الجديدة تبعث في نفوس الطبقة المتوسطة أشد الميل إلىٰ التقدم والنبوغ بالعمل والاجتهاد الذاتي، وبجانب آخر كانت علىٰ رءوسهم طبقة الأمراء والزعماء الدينيين تبالغ في شدهم بالأغلال التقليدية، فمن الكنيسة إلىٰ الجندية والقضاء، ومن قصور الإمارة إلىٰ المزارع ودور التجارة، كل شعبة من شعب الحياة وكل مؤسسة للتنظيمات الٱجتماعية كانت تجري علىٰ نظام يتيح لبعض الطبقات المخصوصة - بحجة ٱمتيازاتها القديمة وحقوقها المتوارثة- أن تعسف وتجور علىٰ من لا ينتمي إليها من العاملين الناهضين، فتذهب بثمار أعمالهم وتستأثر بنتاج مواهبهم وكفاءاتهم، فكل محاولة يقوم بها القائمون لإصلاح تلك الحال كانت تخيب وتفشل بإزاء أثر الطبقات المسيطرة وجهالتها، لهٰذه الأسباب كلها غدت الطبقات الناشدة للإصلاح تثور في نفوسهم مع الأيام ثائرة الٱنقلاب الجامحة، حتىٰ غلبت عليهم، وعمتهم آخر الأمر نزاعات البغي والثورة علىٰ هٰذا النظام الٱجتماعي بجميع شعبه وأجزائه، وراج بين الناس نظرية متطرفة في الحرية الشخصية ترمي إلىٰ إعطاء الفرد الحرية التامة والإباحية المطلقة بإزاء المجتمع، فأصبحوا ينادون بأنه يجب أن يكون للفرد الحق المطلق في عمل ما يشاء والحرية الكاملة في ترك ما يشاء وليس للمجتمع أن ينتزع منه الحرية الشخصية، وأما الحكومة فواجبها أن تحافظ علىٰ هٰذه الحرية التي يتمتع بها الفرد في تصرفاته، وأما

المؤسسات الاجتماعية فينبغي ألا تكون غايتها سوىٰ إعانة الفرد علىٰ تحقيق مقاصده.

هٰذا التصور المغالي للحرية، الذي كان في الحقيقة نتيجة غضب وسخط علىٰ نظام اجتماعي قائم علىٰ الظلم والحيف، كان يحمل في مطاويه أسباب الفساد الأكبر والذين تقدموا بهٰذا التصور بادئ ذي بدء ما كانوا بأنفسهم عارفين بنتائجه المنطقية، ولعل أرواحهم كانت تهتز من الذعر لو تمثلت أمام أعينهم تلك النتائج التي كانت ستؤول إليها من هٰذه الإباحية المطلقة والفردية العاتية الباغية ضربة لازب، إنما أراد أولئك أن يتخذوا هٰذا التصور المتطرف أداة لمنع تلك الشدائد الظالمة ولفك تلك القيود الثقيلة غير العادلة التي كانت توجد في مجتمعهم، ولكن تأصل هٰذا التصور آخر الأمر في الذهن الغربي وأصبح ينمو ويزكو ويؤتي أكله.

تغيرات الأحوال في القرن التاسع عشر:

فهٰذا التصور المتطرف للحرية هو الذي حدثت بفعله الثورة الفرنسية الكبرىٰ، فجاءت تبطل كثيرًا من النظريات الخلقية القديمة وتهدم القواعد المدنية والدينية العتيقة، ولما تحقق عند أصحاب الثورة أن سقوطها وانهدامها كان سبيل الرقي ومبعث الحرية، استنتجوا منه وقرروا أن كل نظرية وكل طريق عملي نزل إليهم من السلف، عقبة معترضة في طريق الرقي والازدهار، ولا يمكن التقدم إلىٰ الأمام بدون إزاحتها عنه، لذلك ما إن فرغ رجال الثورة من إبطال المبادئ الخاطئة للتعاليم الخلقية المسيحية حتىٰ أنحوا بمعول انتقادهم علىٰ التصورات الأساسية لنظام الأخلاق الإنسانية، يجرحونها ويشككون فيها ويتساءلون ما هٰذا العفاف؟ وما هٰذا الظلم والتضييق علىٰ الشباب الجامح بقيود التقوىٰ؟ وأي نازلة تنزل بالأرض إن أحب المرء حبيبة بدون زواج؟ ثم إذا تزوج المرء فهل يفارقه قلبه، حتىٰ يحرم عليه الحب فيما بعد؟ فمثل هٰذه الأسئلة أخذت تنشأ وتوجه من كل جانب في المجتمع الانقلابي

الجديد، وأثار ضجتها -بوجه خاص- الطبقة المنتمية إلىٰ المذهب الرومانتيكي (Romantic - School) كانت جورج صاند (Georg Sand) زعيمة هٰذه الطبقة في مطلع القرن التاسع عشر، فبدأت بنفسها بالخروج علىٰ جميع المبادئ الخلقية التي لا زال عليها مدار الكرامة الإنسانية، وعفاف المرأة علىٰ الأخص، منذ الأزل، إذا اتخذت الأخدان علىٰ كونها متزوجة من رجل، حتىٰ آل الأمر بينها وبين زوجها إلىٰ الفرقة، وغدت بعد ذلك تستبدل زوجًا بزوج، ولم تعاشر أحدًا منهم أكثر من عامين ويجد القارئ في ترجمة حياتها أسماء ستة أشخاص علىٰ الأقل كانت تخادنهم علنًا، ويصفها أحد هٰؤلاء الأصدقاء الستة بما يلي:

«من عادة جورج صاند أنها تصيد فراشة هائلة بجمالها، فتحبسها في قفص من الرياحين والأزهار، وتتمتع بمنظرها، وهوىٰ محبتها وإقبالها، ثم تأخذ بعد ذلك توجع الطائر المسكين بوخز الإبرة وتلتذ بما تراه من تململه واضطرابه، وهٰذا عهد نفورها وإدبارها، ولابد من معاناة شدائد هٰذا العهد لكل من شاء له القدر أن يقع في إسارها، ثم تعود فتجزُّ أجنحة الفراشة المعذبة وتغدو تشرحها وتحللها، حتىٰ تلقي بها أخيرًا إلىٰ جملة الفراشات التي تتخذ منها أبطالًا لروايتها».

وكان من بين عشاقها أيضًا الشاعر الفرنسي ألفرد موسيه: (Alfred Musse) الذي بلغ من نفسه الأسىٰ والألم من جفاء عشيقته أن أوصىٰ حين وفاته: ألا تحضر جنازته جورج صاند، فهٰذه هي الأخلاق وهٰذا هو السلوك العملي الذي كانت عليه تلك الزعيمة العظيمة التي تؤثر في نفوس النشء الفرنسي أبلغ الأثر بكتابتها الغضة الرائعة. واقرأ ما تكتب عن (ليليا) إلىٰ (إستينو) في روايتها المشهورة ليليا :(Lelia)

(كلما أستزيد من النظر في هٰذه الدنيا وأتقدم في تجاربها، أستشعر بمدىٰ الخطأ البعيد في أفكار شبيبتنا، فما أخطأ الفكرة القائلة - يا صديقي -

بأن الحب يجب أن يكون مقصورًا علىٰ حبيب واحد، ثم يكون ذلك الحب المحدود مستوليًا علىٰ القلب نافذًا منه إلىٰ الصميم، ويجب أن يكون أبديًا سرمديًا، لا ريب إنه ينبغي للمرء أن يفسح ذراعه لجميع الأفكار والنظريات المختلفة، ومن ثم أنا أعترف بأنه يحق لبعض النفوس أن تكون لها حاجات أخرىٰ وفيها مواهب وكفاءات لما وراء ذلك، ويلزم ذلك أن يتسامح الجانبان فيما بينهما ويرضي أحدهما الآخر بالحرية في الفكر والعمل، ويدخر من نفسه الآثار التي تبعث في النفوس الحسد والغيرة والمنافسة، كل أصناف الحب صحيحة، شديدًا جامحًا كان أو هادئًا معتدلًا، وشهوانيًا كان أو روحيًا، وأبديًا كان أو عارضًا متحولًا، وسوءًا كان يدفع الناس إلىٰ الآنتحار أو يدخل عليهم المتع واللذات، وفي رواية لها أخرىٰ (جاك) تذكر جورج صاند صفة الزوج الذي كان أمثل نموذج عندها للزوجية وذلك أن آمرأة بطل الرواية جاك تتعلق بأجنبي وترتمي في حضنه فلا يبغضها عليها الزوج السمح الواسع الظرف ولا ينفر منها. ويبين السبب في عدم نفوره منها، بقوله إن الزهرة التي تتفاوح لأحد غيري وتمتعه برؤياها، مالي أن أدلكها بيدي أو أطأها تحت قدمي، وتمضي الكاتبة في رواياتها وتقول في مقام أخر منها علىٰ لسان (جاك): لم أبدل رأيي، ولم أصالح المجتمع، وإن النكاح في رأيي لأفظع الطرق الآجتماعية وأكثرها همجية، وإن كتب للجيل الإنساني أن يتقدم حقًا في طريق العقل والعدل، فليأتين عليه حين من الدهر يلغي النكاح ويستبدل به طريقة أخرىٰ لا تقل عنه قداسة وطهرًا، ثم تكون أدنىٰ منه إلىٰ التهذب والإنسانية، حينئذ سيتآلف الجيل الإنساني من رجال ونساء متسامحين لن يتحجر أحد منهم علىٰ حرية الآخر، أما الآن فقد بلغ من أثرة الرجال وفسولة النساء ألا يطالب أحد منهم بقانون أكرم وطريقة أمثل من هٰذا القانون، ومادام القوم علىٰ هٰذه الحال من فقد الصلاح وضعف الضمير، فليرسفوا في هٰذه القيود الفادحة، ولا أبالي).

هٰذه الأفكار، تقدموا بها حوالي سنة ١٨٣٣م، وهي أقصىٰ ما ٱستطاعت جورج صاند أن تمضي إليه، أما المضي بهٰذا التصور إلىٰ نهايته المنطقية، فلم تجترئ عليه حتىٰ هٰذه الزعيمة، إذ كانت مع كل حريتها الفكرية واستنارتها العقلية، لا يخلو ذهنها من ظلمة الأخلاق المتوارثة القديمة ثم خلفتها في أرض فرنسا بعد ثلاثين سنة ونيف طائفة أخرىٰ من رجال الأدب وعلماء الأخلاق وكتاب المسرحيات، كان علىٰ رأسهم ألكسندر دوما (Alexander Dumas) وألفرد ناكه (alferd Naqut) استفرغوا جهودهم؛ لإشاعة الفكرة القائلة بأن الحرية والتمتع بلذات الحياة في حد ذاته حق فطري للإنسان، ومن عدوان المجتمع علىٰ الفرد أن يقيد حقه هٰذا بسلاسل الأخلاق والتمدن، وبينما كانت المطالبة بحرية الفرد في أعماله تقدم فيما قبل باسم عاطفة الحب المقدسة، ٱستضعف المتأخرون هٰذا الأساس العاطفي المحض، فاجتهدوا لدعم الحرية الشخصية والجموع والفوضىٰ الفردية، علىٰ أسس مُحكَمة من العقل والحكمة والفلسفة، حتىٰ يأتي الفتية والفتيات كل ما يشاءون بقلوب هادئة وضمائر مطمئنة، ولا يجترئ المجتمع علىٰ التشكي من غلواء شبابهم، بل يستحسنها منهم ويعدها جائزًا في شرع الأخلاق.

وفي أواخر القرن التاسع عشر قام بول أدام (Paul Adam) وهنري بافالي (Henry Bateills) وبيير لوي Pierre louis وكثير من الأدباء غيرهم بمهمة نفخ الجراءة الماجنة في الشباب، حتىٰ تتخلص النفوس من الإحجام والنكول الباقي فيها بتأثير التصورات الخلقية القديمة، فهٰذا بول أدام يسترسل في ملامه للشباب في كتابه (La Morl de - L‘amour) لسخفهم وحماقتهم؛ إذ يحاول أحدهم أن يقنع حبيبه أو حبيبته – صدقًا وكذبًا – أنه متهالك عليها متفان في حبها ولن يتحول عنها أبد الدهر، ويمضي بعد ذلك يقول:

والسبب في كل ذلك أن شهوة اللذات - هٰذه الشهوة الصحيحة التي قد ركبت في فطرة كل إنسان، وليست من الإثم أو السيئة في شيء - تعاب وتزدري لغلبة الأفكار القديمة علىٰ النفوس، فيحتال المرء بلا سبب لإخفائها وراء كلمات ملفقة مزوقة، ومن أكبر ما يأخذ علىٰ الأمم اللاتينية أن الاَثنين المتحابين فيها يتأثم أحدهما من مصارحة الآخر بأنه لا يلاقيه ولا يجتمع به إلا للتلذذ وقضاء شهوة جسدية ليس غير، فينصح الشباب بعد ذلك: عليكم بالتهذب والتعقل والترشد: فلا تتخذوا أدوات متعتكم وأسباب لذتكم، إنها لكم لا تنصرفون عنه إلىٰ غيره، فإنه لأحمق من يختار لنفسه صنمًا واحدًا في صومعة الحب، ويقيم علىٰ عبادته دون غيره، وإنما ينبغي للمرء أن ينتخب صاحبًا جديدًا لكل ساعة من ساعات لذته ومجونه.

وتقدم بيير لوي هٰؤلاء جميعًا، فأعلن بملء فيه أن القيود الأخلاقية حائلة في الحقيقة دون نمو الذهن الإنساني ونشوء مداركه، وما دام الإنسان لا يحطم أثقالها ولا يتمتع بلذات نفسه وجسده بتمام الحرية فلا يمكنه الاَرتقاء العقلي أو العلمي أو المادي أو الروحي، فحاول هٰذا الأديب بكل ما في وسعه من قوة وحزم أن يبرهن في كتابه أفروديت (Aphrodit) أن بابل والإسكندرية وأثينا وروما والبندقية وكل ما عداها من مراكز المدنية والحضارة كانت علىٰ أوج مجدها وأتم اَزدهارها حينما كانت الميوعة والإباحية واتباع الأهواء (Licentiousness) فيها علىٰ أشدها، ولكنه لما منيت الشهوات الإنسانية فيها بقيود الأخلاق والتزامات القانون، تقيدت روح المرء وجمدت في تلك القيود، كما قيدت فيها أهواؤه وشهواته.

بيير لوي هٰذا كان في زمانه أديبًا ذائع الصيت وكاتبًا بارع الأسلوب وزعيمًا لمذهب أدبي مستقل في فرنسا، وكان من ورائه فوج من كتّاب الروايات والمسرحيات والمتكلمين في مسائل الأخلاق، يؤيدون فكره وينشرون دعوته فاستنفذ قوة بيانه وإنشائه في تحسين العرىٰ ومدىٰ الحرية

والانحلال في الذكور والإناث، وقد كتب في كتبه (أفروديت) يمدح وينوه بذلك العصر اليوناني:

إذا كانت تستطيع الإنسانة العريانة - أي تلك الصورة التي هي أكمل ما يمكن أن يتصور، والتي قد علمنا عنها من أهل الديانات أنها قد خلقها الله علىٰ صورته نفسه - أن تعرض نفسها علىٰ عشرين ألف ناظر في شخص عاهرة مقدسة، تتكسر في مشيتها وتتثنىٰ في غنجها ودلالها، وحينما لم يكن الحب الشهواني المتناهي الدرجة - أي ذلك الحب السماوي المقدس الذي قد تولدنا منه جميعًا - لم يكن إثمًا ولا عارًا ولا نجسًا.

وبلغ به في فكرته هٰذه أنه صرح بدون كناية أو تعريض بياني بأنه: يجب علينا أن نستأصل بالتعلي الأخلاقي القوي، تلك الفكرة السمحة القائلة بأن صيرورة الفتاة أَمًّا تكون في حال من الأحوال غضاضة أمرًا محظورًا ساقطًا من مستوىٰ الكرامة والشرف.

مظاهر الارتقاء في القرن العشرين

هٰذا هو الحد الذي بلغه الرقي الفكري في القرن التاسع عشر، ثم ظهر في سماء الفكر مع بداية القرن العشرين صقور جدد، حاولوا أن يحلقوا في سماء أعلىٰ مما سما إليه من تقدمه، فصدرت سنة ١٩٠٨ م مسرحية لبيير رولف (Pierre wolf) وغاستون ليرو Gaston levoux توجد في إحدىٰ مناظرها فتاتان تناقشان أباهما بمحضر من أخيهما الشاب في حريتهما لأن تلقيا قلبيهما حيثما تشاءان، وتبينان له كيف تكون الحياة بدون الحب أمر من العلقم لفتاة في مقتبل الشباب، وهناك فتاة أخرىٰ يعذلها أبوها الشيخ علىٰ مخادنتها لفتىٰ، فتجيبه الأبنة (الآنسة)، لله كيف أقنعك يا أبت، فأنت تكاد لا تفهم أنه لا حق لأحد أيًا كان في أن يأمر فتاة - ابنته كانت أو أخته - أن تفني زهرة عمرها بدون أن تحب)!

جاءت الحرب العالمية الأولىٰ، فزادت سورة حركة التحرر هٰذه بل أنتهت بها إلىٰ غايتها القصوىٰ، وذلك أن كان أكثر الأمم تأثرًا بحركة منع التناسل، هي فرنسا، فكانت نسبة المواليد فيها إلىٰ الأنخفاض منذ أربعين سنة علىٰ التوالي ولم تكن إلا عشرون مقاطعة من مقاطعات فرنسا السبع والثمانين، تربو فيها نسبة الوفيات، وأما المقاطعات السبع والستون الباقية، فكانت نسبة الوفيات فيها أكثر من نسبة المواليد، وكان معدل الوفيات في بعض مقاطعاتها يتراوح بين ١٣٠ - ١٧٠ بإزاء كل مائة مولود.

فلما نشبت الحرب العالمية الأولىٰ ودفعت الأمة الفرنسية إلىٰ موقف حرج بين الموت والحياة، أدرك أرباب فكرها بغتة أن هٰذه الأمة البائسة تفتقر إلىٰ شباب مقاتلين ورجال محاربين، وأنه إن ضحىٰ - علىٰ الفرض - بذلك العدد القليل من شباب الأمة وفتياتها في سبيل الدفع عن الوطن في تلك الآونة، فإنه لن تمكن النجاة من كرة العدو الثانية - فكان من أنبعاث هٰذا الشعور في نفوس الفرنسيين أن تملكت مشاعرهم فكرة الأستزادة من النسل،

حتىٰ خبلتهم، وجعل الكتاب والصحفيون والخطباء، وحتىٰ أهل الجد من رجال الدين وزعماء السياسة كلهم يهيبون بالناس، من كل جانب، وبصوت واحد: أن يكثروا من التوليد والتناسل ولا يبالوا القيود التقليدية من النكاح والزواج، ونادوا أن العذراء التي تتبرع برحمها للتوليد خدمة للوطن لتستحق العز والكرامة، لا العتب والملام، وكان هٰذا العصر المضطرب بطبيعة حاله حافزًا قويًا لدعاة الحرية والإباحية، فانتهزوا الفرصة السانحة، وبثوا ما كان قد بقي في جعبة فكرهم الشيطاني من النظريات.

فهٰذا رئيس تحرير مجلة لاليون ربيبلكان (La Lyon Republican) الذي كان من رجال الصحافة البارزين في عصره، يبحث أنه ما المبرر لأن نعد الزنا بالإكراه جريمة، فيبدي رأيه بما يلي:

إذا أعوز الفقراء القوت وحملتهم المسغبة علىٰ ٱرتكاب السرقة والقتل والسلب، قيل: هيئوا لهم الخبز، يكفوا عن السلب والنهب بأنفسهم، ولكن يا ليت شعري لماذا تأخذ النفوس هٰذه العاطفة - من النصح والمؤاخاة - لضرورة من ضرورات الجسم الطبيعية، ولا تتسع لضرورة طبيعية أخرىٰ مثلها - لا تقل عنها خطورة - وهي الحب، فكما أن السرقة يلجأ إليها المرء من شدة الجوع، كذلك ينبعث فيه الأمر الذي يؤول إلىٰ الزنا بالإكراه وربما ينتهي إلىٰ القتل، من شدة إلحاح تلك الضرورة التي ليست أقل ركوزًا في فطرة الإنسان من الظمأ والجوع.. إن من الحق أن الشاب الذي هو في عافية صحة ووفرة قوة، لا يستطيع كبح جماح شهوته العارمة كما لا يستطيع الصبر علىٰ جوعه عدة أيام رجاء أن يجد الطعام في الأسبوع القادم، وإن ٱفتقار أحدنا إلىٰ ما يسكن شهوته الجنسية في بلادنا هٰذه التي تتوفر فيها كل حاجات الإنسان، لا يقل خزيًا وعارًا من فاقة أحدنا من الجوع، وإذا كنا نوزع الخبز مجانًا علىٰ الجياع، فيجب علينا أن نمهد الأسباب لإشباع الهالكين من جوع آخر.

بقي أن نذكر أن مقالته هٰذه لم تكن من باب الهزل والفكاهة، بل كتبها الكاتب بكل جد وقرأها الناس بجد أيضًا.

وفي تلك الأيام ٱختارت كلية الطب Facutlty Of medicine في جامعة باريس، مقالًا لدكتور فاضل، لتمنحه شهادة الدكتوراه عليه، فنشره في جريدتها الرسمية، وكان من مضامينه مثل هٰذه العبارات:

إنا نؤمل أن يأتي علينا زمان ندع فيه الأنفة الكاذبة، فنصرح من غير ٱستحياء ولا خجل، بأني مرضت - مثلًا - بمرض الزهري في سن العشرين، كما أننا نقول الآن بدون تردد قد بعثوني إلىٰ الجبل؛ لكوني مريضًا بالسل.. وذلك بأن هٰذه إن هي إلا ثمن يؤديه المرء لتمتعه بلذات الحياة، فمن لم يذق مرارتها وقضىٰ شبابه سليمًا منها، فإنه لا ريب وجود ناقص لم يبلغ كماله بعد، قد قصر في وظيفة كانت من أبسط وظائف الطبيعة، لجبنه أو لهمود غريزته أو سوء فهمه الناشئ عن ديانته.

أدب الحركة المالطوسية الجديدة:

يجمل بنا قبل أن نطرد في البحث، أن نلقي نظرة علىٰ الأفكار التي قدمها القائمون بحركة منع التناسل، ولعله ما كان في حسبان الاقتصادي الإنكليزي الإحصائي مالطوس maltnus حينما عرض في أواخر القرن الثامن عشر ٱقتراحه بضبط التوليد منعًا لازدياد العمران، إن ٱقتراحه هٰذا سيعود بعد قرن من السنين أكبر عامل في إشاعة الفاحشة والفجور. فإنه لم يقصد به حينئذ إلا أن يشير علىٰ قومه بضبط النفس وعقد الزواج في السن المتقدمة تفاديًا من زيادة النسل وتزاحم العمران، ولكنه لما نشأت في آخر القرن التاسع عشر الحركة المالطوسية الجديدة New Malthusiaon movenent كان مبدؤها الرئيسي أن تقضي شهوة النفس بحرية تامة، ثم تمنع نتيجتها الطبيعية أي الحمل والولادة - بوسائل العلوم التجريبية، فجاء هٰذا المبدأ الجديد يزيح العقبة الأخيرة التي كانت عسىٰ أن تعترض طريق

الناس إلىٰ المخادنة والمعاشرة الجنسية المطلقة، إذ عادت المرأة الآن تستطيع أن تسلم نفسها لأجنبي بلا حذر من أن تحمل منه ويقع عليها ما يتبعه من تبعات، وليس هنا موضع ذكر النتائج التي آلت إليها حركة منع التناسل وإنما نريد أن نسرد بعض النماذج من الأفكار التي قد أكثروا من بثها ونشرها في الآداب التي سايرت حركة ضبط التوليد.

إن الأسلوب الذي تعرض به هٰذه الآداب مقدمة المالطوسية الجديدة يتلخص في أن كل إنسان يواجه - من فطرته - حاجات ثلاث، هي أشد وأعنف من سائر الحوائج، وأولاها الغذاء، والثانية: حاجة الجمام، والثالثة الشهوة الجنسية وقد ثبت القدر جميع هٰذه الحاجات في نفس المرء تثبيتًا، وجعل له في قضائها لذة مخصوصة حتىٰ يرغب فيها ويحرص عليها، فمن مقتضىٰ العقل والمنطق أن يثبت المرء إلىٰ تحقيق تلك الحاجات، وهو يفعل ذلك الواقع بالنسبة للحاجتين إلا إنه من العجب أن صنيعه بشأن الثالثة يختلف عن صنيعه في الأوليين إذ تلزمه الأخلاق الاجتماعية بأن لا يحقق شهوته الجنسية إلا في حدود النكاح ثم توجب علىٰ الرجل والمرأة المرتبطين برباط النكاح أن يلتزما الوفاء والتعفف، تشترط عليهما فوق ذلك كله ألا يمنعا التوليد، كل هٰذه الأمور عبث وباطل، ومناقضة للعقل والفطرة ومخطئة في صميمها ومبادئها وعائدة علىٰ الإنسانية بأسوأ العواقب.

فانظر الآن هيكل الإنكار الذي يشاد من هٰذه المقدمات الأساسية.

يكتب بيبل زعيم الحزب الديمقراطي الألماني بلا تحرج:

(وهل الرجل والمرأة إلا نوع من الحيوان؟ وهل يكون بين أزواج الحيوانات شيء من قبيل النكاح.. بله النكاح الأبدي؟!).

ويكتب كذلك الدكتور دريسدل :Drysadale

إن الحب كسائر رغباتنا وشهواتنا شيء قابل للتغير، فحصروه في طريقة مخصوصة إدغال في قوانين الفطرة، وإن شبابنا يميلون بطباعهم إلىٰ هٰذا

التغير بوجه خاص، ونزعتهم هٰذه مطابقة لذلك النظام الفطري الذي يتقاضىٰ الإنسان أن تكون تجاربه في الحياة متنوعة متلونة.. إن العلاقة المطلقة من قيد النكاح مظهر للخلق العلي؛ لأنها تدني إلىٰ نواميس الفطرة، ولأنها تنشأ عن العواطف والأحاسيس والحب المحض مباشرة، وإن الشوق والنزوع التي تتولد منه هٰذه العلاقة، شيء عظيم القدر غالي القيمة في الأخلاق، وأنىٰ تتيسر هٰذه الميزة لتلك المعاملة التجارية التي تجعل من النكاح في الحقيقة مهنة Prosfitution يحترف بها.

فانظر كيف تتبدل النظرية - بل كيف تنقلب رأسًا علىٰ عقب، فبينما كان يحاول القوم فيما قبل، أن يمحوا عن النفوس فكرة ٱستشناع الزنا حتىٰ يستوي النكاح والسفاح في نظر الأخلاق، إذ هم يجاوزون ذلك إلىٰ أن يحطُّوا من قدر النكاح فيجعلوه عارًا ويرفعوا السفاح إلىٰ درجة الفضيلة الخلقية، ويكتب هٰذا الدكتور نفسه في موضع آخر:

(الحاجة ماسة إلىٰ ٱتخاذ التدابير التي تجعل الحب بغير قيد الزواج شيئًا يبجل ويكرم.. ومما يسر أن سهولة الطلاق في هٰذا الزمان لا تزال تمحق طريقة النكاح رويدًا رويدًا ولم يعد النكاح الآن إلا معاهدة بين شخصين علىٰ المعاشرة، لهما الخيار في إلغائها متىٰ شاءا، وهٰذه هي الطريقة الصحيحة الوحيدة للارتباط الجنسي).

ويصرح بول روبين Paul Robin الزعيم المالطوسي المشهور في فرنسا: (من المهم أننا قد بلغنا من النجاح في مساعينا لمدة ربع القرن الماضي أنه قد أصبح ولد الزانية في مزولة أولاد الحلال فلا يبقىٰ بعد هٰذا إلا أن يكون أولادنا جميعًا من هٰذا النوع الأول فقط، حتىٰ نستريح من هٰذه الموازنة بين النوعين من الأولاد.

وهٰذا الفلسفي الإنكليزي مل يقر في كتابه (حول الحرية) on- liberts علىٰ أن يحظر الزواج علىٰ كل من لا يستطيع أن يبرهن أنه يملك من وسائل

العيش ما يكفي لحوائج الحياة، ولكنه لما نشأت في إنكلترا مسألة محاربة البغاء عاد هٰذا الفلسفي نفسه يعارضها بكل شدة وقوة، بحجة أنها تحامل علىٰ الحرية الشخصية وإهانة للعمال؛ لأنها بمثابة معاملة لهم كمعاملة الأحداث الصغار.

فتأمل كيف يكبرون ويحترمون الحرية الشخصية إذا ٱستعملها المرء في ٱرتكاب الفاحشة، ولكنه إن أراد -في نظرهم- أن يستعملها لعقد النكاح، فلا يعود حقيقًا بأن تراعي حريته أو تحترم، ولا يرضىٰ القوم أن يتدخل فيها القانون فحسب، بل يعد أحرار الفكر من فلاسفتهم هٰذا التدخل من القانون عين المقتضىٰ والمطلوب، وهنا يبلغ ٱنقلاب النظرية الخلقية مداه الأبعد وغايته القصوىٰ التي لا مطمح بعدها لطامح، حيث ينقلب كل عار فضيلة، وتصبح كل فضيلة عارًا ورذيلة[1].

(١) ٱنظر: «الحجاب» لأبي الأعلىٰ المودودي ص٣١-٤٢.

دور الثورة الصناعية وآثارها في نشر الإباحية

من غرائب الاتفاق أنه قد واتت هذا الانقلاب الفكري، وهو في صدر شبابه، أسباب تمدنية أخرىٰ، ففي هذا العصر قامت الثورة الصناعية الشهيرة، وأعقبتها تغيرات هامة في الحياة الاقتصادية، كان من آثارها المترتبة علىٰ الحياة التمدنية ما هو عون علىٰ تحويل وجهة سير الاجتماع إلىٰ حيث تريد الآداب الانقلابية أن تحولها، وذلك أن تصور الحرية الشخصية، الذين ينشأ عليه النظام الرأسمالي، جاءت الاختراعات الميكانيكية وإمكانات وفرة الإنتاج الصناعي تحكمه وتقويه، فأقامت الطبقات الرأسمالية مؤسسات صناعية وتجارية كبرىٰ، وتحولت المراكز الجديدة للصناعة والتجارة إلىٰ مدن عامرة أصبح يتجه إليها من القرىٰ والأرياف أضعاف الملايين من النفوس، وغلت تكاليف الحياة غلاء فاحشًا، وارتفعت أسعار الحاجات للحياة، من المطعم والملبس والمسكن، إلىٰ ما فوق طاقة العامة، زد علىٰ ذلك أن أضيف إلىٰ حاجات الحياة ما لا يحصىٰ من وسائل المعيشة المتجددة، لأسباب راجع بعضها إلىٰ ارتقاء التمدن وبعضها إلىٰ مساعي أهل الثروة، ولكن النظام الرأسمالي لم يوزع الثروة بين الناس بما يكفل للجميع وسائل الحصول علىٰ تلك المتع واللذات وأدوات الزينة والزخرفة التي أدخلها في لوازم الحياة، بل هو لم يهيئ للعامة من وسائل المعاش ما يسدون به عوزهم بسهولة من حاجات الحياة الحقيقة - وهي السكنىٰ والطعام واللباس - في تلك المدن التي قد زج بهم إليها، كان من نتائج ذلك أن المرأة أصبحت كَلًّا علىٰ زوجها، وأصبح الولد عبئًا علىٰ أبيه، وتعذر علىٰ كل فرد أن يقيم أود نفسه، فضلًا عن أن يعول غيره من المعلقين به وقضت الأحوال الاقتصادية أن يكون كل أحد من أفراد المجتمع عاملًا مكتسبًا، فاضطرت جميع طبقات النساء - من الأبكار والأيتام والثيبات - أن يخرجن من بيوتهن لكسب الرزق رويدًا ولما كثر بذلك اختلاط الصنفين واحتكاك الذكور والإناث، وأخذت

تظهر عواقبه الطبيعية في المجتمع، تقدم هٰذا التصور للحرية الشخصية، وهٰذه الفلسفة الجديدة للأخلاق، فهدأ من قلق الآباء والبنات والأخوة والأخوات والبعولة والزوجات، وجعل نفوسهم المضطربة تطمئن إلىٰ أن الذي هو واقع أمام أعينهم، لا بأس به، فلا يوجد منه خيفة؛ إذ ليس هبوطًا وترديًا، بل هو نهضة وارتقاء، وليس فسادًا خلقيًا، بل هو عين اللذة والمتعة التي يجب أن يقتنيها المرء في حياته، وأن هٰذه الهاوية التي يدفع بها إليهم الرأسماليون، ليست بهاوية النار، بل هي جنة تجرىٰ من تحتها الأنهار.

دور الرأسمالية في نشر الإباحية

ما وقف الأمر عند هٰذا الحد، بل جاء النظام الرأسمالي الذي رفعت قواعده علىٰ هٰذا التصور للحرية الشخصية، فمنح الفرد حقًّا مطلقًا من كل قيد أو شرط، في ٱكتساب الثروة بكل ما أمكنه من الطرق.. وتبعته فلسفة الأخلاق، فأتاحت له كل وسيلة يمكن أن تتخذ لجمع الأموال، وإن كان إثراء الفرد الواحد بتلك الوسائل والطرق مهلكة أفراد كثيرين، وبذلك تألف نظام التمدن من أوله إلىٰ آخره علىٰ صورة تؤثر الفرد علىٰ الجماعة من كل وجهة، وليس فيها ضمان للمحافظة علىٰ مصالح الجماعة بإزاء أثرة الفرد، فانفتحت السبل علىٰ إخوان الطمع والإثرة؛ ليغيروا ويعتدوا علىٰ المجتمع كيف يشاءون، فعمد هٰؤلاء إلىٰ الغرائز الإنسانية يتحسسون فيها مواطن الضعف والخلل، وراحوا يتفننون في ٱستغلالها لأغراضهم، فقام واحدهم، وروج في الناس سيئة الخمر، جلبًا للثروة إلىٰ جيبه، ولم ينهض منهم من ينقذ المجتمع من غوائل هٰذا الطاعون، وقام آخر، وابتلىٰ خلق الله بآفة الربا ونصب شبكته في القاصية والدانية، وما هناك من يدفع عن دماء حياة الناس ضر هٰذا العلق، بل حافظت القوانين علىٰ مصلحة هٰذه الدويبة الفتاكة كي لا يسلم منها أحد بقطرة من دمه، وجاء ثالث، وأشاع في المجتمع طرقًا مبتكرة للقمار، حتىٰ لم تسلم شعبة من شعب التجارة من عنصره، وما ثمة من يتقدم لحفظ الحياة الاقتصادية من هٰذه الحمىٰ المحرقة، وما كان من الممكن في هٰذا العصر من الأنانية والبغي والعدوان الفردي أن يغرب عن إخوان الأثرة والطمع، ذلك الضعف الإنساني الأكبر، الشهوة الجامحة التي يمكنهم باستثارتها جلب كثير من المنافع، فلم يفتهم ذلك فعلًا، بل ٱستخدموا غريزة الشهوة العارمة في الإنسان ما وسعهم وما أمكنهم، إذ أصبح مدار العمل والعناية كله في المراقص والمسارح ومراكز

إخراج الأفلام علىٰ أن تستخدم لها الغيد الحسان، ويعرضن علىٰ المنصة في صورة أكمل من التبرج وفي هيئة أقرب إلىٰ العري، ويجلب الذهب من جيوب الرجال بأكثر ما يمكن من إضرام نار الشهوة فيهم، وجاء قوم، فمهدوا الأسباب لإكراه النساء، وتقدموا بحرفة البغاء إلىٰ أن أصبحت تجارة دولية منظمة، وجاء آخرون، فتفننوا في صنع أدوات الزينة والزخرفة، ثم عمموها في المجتمع، ليزيدوا من غريزة التبرج التي جلبت عليها المرأة، إلىٰ أن يجعلوها فيهن هوسًا، ويجمعوا بذلك الذهب والفضة ملء أكفهم، وجاءت فئة أخرىٰ، فاخترعوا لملابس النساء أزياء كاشفة مغرية، واستخدموا كل فاتنة من فاتنات الجمال؛ لتلبسها وتغشىٰ بها النوادي والحفلات حتىٰ يقبل عليها الشباب ويفتنوا بها، فتغرم الفتيات بتلك الأزياء الجديدة من اللباس، وتربح تجارة مخترعيها، وتذرع آخرون بإشاعة الصور العارية والقصص الغرامية والمقالات الخليعة، إلىٰ ٱستدرار الأموال، وأخذوا كذلك يملؤون جيوبهم بإصابة العامة بالجزام الخلقي، حتىٰ ٱنتهت الحال علىٰ مضي الأيام إلىٰ أن لم تبق ناحية من نواحي التجارة خالصة من عنصر الإغراء، وها أنت إذا سرت لا ترىٰ في زمانك هٰذا إعلانًا من الإعلانات الجارية في الجرائد والمجلات، إلا وسيمته الملازمة البارزة صورة ٱمرأة عارية أو في حكم العارية، كأنه لم يعد من الممكن أن يكون إعلان ما وافيًا بالغرض بدون وجود المرأة، ولا تجد كذلك فندقًا من الفنادق ولا مقهىً، ولا صالة عرض، إلا وقد ٱستخدمت فيها المرأة؛ لتعمل عملها المغناطيسي في الرجال، وكأن المجتمع المسكين المخذول لا يملك - حيال ذلك كله - إلا وسيلة واحدة للمحافظة علىٰ مصالحه، وهي أن يستعين بتصوراته الخلقية علىٰ دفع تلك الغارات عن نفسه ويتحفظ من ٱستيلاء غريزة الشهوة عليه، ولٰكن النظام الرأسمالي لم يكن من الضعف والهوان بحيث يمكن

رد حملته بسهولة، وإنما كان من ورائه فلسفة كاملة الأداء، وعسكر شيطاني مزعوم، من العلوم والآداب، كانا لا يزالان يعملان عملهما في نسخ النظريات الخلقية ومحوها عن النفوس، ومن براعة القاتل -والله- أن يحمل قتيله علىٰ الأستسلام للقتل بطيب خاطره ورضاه[1].

(١) «الحجاب» لأبي الأعلىٰ المودودي ص٤٣-٤٦ .

دور الديمقراطية في نشر الإباحية

وما ٱنتهت النكبة بهٰذا كله، بل جاء هٰذا التصور نفسه للحرية فأنتج في الغرب نظام الحكم الديمقراطي الذي أصبح علىٰ الأيام أقوىٰ سبب لاستكمال هٰذا الٱنقلاب الخلقي.

إن المبدأ الرئيسي للديمقراطية الجديدة أن الناس بيد أنفسهم حكمهم وتشريعهم وإلىٰ أنفسهم كل التصرفات في القوانين، يضعونها كما يشاءون ويبدلونها حسبما يرضون إذا كرهوا فيها أشياء، فمن النتائج الطبيعية لهٰذا المبدأ أنهم لا يسلمون بسلطة قاهرة من فوقهم تتنزه عن نقائص الطبع البشري وضعفه، فيتجنب الإنسان ضلال الفكر والعمل باستسلامه لهدايتها، وإنه ليس عندهم قانون أساسي يثبت علىٰ غير الأزمان ويتعالىٰ عن أن يتدخل في شأنه الإنسان، ويؤمن بكون مبادئه أبدية لا تقبل النسخ ولا التبديل، ثم إنهم لا يجدون مقياسًا يمتحن به الصحيح من الزائف، لا يميل مع الأهواء والرغبات الإنسانية بل تكون صفته الدوام والاستحكام، وهكذا جاءت النظرية الجديدة للديمقراطية فأنزلت الإنسان منزلة المختار المطلق الخلي من كل مسؤلية، وجعلته شارع نفسه بنفسه وجعلت مدار كل نوع من التشريع علىٰ الرأي العام فحسب.

ومن البديهي أنه إذا كانت قوانين الحياة الجماعية كلها تابعة للرأي العام، وكانت الحكومة كالعبد لإله هٰذه الديمقراطية الجديدة، فلا يمكن لسلطات القانون والسياسة أن تصون المجتمع عن الٱنحلال الخلقي.

وماذا أقول، بل هي بنفسها عونًا علىٰ إفساد المجتمع ودفعه إلىٰ المهالك، ذلك بأن كل تغير في الرأي العام يتبعه لا محالة تغيير في القانون، وتتبدل مبادئه وضوابطه مع تبدل نظريات العامة حتىٰ تلائمها وتنطبق عليها، ولا يكون للحق والخير والصلاح مقياس غير كثرة الأصوات بحق هٰذا الجانب أو ذاك، وإن ٱقتراحًا مهما بلغ من خبثه وضرره، إن كان قد نال من

رضاء العامة ما يكسبه ٥١ صوتًا في المائة، فلا شيء يمنعه من أن يسمو إلىٰ مرتبة الشرع، ومن أقبح الأمثلة لذلك وأجدرها بالاعتبار ما حصل في ألمانيا قبل العصر النازي، وذلك أن فاضلًا من أبنائها يدعىٰ الدكتور ماغنوس هرشفلد Magnuz Hirchfeld وكان في الماضي رئيسًا لرابطة الإصلاح الجنسي العالمية قام فيها بأشد ما يكون من الدعاية بحق سوءة قوم لوط مدة ست سنين، حتىٰ رضي إلٰه هٰذه الديمقراطية أن يحلل هٰذا الحرام، فقرر المجلس التشريعي الألماني بأكثرية الأصوات، أن لم يعد الآن هٰذا الفعل جريمة بشرط أن يرتكب برضا الجانبين، وإن كان المفعول به دون سن البلوغ يكون الرضا بيد وليه في هٰذا الشأن.

علىٰ أن القانون بطيء بطبيعة حاله في الخضوع لهٰذا الإلٰه الديمقراطي ولا ريب أنه يتبع أوامره وينزل علىٰ إرادته ولٰكن بشيء من التواني والتكاسل، وهٰذا التقصير الذي يبقىٰ في عبوديته الكاملة للمعبود الديمقراطي، تتداركه الأيدي العاملة في جهاز الحكومة، فإن الذين يديرون أمور الحكومات الديمقراطية يتقدمون في هٰذه الجهة ويتأثرون بتلك الآداب والفلسفات والميول العامة التي تنتشر فيما حولهم، قبل أن يتأثر بها القانون فتباح بفضل عنايتهم وعطفهم كل رذيلة عم رواجها في المجتمع وتقبل (رسميًا) وتعود كثير من الأشياء المحرمة في القانون، في درجة الحلال لكون الشرطة والمحكمة تتسامح فيها وتجنب تنفيذ القانون، في أمرها، خذ لذلك مثلًا أمر الإجهاض الذي لا يزال حرامًا في القوانين الغربية، ولكنه ليس هناك قطر من الأقطار إلا وتقترف فيه هٰذه الجريمة الشنيعة علنًا وعلىٰ نطاق واسع، فهٰذه إنكلترا يسقط فيها تسعون ألف حمل في كل سنة علىٰ أقل تقدير، وتكون في كل مائة من المتزوجات فيه خمس وعشرون - علىٰ الأقل - إما يباشرن الإسقاط بأيديهن أو يستعن عليه بالمتخصصين.

وترتفع هٰذه النسبة فوق هٰذا في غير المتزوجات، ثم قد أنشئت في

بعض المدن هناك نواد منظمة للإسقاط، تؤدي النساء أشتراكهن فيها كل أسبوع، لكي يتسنىٰ لهن أستخدام متخصص في الإسقاط يوم الحاجة، ويكثر في لندن عدد دور التمريض Nursing Homes التي تكون معظم المريضات فيها من المسقطات ولكن مع هٰذا كله لا يزال الإسقاط في كتاب القانون الإنكليزي في عداد الجرائم بعد[1].

(١) «الحجاب» لأبي الأعلىٰ المودودي ص ٤٦-٤٨ .

دور الاشتراكية في نشر الإباحية

لقد كان للاشتراكية أثر في نشر الإباحية حيث زعم بعضهم:

أن التاريخ البشري عرف أولًا (الشيوعية الجنسية) التي تكون فيها جميع النساء حقًّا مشاعًا لجميع الرجال في المجتمع الذي كان يعيش- كما تعيش بقية الحيوانات- في قطعان تبحث عن الطعام، وتحقق غريزتها الجنسية بأي طريق متاح مع أي أنثىٰ، فكل الذكور لكل الإناث والعكس أيضًا صحيح. والولد ابن المجتمع كله.

ويربط بعض هٰؤلاء الباحثين- تبعًا لتفسيرهم الخاص لمراحل التاريخ البشري- بين هٰذه الشيوعية الجنسية في النساء وما يقولونه عن أن هٰذه الشيوعية ٱقترنت بشيوعية في الأموال، حيث كانت الملكية عندئذ- كما يقولون- ملكية جماعية نمت نموًّا طبيعيًا، فلم يكن هناك ما يدعو لارتباط خاص بين رجل معين وامرأة معينة؛ لأن الرغبة في مثل هٰذا الٱرتباط بالزواج لم تنشأ إلا حينما ٱنتصرت الملكية الخاصة علىٰ الملكية الجماعية الأصلية، فاتجه الرجل عندئذ إلىٰ إنجاب أطفال موثوق من أبوتهم له ليرثوا ماله الخاص بعد موته، ومع نمو الملكية الخاصة «فإن تطور العائل في عهد ما قبل التاريخ كان عبارة عن تضييق مستمر في نطاقها الذي كان يضم في الأصل الجماعة كلها في جماعة جنسية بين الرجال والنساء. ثم أخذت موانع الزواج تزداد حتىٰ أصبح الزواج الجماعي مستحيلًا من الناحية العملية ولم يبق إلا الزواج بين ٱثنين فقط».

ويتحسر فريدريك إنجلز (صاحب كارل ماركس وشريكه) علىٰ تحول الشيوعية الجنسية- بحسب نظريته- إلىٰ الزواج بين ٱثنين فيقول: إن هٰذا الزواج لم يكن ثمرة الحب الجنسي كما كان الحال قبلا في مرحلة الشيوعية الجنسية، بل أصبح مبنيًا علىٰ أساس ٱقتصادي هو ٱنتصار الملكية الخاصة وما ترتب عليه من رغبة الرجل المالك في أن يورث ثروته لأبناء من صلبه حقًّا.

كما يربط إنجلز بين هٰذا كله وبين ما يسميه خضوع جنس النساء لجنس

الرجال الذين ملكوا الثروات الخاصة، ويقول: «فقد ظهر الزواج باعتباره خضوعًا من جنس لجنس آخر، فلم يكن التنازع بين الجنسين قد أعلن إلىٰ اللحظة التاريخية التي ظهر فيها الزواج» ويستشهد لذلك بما في كتاب ٱشترك فيه مع كارل ماركس سنة ١٨٤٦م واسمه (الفكر الألماني) وفيه أن أول صراع طبقي ظهر في التاريخ كان الصراع بين الرجل والمرأة في ظل الزواج، وأن أول خضوع طبقي كان خضوع المرأة للرجل، وقد ظهر الزواج مع ظهور الرق والملكية الخاصة، حيث كان الرجل هو كاسب العيش لأسرته فكان هو المسيطر عليها.

ثم يتمشىٰ إنجلز مع نظريته في تفسير نشأة الزواج وعلاقة الرجل بالمرأة علىٰ أساس ٱقتصادي محض، (فيتنبأ) بأن التغيير الٱجتماعي المقبل سيتحول فيه الجزء الأكبر من الثروة المتوارثة إلىٰ الملكية الجماعية، وسيكون ذلك سببًا في تخفيض كل القلق من أجل الميراث، حيث سيختفي الدافع الذي كان يدفع الرجل إلىٰ الزواج بامرأة معينة لا تتصل بغيره من الرجال؛ ليكون واثقًا من أبوته للأطفال الذين تلدهم فتقر عينه بتوريثهم ثروته الخاصة، فإذا ما تضاءلت الثروة الخاصة- أو ٱختفت- تضاءلت معها رغبة الرجل هٰذه أو ٱختفت هي الأخرىٰ- هكذا يتنبأ إنجلز- ثم يسأل: وحيث إن الزواج قد ظهر نتيجة أسباب ٱقتصادية، فهل يختفي (الزواج) باختفاء تلك الأسباب؟

ويجيب إنجلز بأنه لا يجب أبدًا أن نقول ذلك؛ لأنه عندما تتحول وسائل الإنتاج كلها إلىٰ ملكية جماعية- كما كانت في مرحلة الشيوعية الجنسية- فعندئذ ستختفي الأسباب الٱقتصادية للزواج ويعود (الحب الجنسي بين الأفراد) هو أساس العلاقة بينهما، وسيعنىٰ المجتمع بتربية الأطفال جميعهم بصرف النظر عما إذا كانوا شرعيين أو غير شرعيين، كما أن الخوف من «النتائج» الذي يعتبر اليوم أهم دافع خلقي واقتصادي يمنع الفتاة أن تمنح نفسها للرجل الذي تحبه، هٰذا الخوف سيختفي. كما أن التوسع التدريجي في

العلاقات الجنسية سيؤدي إلىٰ نمو رأي عام «أكثر تساهلًا فيما يتعلق بعذرية الفتاة وخجل المرأة»، لكن (الزواج) لن يختفي إنما سيبنىٰ علىٰ (الحب الجنسي) وحده بين الأفراد. ثم ينهي صورة المجتمع المثالي كما يتنبأ به فيقول: أنه بعد تصفية علاقات الإنتاج الرأسمالي في المجتمع، وعند إسهام المرأة في الحياة الاْجتماعية والاقتصادية فسوف تكون قادرة علىٰ إعالة نفسها والعيش كيفما تريد واتباعها لمبدأ (الحب الجنسي) مع الرجل دونما خوف أو عوائق حيث تمنح نفسها علىٰ الفور للرجل الذي تحبه جنسيًّا، والأطفال يربيهم المجتمع، دون فارق بين ما نطلق عليه الآن (شرعيين)، وغير شرعيين، ودون خوف من المرأة علىٰ ما نطلق عليه الآن (البكارة) و(الشرف) و(الفضيلة)؛ وذلك لأنه سينمو جيل جديد «جيل من الرجال لم تسنح له الفرص أبدًا لشراء اْستسلام اْمرأة سواء بالمال أو بأي وسيلة أخرىٰ من وسائل السيطرة الاْجتماعية. وجيل من نساء لم يضطررن أبدًا للاستسلام لأي سبب سوىٰ الحب الحقيقي. ولن تخاف المرأة حينئذ أن تمنح نفسها لمن تحب خشية النتائج الاْجتماعية، وعندما يظهر مثل هٰذا الجيل فإنه لن يهتم أبدًا بما نعتقد اليوم أنه يجب عليه عمله، فسيتبع طريقه الخاص وسيكون له رأيه الخاص به دون أي اْكتراث بما نعتقد»[1].

يقول انكلز في كتاب «المرأة والاشتراكية» ص٥١ ما يلي:

- إن العلاقات الجنسية ستصبح مسألة خاصة لا تعني إلا الأشخاص المعينين، والمجتمع لن يتدخل فيها وهٰذا سيكون ممكنًا بفضل إلغاء الملكية الخاصة وبذلك ينخفض القلق الذي يستحوذ علىٰ قلب الفتاة من جراء العواقب التي تعوقها من حرية الوصال الجنسي شيئًا فشيئًا ومن ثم لنشوء رأي عام أكثر تساهلًا فيما يتعلق بشرف العذارىٰ وعار النساء.

---

(١) «الحجاب» لأبي الأعلىٰ المودودي ص ٣٢-٣٥ .

وفي عام ١٩٢٨ يقول ستالين:

- دعوني أذكركم بصراحة أنه من الخطر علىٰ حياتنا السياسية تشجيع ذلك المفهوم الخاطئ وأقصد بذلك الآراء القائلة بأن هناك ما يسمىٰ الولاء للأسرة فالولاء الوحيد المسموح به في مجتمعنا هو الولاء للدولة.

ويقول فريدريك أنكلز:

- إن التدبير المنزلي سيتحول إلىٰ صناعة اجتماعية فتنتقل العناية بالأطفال وتربيتهم إلىٰ الدولة؛ لأن المجتمع هو الذي سيرعىٰ أمرهم سواء كانوا أولادًا شرعيين أم غير شرعيين). عن التضليل الماركسي.

يقول لينين:

- إذا لم يكن المناضل الشيوعي قادرًا علىٰ أن يغير أخلاقه وسلوكه وفقًا للظروف مهما تطلب ذلك من كذب وتضليل وخداع فإنه لن يكون مناضلًا ثوريًا حقيقيًا. (عن كتاب اشتراكيتهم وإسلامنا لبشرىٰ المصري) وفي نفس المصدر نقل عن أنكلز قوله: إن الأخلاق التي نؤمن بها هي كل عمل يؤدي إلىٰ انتصار مبادئنا مهما كان هٰذا العمل منافيًا للأخلاق المعمول بها.

أما ماركس وانكلز فيقولان في كتاب «المرأة والاشتراكية» ص ٥١ ما يلي: (ليس الزواج البرجوازي في الحقيقة والواقع سوىٰ إشاعة النساء المتزوجات -يعني لأزواجهم- فقصارىٰ ما يمكن أن يتهم به الشيوعيون إذن هو أنهم يريدون كما يزعم الاستعاضة عن إشاعة النساء المستترة بالرياء والمغطاة بالمداجاة: بإشاعة صريحة رسمية) ألبس من السخف أن يعتبر العلاقة الزوجية الشريفة علاقة رياء ومداجاة.

أثر الفرويدية في نشر الإباحية

الفرويدية مدرسة في التحليل النفسي أسسها اليهودي سيجموند فرويد Sigmund Freud وهي تفسر السلوك الإنساني تفسيرًا جنسيًا، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء. كما أنها تعتبر القيم والعقائد حواجز وعوائق

تقف أمام الإشباع الجنسي مما يورث الإنسان عقدًا وأمرضًا نفسية[١].

(١) - ولد سيجموند فرويد في ٦ مايو ١٨٥٦م في مدينة فريبورج بمقاطعة مورافيا بتشيكوسلوفاكيا الحالية من والدين يهوديين.
- ٱستقرت أسرة أبيه في كولونيا بألمانيا زمنًا طويلًا.
- وولدت أمه بمدينة برودي في الجزء الشمالي من غاليسيا ولما شبت تزوجت من جاكوب فرويد والد سيجموند فرويد حيث أنجبت له سبعة أبناء.
- وغاليسيا مدينة ببولندا جاء منها والد فرويد وكانت معقلًا رئيسيًا ليهود شرق أوربا، وبسبب ظروف الشغب رحلت الأسرة إلىٰ برسلاو بألمانيا وعمر سيجموند حينها ثلاث سنوات، ثم رحلوا مرة أخرىٰ إلىٰ فيينا حيث أمضىٰ معظم حياته وبقىٰ فيها إلىٰ سنة ١٩٣٨م حيث غادرها إلىٰ لندن؛ ليقضي أيامه الأخيرة فيها مصابًا بسرطان في خده وقد أدركته الوفاة في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٩م.
- تلقىٰ تربيته الأولىٰ وهو صغير علىٰ يدي مربية كاثوليكية دميمة عجوز متشددة كانت تصحبه معها أحيانًا إلىٰ الكنيسة مما شكل عنده عقدة ضد المسيحية فيما بعد.
- نشأ يهوديًا، وأصدقاؤه من غير اليهود نادرون؛ إذ كان لا يأنس لغير اليهود ولا يطمئن إليهم.
- دخل الجامعة عام ١٨٧٣م وعقب علىٰ ذلك بأنه يرفض رفضًا قاطعًا أن يشعر بالدونية والخجل من يهوديته. لكن هٰذا الشعور الموهوم بالاضطهاد ظل يلاحقه علىٰ الرغم من ٱحتلاله أرقىٰ المناصب.
- في سنة ١٨٨٥م غادر فيينا إلىٰ باريس وتتلمذ علىٰ شاركوت Charcot مدة عام حيث كان أستاذه هٰذا يقوم بالتنويم المغناطيسي لمعالجة الهستيريا، وقد أعجب فرويد به عندما أكَّد له بأنه في حالة من حالات الأمراض العصبية لابد من وجود ٱضطراب في الحياة الجنسية للمريض.
- أخذ يتعاون مع جوزيف بروير ١٨٤٢-١٩٢٥م وهو طبيب نمساوي صديق لفرويد، وهو فيزيولوجي في الأصل لكنه ٱنتقل إلىٰ العمل الطبي، إذ كان ممن يستعملون التنويم المغناطيسي أيضًا.
- بدأ الأثنان باستعمال طريقة التحدث مع المرضىٰ فنجحا بعض النجاح ونشرا أبحاثهما في عامي ١٨٩٣ و١٨٩٥م وصارت طريقتهما مزيجًا من التنويم والتحدث، =

= ولم يمضِ وقت طويل حتىٰ انصرف بروير عن الطريق كلها.
- تابع فرويد عمله تاركًا طريقة التنويم معتمدًا علىٰ طريقة التحدث طالبًا من المريض أن يضطجع ويتحدث مفصحًا عن كل خواطره، وسماها طريقة (الترابط الحر) سالكًا طريق رفع الرقابة عن الأفكار والذكريات، وقد نجحت طريقته هٰذه أكثر من الطريقة الأولىٰ.
- أخذ يطلب من مريضه أن يسرد عليه حلمه الذي شاهده في الليلة الماضية، مستفيدًا منه في التحليل، وقد وضع كتاب تفسير الأحلام الذي نشره سنة ١٩٠٠م، ثم كتاب علم النفس المرضي للحياة اليومية ثم توالت كتبه وصار للتحليل النفسي مدرسة سيكولوجية صريحة منذ ذلك الحين.
- انضم عام ١٨٩٥م إلىٰ جمعية بناي برث أي: أبناء العهد، وكان حينها في التاسعة والثلاثين من عمره، وهٰذه الجمعية لا تقبل بين أعضائها غير اليهود.
- كان يعرف تيودور هرتزل الذي ولد عام ١٨٦٠م، كما سعيا معًا لتحقيق أفكار واحدة لخدمة الصهيونية التي ينتميان إليها، مثل فكرة معاداة السامية التي ينشرها هرتزل سياسيًّا، ويحللها فرويد نفسيًّا.
من أصحابه وتلاميذه:
- لارنست جونز، مؤرخ السيرة الفرويدية، مسيحي مولدًا، ملحد فكرًا، يهودي شعورًا ووجدانًا، حتىٰ إنهم خلعوا عليه لقب: اليهودي الفخري.
- أوتو رانك ١٨٨٤- ١٩٣٩م قام بوضع نظرية تقوم أساسًا علىٰ أفكار فرويد الأصلية مع شيء من التعديل الهام.
- ألفرد أدلر: ولد في فيينا ١٨٧٠- ١٩٣٧م، وقد انضم إلىٰ جماعة فرويد مبكرًا، لكنه افترق عنه بعد ذلك مؤسسًا مدرسة سماها مدرسة علم النفس الفردي مستبدلًا بالدوافع الجنسية عند فرويد عددًا من الدوافع الاجتماعية مع التأكيد علىٰ الإرادة القوية والمجهودات الشعورية.
- كارل جوستاف يونج ١٨٧٥-١٩٦١م ولد في زيوريخ، وهو مسيحي نصبه فرويد رئيسًا للجمعية العالمية للتحليل النفسي، لكنه خرج علىٰ أستاذه معتقدًا بأن هٰذه المدرسة التحليلية ذات جانب واحد وغير ناضجة، وكان لخروجه أثر بالغ علىٰ فرويد. وضع نظرية السيكولوجيا التحليلية مشيرًا إلىٰ وجود قوة دافعة أكبر هي طاقة=

الأسس الثلاثة التي تركز عليها المدرسة التحليلية هي: الجنس- الطفولة- الكبت. فهي مفاتيح السيكولوجية الفرويدية.

- نظرية الكبت: هي دعامة نظرية التحليل النفسي وهي أهم قسم فيه إذ إنه لابد من الرجوع إلىٰ الطفولة المبكرة وإلىٰ الهجمات الخيالية التي يراد بها

= الحياة مؤكدًا علىٰ دور الخبرات اللاشعورية المتصلة بالعرق أو العنصر.

الفرويديون المحدثون:

- حدث أنسلاخ كبير عن الفرويدية الأصلية، وذلك عندما تكونت الفرويدية الحديثة التي كان مركزها مدرسة واشنطن للطب العقلي، وكذلك معهد إليام ألانسون هوايت في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي مدرسة تتميز بالتأكيد علىٰ العوامل الأجتماعية معتقدة أن ملامح الإنسان الأساسية إيجابية، وهم يلحون علىٰ نقل التحليل النفسي إلىٰ علم الأجتماع للبحث عن أصول الحوافز البشرية في تلبية مطالب الوضع الأجتماعي، ومن أبرز شخصياتهم:

- أريك فروم: ظهر بين ١٩٤١- ١٩٤٧م. كان ينظر إلىٰ الإنسان علىٰ أنه مخلوق أجتماعي بالدرجة الأولىٰ بينما ينظر إليه فرويد علىٰ أنه مخلوق مكتف بذاته، تحركه عوامل غريزية.

- كارن هروني: أستعملت طريقة فرويد خمسة عشر عامًا في أوروبا وأمريكا إلا أنها أعادت النظر فيها إذ وضعت نظرية جديدة تحرر فيها التطبيق العلاجي من كثير من القيود التي تفرضها النظرية الفرويدية.

- وعلىٰ الرغم من ذلك فإن الفرويديين المحدثين ما يزالون متمسكين بأشياء كثيرة من نظرية فرويد الأصلية مثل:

١- أهمية القوىٰ الأنفعالية بوصفها مضادة للدفع العقلي والارتكاسات الأشراطية وتكوين العادات.

٢- التداعي اللاشعوري.

٣- الكبت والمقاومة وأهمية ذلك في التحليل أثناء العلاج.

٤- الأهتمام بالنزاعات الداخلية وأثرها علىٰ التكوين النفسي.

٥- التأثير المستمر للخبرات الطفولية المبكرة.

٦- طريقة التداعي الحر، وتحليل الأحلام، واستعمال حقيقة النقل.

إخفاء فاعليات العشق الذاتي أيام الطفولة الأولىٰ إذ تظهر كل الحياة الجنسية للطفل من وراء هٰذه الخيالات.

- يعتبر فرويد مص الأصابع لدىٰ الطفل نوعًا من السرور الجنسي الفمي ومثل ذلك عض الأشياء، فيما يعد التغوط والتبول نوعًا من السرور الجنسي الاستي كما أن الحركات المنتظمة للرجلين واليدين عند الطفل إنما هي تعبيرات جنسية طفولية.

- اللبيدو libido طاقة جنسية أو جوع جنسي، وهي نظرية تعتمد علىٰ أساس التكوين البيولوجي للإنسان الذي تعتبره حيوانًا بشريًا فهو يرىٰ أن كل ما نصرح بحبه أو حب القيام به في أحاديثنا الدارجة يقع ضمن دائرة الدافع الجنسي. فالجنس عنده هو النشاط الذي يستهدف اللذة وهو يلازم الفرد منذ مولده إذ يصبح الأداة الرئيسية التي تربط الطفل بالعالم الخارجي في ٱستجابته لمنبهاته.

- الدفع: يقول بأن كل سلوك مدفوع، فإلي جانب الأفعال الإرادية التي توجهها الدوافع والتمنيات هناك الأفعال غير الإرادية أو العارضة. فكل هفوة مثلًا ترضي تمنيًا وكل نسيان دافعه رغبة في إبعاد ذلك الشيء.

- الشلل أو العمىٰ لديه قد يكون سببه الهروب من حالة صعبة يعجز الإنسان عن تحقيقها، وهٰذا يسمىٰ ٱنقلاب الرغبة إلىٰ عرض جسدي.

- الحلم عنده هو ٱنحراف عن الرغبة الأصلية المستكنة في أعماق النفس وهي رغبة مكبوتة يقاومها صاحبها في مستوىٰ الشعور ويعيدها إلىٰ اللاشعور، وأثناء النوم عندما تضعف الرقابة تأخذ طريقها باحثة لها عن مخرج.

- يتكلم فرويد عن تطبيق مبدأين هما اللذة والواقع، فالإنسان يتجه بطبيعته نحو مبدأ اللذة العاجلة؛ لمباشرة الرغبة، لكنه يواجه بحقائق الطبيعة المحيطة به فيتجنب هٰذه اللذة التي تجلب له آلامًا أكبر منها أو يؤجل تحقيقها.

- يفترض فرويد وجود غريزتين ينطوي فيهما كل ما يصدر عن الإنسان

من سلوك وهما غريزة الحياة وغريزة الموت. غريزة الحياة تتضمن مفهوم الليبدو وجزءًا من غريزة حفظ الذات، أما غريزة الموت فتمثل نظرية العدوان والهدم موجهة أساسًا إلىٰ الذات ثم تنتقل إلىٰ الآخرين.

- الحرب لديه إنما هي محاولة جماعية للإبقاء علىٰ الذات نفسيًا، والذي لا يحارب إنما يعرض نفسه لاتجاه العدوان إلىٰ الداخل فيفني نفسه بالصراعات الداخلية، فالأولىٰ به أن يفني غيره إذن، والانتحار هو مثل واضح لفشل الفرد في حفظ حياته. وهٰذا المفهوم إنما يعطي تبريرًا يريح ضمائر اليهود أصحاب السلوك العدواني المدمر.

- اللاشعور: هو مستودع الدوافع البدائية الجنسية وهو مقر الرغبات والحاجات الأنفعالية المكبوتة التي تظهر في عثرات اللسان والأخطاء الصغيرة والهفوات وأثناء بعض المظاهر الغامضة لسلوك الإنسان. إنه مستودع ذو قوة ميكانيكية دافعة وليس مجرد مكان تلقىٰ إليه الأفكار والذكريات غير الهامة.

- الـ (هو): مجموعة من الدوافع الغريزية الموجودة لدىٰ الطفل عند ولادته التي تحتاج إلىٰ الشعور الموجه، وهي غرائز يشترك فيها الجنس البشري بكافة. إنها باطن النفس، وقد نتجت عن (الأنا) إلا أنها تبقىٰ ممزوجة بها في الأعماق أي حينما تكون (الآنا) لا شعورية، وهي تشمل القوىٰ الغريزية الدافعة، فإذا ما كبتت هٰذه الرغبات فإنها تعود إلىٰ الـ (هو) .(Ego)

- (الأنا): بعد قليل من ميلاد الطفل يزداد شعورًا بالواقع الخارجي فينفصل جزء من مجموعة الدوافع الـ (هي) لتصبح ذاتًا ووظيفتها الرئيسية هي ٱختيار الواقع حتىٰ يستطيع الطفل بذلك تحويل ٱستجاباته إلىٰ سلوك منظم يرتبط بحقائق الواقع ومقتضياته، إنها ظاهرة النفس التي ترتبط بالمحيط .

- (الأنا العليا): هي الضمير الذي يوجه سلوك الفرد والجانب الأكبر منه لا شعوري وهو ما نسميه بالضمير أو الوجدان الأخلاقي، لها زواج

وأوامر تفرضها علىٰ (الأنا)، وهي سمة خاصة بالإنسان، إذ إنها أمور حتمية صادرة من العالم الداخلي.

- النقل: وهي أن المريض قد ينقل حبَّه أو بغضه المكبوت في أعماق الذكريات إلىٰ الطبيب مثلًا خلال عملية المعالجة. وقد تعرض بروير لحب واحدة من اللواتي كان يعالجهن إذ نقلت عواطفها المكبوتة إليه، فكان ذلك سببًا في ٱنصرافه عن هٰذه الطريقة بينما تابع فرويد عمله بمعالجة الواحدة منهن بنقل عواطفها مرة أخرىٰ والوصول بها إلىٰ الواقع.

- ٱستفاد كثيرًا من عقدة أوديب تلك الأسطورة التي تقول بأن شخصًا قد قتل أباه وتزوج أمه وأنجب منها وهو لا يدري. ولما علم بحقيقة ما فعل سمل عينيه، فقد ٱستغلها فرويد في إسقاطات نفسية كثيرة واعتبرها مركزًا لتحليلاته المختلفة.

- شخصية الإنسان هي حصيلة صراع بين قوىٰ ثلاث: دوافع غريزية، واقع خارجي، ضمير، وهي أمور رئيسية تتحدد بشكل ثابت بانتهاء الموقف الأوديبي حوالي السنة الخامسة أو السادسة من العمر.

الآثار السلبية للفرويدية:

- لم ترد في كتب وتحليلات فرويد أية دعوة صريحة إلىٰ الأنحلال- كما يتبادر إلىٰ الذهن- وإنما كانت هناك إيماءات تحليلية كثيرة تتخلل المفاهيم الفرويدية تدعو إلىٰ ذلك. وقد ٱستفاد الإعلام الصهيوني من هٰذه المفاهيم لتقديمها علىٰ نحو يغري الناس بالتحلل من القيم وييسر لهم سبله بعيدًا عن تعذيب الضمير.

- كان يتظاهر بالإلحاد ليعطي لتفكيره روحًا علمانية، ولكنه علىٰ الرغم من ذلك كان غارقًا في يهوديته من قمة رأسه إلىٰ أخمص قدميه.

- كان يناقش فكرة معاداة السامية وهي ظاهرة كراهية اليهود، هٰذه النغمة التي يعزف اليهود عليها لاستدار العطف عليهم، وقد رد هٰذه الظاهرة

نفسيًا إلىٰ اللاشعور وذلك لعدة أسباب:

١- غيرة الشعوب الأخرىٰ من اليهود؛ لأنهم أكبر أبناء الله وآثرهم عنده -حاشا لله.

٢- تمسك اليهود بطقس الختان الذي ينبه لدىٰ الشعوب الأخرىٰ خوف الخصاء ويقصد بذلك النصارىٰ؛ لأنهم لا يختتنون.

٣- كراهية الشعوب لليهود هو في الأصل كراهية للنصارىٰ المسيحيين، وذلك عن طريق النقل إذ أن الشعوب التي تُنزل الاْضطهاد النازي باليهود إنما كانت شعوبًا وثنية في الأصل، ثم تحولت إلىٰ النصرانية بالقوة الدموية، فصارت هٰذه الشعوب بعد ذلك حاقدة علىٰ النصرانية لكنها بعد أن توحدت معها نقلت الحقد إلىٰ الأصل الذي تعتمد عليه النصرانية ألا وهو اليهودية.

- يركن إلىٰ إشباع الرغبة الجنسية، وذلك لأن الإنسان صاحب الطاقة الجنسية القوية والذي لا تسمح له النصرانية إلا بزوجة واحدة؛ إما أن يرفض قيود المدنية ويتحرر منها بإشباع رغباته الجنسية وإما أن يكون ذا طبيعة ضعيفة لا يستطيع الخروج علىٰ هٰذه القيود فيسقط صاحبها فريسة للمرض النفسي ونهبًا للعقد النفسية.

- يقول بأن الاْمتناع عن الاْتصال الجنسي قبل الزواج قد يؤدي إلىٰ تعطيل الغرائز عند الزواج.

- عقد فصلًا عن تحريم العذرة وقال بأنها تحمل مشكلات وأمراضًا لكلا الطرفين، واستدل علىٰ ذلك بأن بعض الأقوام البدائية كانت تقوم بإسناد أمر فض البكارة لشخص آخر غير الزوج، وذلك ضمن اْحتفالٍ وطقس رسمي.

- لقد برَّر عشق المحارم؛ لأن اليهود أكثر الشعوب ممارسة له بسبب اْنغلاق مجتمعهم الذي يحرم الزواج علىٰ أفراده خارج دائرة اليهود، وهو يرجع هٰذا التحريم إلىٰ قيود شديدة كانت تغل الروح وتعطلها، وهو بذلك

يساعد اليهود أولًا علىٰ التحرر من مشاعر الخطيئة كما يسهل للآخرين ٱقتحام هٰذا الباب الخطير بإسقاط كل التحريمات واعتبارها قيودًا وأغلالًا وهمية. وقد ٱستغل اليهود هٰذه النظرية وقاموا بإنتاج عدد من الأفلام الجنسية الفاضحة التي تعرض نماذج من الزنىٰ بالمحارم.

-لم يعتبر التصعيد أو الإعلاء- كما يسميه- إلا طريقًا ضعيفًا للتخلص من ضغط الدافع الجنسي إذ أن هٰذا الطريق لن يتيسر خلال مرحلة الشباب إلا لقلَّة ضئيلة من الناس وفي فترات متقطعة وبأكبر قدر من العنت والمشقة، أما الباقون- وهم الغالبية العظمىٰ- فليس أمامهم إلا المرض النفسي يقعون صرعاه. كما أن أصحاب التصعيد هٰؤلاء إنما هم ضعاف يضيعون في زحمة الجماهير التي تنزع إلىٰ السير بإرادة مسلوبة وراء زعامة الأقوياء.

- في كفاحة ضد القيود، والأوامر العليا الموجهة إلىٰ النفس، صار إلىٰ محاربة الدين واعتباره لونًا من العصاب النفسي الوسواسي.

مما ساعد علىٰ ٱنتشار أفكاره ما يلي:

١- الفكر الداروينى الذي أرجع الإنسان إلىٰ أصول حيوانية مادية.

٢- الاتجاه العقلاني الذي ساد أوروبا حينذاك.

٣- الفكر العلماني الذي صبغ الحياة بثورته ضد الكنيسة أولًا وضد المفاهيم الدينية ثانيًا.

٤- اليهود الذين قدَّموا فكرة للإنسانية باستخدام مختلف الوسائل الإعلامية بغية نشر الرذيلة والفساد وتسهيل ذلك علىٰ ضمير البشرية ليسهل عليهم قيادة هٰذه الرعاع من الشعوب اللاهثة وراء الجنس، المتحللة من كل القيود والقيم.

من أكبر الآثار المدمرة لآراء فرويد، أن الإنسان حين كان يقع في الإثم كان يشعر بالذنب وتأنيب الضمير، فجاء فرويد ليريحه من ذلك، ويوهمه بأنه يقوم بعمل طبيعي لا غبار عليه، وبالتالي فهو ليس بحاجة إلىٰ توبة، وبذلك أضفىٰ علىٰ الفساد صفة أخلاقية إذا صح التعبير.

أَلَّف نحو ثلاثين كتابًا في الدراسات النفسية من أشهرها: الذات والذات السفلىٰ، والطواطم، والمحرمات وتفسير الأحلام، وثلاث مقالات في النظرية الحسية والأمراض النفسية المنتشرة في الحياة اليومية. وكلها تدور- من زوايا مختلفة- حول موضوع واحد مكرر فيها جميعًا هو التفسير الجنسي للسلوك البشري.

ويتضح مما سبق أن الفرويدية تدعو إلىٰ التحرر من كل القيود؛ لأنها تسبب العقد النفسية والاضطرابات العصبية، وبذلك تريد للمجتمع أن يكون بلا دين ولا أخلاق ولا تقاليد فتتسع هوة الرذيلة والفساد وتسهل لليهود السيطرة علىٰ الشعوب المتحللة خدمة لأهداف الصهيونية. وبطبيعة الحال فإنها تنادي بأن الدين الذي يضع الضوابط لطاقة الجنس لا يستحق الأتباع ولا يستوجب الأحترام(١).

يقول الأستاذ أنور الجندي(٢):

ظهرت مدرسة علم النفس الحديثة ممثلة في ثلاثة: هم فرويد وأدلر ويونج الذين سرعان ما ظهرت عوامل الخلاف بينهم، ثم علا شان المفهوم الأبعد عن الفطرة والذي يرده العالمان الآخران، مفهوم في إعلاء الجنس.

تقوم نظرية فرويد في علم النفس على الأصول التالية:

أولًا: الحياة النفسية للإنسان ليست حيوانية فحسب، ولكنها تنبع كلها من الجنس المسيطر علىٰ كل أفعال الإنسان.

ثانيًا: إن غرائز الإنسان هي التي تحكمه وتسيطر علىٰ نشاطه، وأن الجانب المسمي بالروح لا وجود له على الإطلاق.

ثالثًا: الدين والأخلاق ليست قيمًا أصيلة في الحياة البشرية، ولكنها

---

(١) «الموسوعة الميسرة» ٢/ ٨٣٢ وما بعدها.

(٢) «معلمة الإسلام» ص١٩٢ وما بعدها.

أنبثاق جنس.

رابعًا: القيم خرافة، وهي نفاق العقل للنفس والمجتمع.

خامسًا: تُفسر النفس كلها من خلال الجنس.

سادسًا: رد كل الحوافز الإنسانية إلى الجنس.

ويري فرويد أن الإنسان في جوهره حيوان كغيره من الحيوانات وأن الإنسان يولد جنسيًا خالصًا، وأن كل أعمال الطفل تعبير عن طاقة الجنس، وأن الطفل يعشق أمه بدافع الجنس، ثم يجد الأب حائلًا بينها فيكبت هٰذا العشق، فتنشأ في نفسه عقدة(عقدة أوديب) والطفلة تعشق أباها بدافع الجنس، فتكبت هٰذا العشق، فتنشأ في نفسها عقدة (إليكترا).

وهكذا يُدخل فرويد الإنسان حظيرة الحيوان، ويثبت أنه عبد لنزواته، وأن العقل الباطن هو المسيطر الفعال قي توجيه الإنسان.

وأن غرائزه وميوله الفطرية هي الأساس لسلوكه في الحياة، وهي التي تحكمه وتسيطر علىٰ نشاطه، ومن نظرية فرويد ظهرت نظريات في الأدب والفن والأخلاق وفي مقدمتها السريالية ثم الوجودية. ولٰكن هٰذِه النظرية لم تكن مقبولة منذ اللحظة الأولي بين علماء النفس، وقد وجدت معارضة شديدة من حيث معارضتها للفطرة، ومن حيث تغليب عنصر الجنس ورد كل حوافز الإنسان إليه.

من حيث المصادر فقد أعتمد فرويد على الأساطير القديمة وأعتبرها حقائق علمية، كذلك فقد أعتمد علىٰ حالات المرضىٰ الفردية واتخذ منها أسسًا عامة للأسوياء وقد أشار العلماء إلي أن فرويد أقرب إلي المتنبئين منه إلي العلماء، وأنه مخترع للفرضيات أكثر منه مجربًا لها، وأنه يرمي بنظرياته وآرائه دون أن يقدم لها البرهان العلمي والسند الواقعي، وأنه يفترض ثم يصدق ما يفترض ويبني عليه وكأنه حقيقة علمية لا يأتيها الباطل، وأن ملاحظاته تتعلق بالمرضىٰ على الأخص، ومن ثم يجب ألا تعمم

الٱستنتاجات النابعة منها بحيث تشمل الأشخاص العاديين، وبخاصة ٱولئك الذين وهبوا جهازًا عصبيًا قويًا وسيطرة علىٰ أنفسهم.

كذلك أشار العلماء إلي أن نقطة الضعف الأساسية في فرويد كعالم هي أنه ٱتخذ من دراسة نفسه وطفولته قاعدة للتعميم والوصول إلىٰ قوانين عامة، وقد ترك فرويد من كتاباته عن نفسه وعن حياته ما يثبت أنه كان يتخذ من تحليل أحلامه وهواجسه ومشاكل صباه كيهودي في النمسا المتعصبة ضد اليهود قاعدة لكل تحليلاته.

خالف فرويد في نظريته كل من أدلر، يونج، ستيكل.

وقال يونج: إن آراء فرويد ذات جانب واحد وإنها غير ناضجة كل النضوج، وإن مصدر سرور الطفل في الحصول على الغذاء يجب ألا يوصف بأنه جنس أبدًا، وذلك على ٱعتبار من أن الدافع الجنسي لم يتميز في نفسه بعيدًا عن الميل الٱبتدائىٰ للحياة، وينكر يونج أن اللبيد جنسيًا بكليته وهو يعتبر اللبيد هو إرادة الحياة.

ويقول يونج إن الجنس ليس أساس الدوافع الإنسانية، وإنما هو دافع واحد من عدة دوافع، وهو يخالف في صميم النظرية. يرىٰ أن الدافع الإنساني الأول هو الرغبة الملحة في التفوق، وأن الغريزة السائدة في الإنسان هي الرغبة في التفوق و السيادة وليس الحق، ويقرر أن إرادة القوة هي الإرادة الصادقة الأصلية في نفس كل إنسان.

ويري أدلر أن النقص يكاد يكون هو السبب الأساسي للنبوغ.

وقد دعا أدلر إلىٰ نبذ أهمية الغريزة الجنسية النبذ كله، وأرجع تكوين الشخصية ونشأة الأمراض العصبية إلىٰ مجرد الرغبة في القوة وحاجة الإنسان إلى التعويض عن أي نقص في كيانه، ويقول أدلر: إن الدافع الجنسي ليست له هٰذِه الأهمية الشاملة التي ينسبها فرويد إليه وأن حافز توكيد الذات self asnetive enpulse.

وليس الدافع الجنسي هو القوة السائدة الإيجابية في الحياة.

وقال أدلر: إن الطفل قبل الخامسة لا يعرف القيم والمعايير الخلقية، بل يكتسب أسلوب الحياة بالقدوة والمثال من البيئة التي يعيش فيها.

ويقرر أدلر الاضطرابات التي تعتري حياة الأطفال النفسية ترجع إلىٰ عدم شعورهم بالمحبة، وهو يذهب إلىٰ أن قسوة المستبدين وكراهيتهم ترجع إلىٰ ذلك العامل الذي يثبت في نفوسهم عند الطفولة.

وأن الأبناء الذين يفقدون حب آبائهم يصبحون مصدر مشكلات كثيرة؛ لأن الطفل الذي يلتمس الحب فلا يجده يركبه الحسد والغيرة ويميل إلىٰ سلوك يحاول به لفت الأنظار وإثبات سيطرته، وقد يدعي المرض أحيانًا، التماسًا للعطف.

كذلك أثبت يونج ومكدوجل أن العقل الباطن ما هو إلا خرافة، وقد نوقش فرويد في مسألة العقل الباطن وعقدة أوديب فأنكرهما أخيرًا.

ولقد توالت المعارضات لمفاهيم فرويد في النفس، ولكن نظرية فرويد شقت طريقها في عنف وسيطرت علىٰ جميع ميادين الدراسات النفسية، وكانت من ورائها قوي تدفعها إلى الأمام.

وقد سجلت بروتوكولات صهيون إشارة إلىٰ فرويد فقالت: «يجب أن نعمل؛ لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا. إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس؛ لكي لا يتبقىٰ في نظر الشباب شئ مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه».

ومن هنا يرجح الكثيرون أن هدف فرويد كان داخلًا ضمن المخطط الذي رسمته الصهيونية للسيطرة على العالم بعد تدمير أخلاق البشرية.

ولقد امتد أثر فرويد نتيجة لذلك حتىٰ شمل الأدب والقصة والسينما والمسرح والإذاعة والتليفزيون، ووصل إلىٰ بيوت الأزياء و أداوت الزينة وفي

أصول نظرية فرويد يبدو- وهو غير منطقي مع الفطرة بل معارضًا لها- ذلك أنه يرىٰ أن التسامي نوع من الشذوذ، وأن الأخلاق تتسم بالقسوة وتعوق التطور، كل ذلك دون سند علمي وأنه في أخطر من هٰذا كله يقف عند عرض المسائل، ثم يترك الشباب بدون توجيه؛ رغبة في إثارة القلق والاضطراب.

ويقرر الباحثون أن ليهودية فرويد دخلًا كبيرًا في صياغة الكثير من نظرياته وفرضياته و تعليلاته، ذلك لأنه كان ينتمي إلىٰ أقلية مكروهة بحكم صفاتها المعروفة التي أقل ما ينسب إليها حب المال، والانغلاق، والتعصب، ومن هنا أنبعثت فلسفته التي وصفت بأنها ميكانيكية جبرية؛ لأنها تنظر إلى الإنسان كأنه آلة عديمة الحرية خاضعة كل الخضوع لقوي خفية لا يمكن التغلب عليها إلا بالحيلة، وهو بذلك قد فرض علىٰ علم النفس مبدأ الجبرية وأنكر الإرادة الفردية القادرة علىٰ مقاومة الغرائز.وقد وصف فرويد بأنه كان يمر بأزمات نفسية وهو يعالج مريضة مصابة بالهوس الجنسي ـ هي سيسلي المصابة بعقدة أوديب وبينما فرويد يقوم بعلاج هٰذِه الفتاة ينكشف له في نفسه أنه مصاب بعقدة أوديب وأنه كان يتجه إلي أمه ويغار من أبيه وأنه أتهم أباه ظلمًا بجريمة أخلاقية رهيبة.

إن أسطورة أُوديب الإغريقية التي تتحدث عن ابن أرتكب جريمتين فقتل أباه وارتكب خطيئة أخرىٰ، ثم عاقب نفسه بأن فقأ عينه، هٰذِه الأسطورة جعلها فرويد حقيقة يؤمن بها ويفسر بها سلوك الآخرين، وقد رسمت وقائع حياة فرويد صورة شخصية مضطربة مريضة، جديرة بأن تبحث عن من يعالجها، لا أن تكون مصدرًا لرسم أسس لدراسة النفس البشرية.

فقد كان فرويد مجموعة من العقد النفسية والعادات الغريبة، ولم يستطع أن يشفىٰ عقله الباطن من هٰذِه العقد النفسية إلىٰ آخر حياته، كان ينسى الأسماء ومنها أسم أحد معارفه الدكتور فرويد، وكان يتبع أوراقه التي تدخل في ترجمة حياته فيحرقها، وكان يؤمن بأنه سيموت في نهاية الحرب العالمية

الأولىٰ فمات في بداية الحرب العالمية الثانية، وكان يدخن عشرين سيجارًا في النهار؛ ليهدئ من ثورته العصبية.

وكان فرويد عرضة للإغماء علىٰ إثر المفاجآت، وكانت مرارة الطبع خلة ملازمة له في علاقته بغيره، وكانت لأحلامه وجوه خفية ترمز إلىٰ دلائلها في سريرته الباطنه، وكانت له دروب من القلق تنم علىٰ باعث من بواعث الحيرة المكتومة، وكان أظهر حالاته الخاصة أنه يحارب التشبث في العقائد الدينية والعادات الخلقية، ولكنه يتشبث بالتفسير الجنسي للعقائد و العادات تشبثًا يربو في إصراره وشدته علىٰ تعصب المتعصب اللدود لمذهبه ودينه.

ومن قوله ليونج: عدني أنك لن تتخلىٰ يومًا عن الإيمان بالتفسيرات الجنسية غير أن يونج لم يلبث إلا أن تزحزح تفكيره شيئًا فشيئًا عن ذلك الإغراق في العصبية الجنسية التىٰ تحيط بكل علة ويتغلغل وراءً في أعماق كل طوية وقد خالفه تلميذه ألفرد إدلر كما خالفه يونج.

وكان في طفولته ينسىٰ نفسه ليلًا في فراشه، وكان يخشىٰ من السفر بالقطار ويحضر إلىٰ المحطة قبل موعد قيامه بنحو ساعة، وكان دائم العزلة لا يسمح لأحد أن يصاحبه طويلًا.

ولقد حاولت نظرية فرويد السيطرة علىٰ مناهج التعليم والتربية والدوائر العلمية، غير أنها في السنوات الأخيرة ٱنكشف عورها وبان فسادها، حتىٰ إن الأطباء النفسانيين الذين ٱجتمعوا لإحياء ذكري فرويد في مدينة شيكاغو عام ١٩٥٦ وعدتهم نحو أربعة آلاف قد فوجئوا بحملة عنيفة علىٰ فرويد ومذهبه يتولاها رجل مسئول عن مركزه العلمي هو الدكتور بوسيفال بيلىٰ مدير معهد النفسيات بولاية النيواز، وخلاصة حملته أن البقية الباقية من طب فرويد قليلة لا يؤبه لها، وأن آراءه لا تضيف شيئًا إلى القيم الإنسانية؛ لأنه يرتد بالإنسان إلىٰ أغوار الباطن، ويهمل جانبه المنطقي الشاعر، وأنه لم يكن يفهم المرأة، ولم يكن يتذوق الموسيقىٰ، ولا يحس جلال العقيدة.

وهكذا يرى المراقبون أن العالم ٱستطاع أن يضع فرويد على المشرحة قبل أقل من عشرين عامًا من وفاته، وأن الدكتور أرنست جونس هو تلميذه الوحيد من غير اليهود.

ومما أورده أرنست جونس في كتابه «حياة وأعمال فرويد» خطابه إلىٰ صديق له يقول: لست في الحقيقة رجلًا من رجال العلم ، ولا من رجال الملاحظة ولا التجربة، لست مفكرًا، أنا لست إلا مغامرًا بطبيعة مزاجىٰ وتكويني، ولدي كل ما عند المغامر من فضول ومثابرة وجسارة.

ويقول الباحث: إن نظرية فرويد عن العقل الإنساني لا تقوم علىٰ أكثر من ٱفتراضات خيالية ٱنتزعت مادتها من الأساطير و التخمينات التي سبق رفضها في مجال الدراسات المتعلقة بتاريخ الإنسان، ونقول: والتي جاءت حقائق الأديان وفي خاتمها الإسلام؛ لتقضي عليها وتكشف عن زيفها وعدم صلاحيتها لأن تكون قاعدة لأي مذهب علمي في فهم النفس الإنسانية.

وقد كشفت الأبحاث التي نشرها الكتاب اليهود في السنوات الأخيرة عن علاقة جذرية وعميقة بين نظريات فرويد وبين نصوص التلمود، وقد ظلت هٰذِه النظرية تخدع مئات العلماء ببريقها الزائف سنوات طويلة حتىٰ أعلنت هٰذِه الحقائق، ومن بين الذين كشفوا هٰذا الدكتور صبري جرجس في كتابه«التراث اليهودي الصهيوني في علم النفس و نظرية فرويد» حيث أشار إلى التركيز الخطير الذي قامت به القوى المسيطرة على الإعلام والآداب والفنون والجامعات في الغرب علىٰ نظرية فرويد واحتضانها علىٰ هٰذا النحو المريب بالرغم من أنها لم تكن صحيحه علميًا، بينما أخفقت أصوات النظريات الأخرى الأكثر قربًا من الحقائق العلمية، يقول الدكتور صبري جرجس: لفت ٱنتباهي حقيقة كبرىٰ، تلك العلاقة الوثيقة بين فرويد رجل العلم والتحليل النفسي والفكر العالمي من ناحية وبين التراث اليهودي الصهيوني والصهيونية والعمل السياسي الديني العنصري من ناحية أخري،

وكما تبدىٰ لي ليست علاقة مصادفة ولكنها علاقة أصل ومسار وهدف وأشار إلىٰ أن فرويد وأصحابه الذين حملوا لواء فكرته من بعده كانوا جميعًا من الصهيونية«ساخس، رايك، سالزمان، زيلبورج، شويزي، وتيلز، فرانكل، كاتز، فينكل» وأشار إلىٰ عدة عبارات وردت في كتابات يهودية لفتت نظره إلىٰ ما يراه الآن من علاقة بين الصهيونية وبين نظرية فرويد وذلك ما أشار إليه باكان في بعض خفايا التراث اليهودي الصهيوني لها علاقة بالتحليل النفسي بل إلىٰ ما ذكرته صراحة الكاتبة«ترود، وايز، دوز، مارين» عن كيف تحتقر اليهودية العقل الغربي مزيفة في سبيل ذلك وقائع الماضي وأحداث الحاضر، آمنة بعد ذلك من الأفتضاح، ومطمئنة آخر الأمر إلى التصديق. ثم يتساءل الباحث كيف لم يتنبه أحد وقد ناهز عمر التحليل النفسي الفرويدي سبعين عامًا؛ وكيف لم يتنبه أحدٌ إلىٰ هٰذا الأمر؟ وكيف فاتت هٰذِه العلاقة بين الفكر التحليلي والفكر الصهيوني جميع من شغلهم التحليل النفسي ومن تابعوه ومن نقدوه؟

ويقول: إن مفاهيم التحليل النفسي قد قدمت في أواخر القرن الماضي في إطار علماني، ثم ما لبثت الأبواق الخفية والمقنعة للدعاية اليهودية والصهيونية أن أحاطت هٰذا الفكر وصاحبته بهالة من النزاهة الفكرية، منعت حتىٰ أعنف معارضيه من أن يستريبوا حتىٰ في أصوله وإن أنكروا مفاهيمه، ذلك على الرغم مما تسرب في كتابات فرويد وأصحاب فكره من عبارات تكشف عن يهودية صهيونية واضحة التعصب.

وقد فات مدلول هٰذِه العبارات الأكثرين من الناس، حتىٰ رفعت الصهيونية العالمية كل الأقنعة التي تتستر وراءها وظهرت واضحة لا خفاء فيها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية من ناحية، حتى أنصرف أحد أبنائها دافيد باكان ينقب في حفريات التراث اليهودي الصهيوني محاولًا الربط بينه وبين الفكر الفرويدىٰ.

ويقول: إن الفكر الفرويدي المنبعث أصلًا من التراث اليهودي والصهيوني كان يهدف أساسًا إلىٰ تقويض الأسس التي تقوم عليها حضارة الغرب، وأن هٰذا الفكر لم ترد به أية دعوة انحلالية صريحة «وكذلك الوجودية» وإنما كانت الإيحاءات الانحلالية تتخلل المفاهيم الفرويدية، ثم قامت أجهزة الإعلام الصهيوني بتقديم هٰذِه المفاهيم؛ لتنظيم الأدب والفن علىٰ نحو يغري الناس بالتحليل وييسر لهم سبيله، والمعروف أن الدعوة الفنية -وخاصة إذا مست قيمًا يحرص الناس علىٰ بقائها- قد تكون أشد فاعلية في زعزعة إيمانهم بها من الهجوم الجرئ السافر عليها، ويلاحظ الدكتور صبري جرجس أن التحليل النفسي الفرويدي يكون لدىٰ أصحابه وحدة عضوية وأيدلوجية، إما أن تقبل كلها، أو ترفض كلها، ولا سبيل فيها إلى التجزئة ثم يصل من ذلك إلى الحقيقة التي تقول بأن هناك علاقة أكيدة بين نظرية فرويد «في النفس» التي هزت الفكر الإنساني كله وأثرت فيه وبين الصهيونية ومخططاتها.

وأن هٰذِه النظرية وتطوراتها تسير جنبًا إلىٰ جنب مع المخطط الصهيوني في مجالاته المختلفة عاملة علىٰ تحقيق الأهداف الصهيونية، وأن التحليل النفسي الذي ابتدعه فرويد مع ظهور الحركة الصهيونية منذ سبعين عامًا لم يكن (علمًا مجردًا) ولكنه وثيق الصلة في جوانبه المرضية والحضارية معًا بالفكر اليهودي الصهيوني الذي ظهر في التراث منذ عهد التوراة وما بعدها. وأنه من أجل ذلك سخرت الصهيونية اليهودية حربها الإعلامية والدعائية لنشر مفاهيمه والدعوة له في أوسع نطاق مستطاع حتىٰ أصبحت الفرويدية من أقوى العوامل أثرًا في التوجيه الفكري والخلقي لعالم الغرب.

وقد كان فرويد يهوديًا قحًا[1] وعضوًا عاملًا وفخريًا في بعض منظمات

(١) يعترف فرويد بيهوديته نسبًا قائلًا: (ولدت في السادس من آيار - مايو-١٨٥٦م، في فرايبورغ بمورافيا، كان والديّ يهوديين، وبقيت أنا كذلك، ويتكرر هٰذا الاعتراف حين دخوله الجامعة، عند التحاقي بالجامعة عام ١٨٧٣م، عانيت من خيبة الأمل=

الصهيونية وصديقًا شخصيًا لهرتزل أبي الصهيونية. وعندنا أنه لا نستبعد أن يكون قد دخل عمله ضمن مخطط البروتوكولات؛ لأنه جرت الإشارة إليه فيها علىٰ أنه دعامة من دعامات الخطة إلىٰ تدمير العالم والسيطرة على الأمم والمجتمعات العالمية عن طريق هدم قيمها وأخلاقياتها.

ويقول الدكتور صبري جرجس أخيرًا: إن العلاقة العضوية والمصيرية، والمصلحية بين اليهودية والصهيونية والاستعمار الإمبريالي من ناحية وبينها وبين التحليل النفسي الفرويدي من ناحية أخرىٰ، قد جعلت من الحركات الثلاث (ثالوثًا) قوامه العنصرية، وروحه الأستعلاء، ووسيلته الإفساد، وهدفه الأستغلال، وهو بشكل يواجه البشرية ومستقبلها...

ويمكن العودة إلىٰ ما دعت إليه الصحافة الصهيونية في أعقاب عدوان يونيه١٩٦٧ حين طالبت بالمزيد من الحرب النفسية ضدنا ودعت إلى أستخدام علم النفس الفرويدي طبيقًا أعمق وأدق، وذلك لأن علم النفس علم يهودي وخليق باليهود بصورة تجعلهم أقدر الناس على أستخدامه.

وقد تبين في وضوح أن تعاليم فرويد تؤازر الدعوة التلمودية إلىٰ إشاعة الفاحشة في الناس، ومعارضة التعاليم الدينية التي تدعوا إلىٰ إعلاء الغرائز ومغالبة الشهوات وإرساء القيم الأخلاقية، وهي أساس من أسس الفلسفات

= الشئ الكثير، فقد واجهت التزامًا غريبًا، كان علي أن أشعر أنني دون غيري من الناس وأنني غريب عنهم؛ لأنني يهودي وها هو يعترف بنزعته اليهودية وميوله إلىٰ أصله عبر نظرة مستقبلية لشأنه قائلًا: (بعد واحد وأربعين سنة من الممارسة الطبية، أثبتت لي معرفتي بذاتي أنني لم أكن يومًا طبيبًا، بكل معنى الكلمة، وإذا كنت قد أصبحت دكتورًا في الطب فذلك؛ لأنني أضطررت أن أتخلي عن مشاريعي الأصلية، إن أنتصاري الكبير يكمن في نجاحي بعد سنوات طويلة، في أكتشاف الطريق الذي أعادني إلي ميولي الأولىٰ) . انظر كتاب «الماسونية» ص١٤٢-١٤٣ والمرأة.

الحديثة التي تدعو إلىٰ إطلاق الغرائز وإشعالها بالفنون واستثارتها بالصورة والكلمة والملابس. وقد نبذت بلاد كثيرة طريقة فرويد في العلاج النفسي والعقلي وأعلنت فساد نظريته أساسًا التي ترد كل الاضطرابات النفسية إلىٰ أسس جنسية بحتة.

وقال الدكتور/ ناثان كلاين الطبيب النفسي السوفيتي:

إن هٰذِه النظرية ليست سوىٰ معول هادم لعقول الشباب، ومخدر مميت لنفوس أبناء الشعب، وهو يرجح عليها نظرية إيفان باملتوف التي ترىٰ أن البيئة هي المسئول الأول عما يصيب الإنسان من انحراف نفسي وعقلي.

والإسلام يرد كلتا النظريتين ويري أن كلًا منهما تتركز علىٰ واحد من جملة عوامل هي مصدر الإرادة الإنسانية...كذلك أثبتت الأبحاث العلمية بما لا يقبل الجدل أن الدافع الجنسي يأتي في مرتبة أدني من كثير من الدوافع الأخرىٰ كالدافع إلى الهواء أو الشراب أو المال، ثم إن هٰذا الدافع الجنسي يخضع للتربية والتوجيه، بمعنىٰ أننا نستطيع تربية الإنسان على العفة بحيث يضبط دافعه الجنسي ويتحكم فيه.

وبذلك تكون العفة أمرًا ليس ممكنًا فحسب بل ضروريًا...كذلك أثبتت الأبحاث أن هناك تنظيمًا طبيعيًا للشهوة في الإنسان بحيثت تستطيع كثير من الوسائل كالرياضة الجسدية أو الروحية أو الشعر..أن تستوعبه.

كذلك قال الباحثون: إن عدوي فرويد الأساسية هي أن المرض العصبي «العصاب» ينشأ عن أمور جنسية طفولية مكبوتة، ولكن البحث أثبت أن الأمور الجنسية الطفولية المكبوتة ليست وقفًا على الذين أصيبوا بعصاب في وقت ما في حياتهم ولكنها موجودة عند كل إنسان، وتشكل عاملًا هامًا في حياته.

وهكذا نجد أن ما دعا إليه فرويد من أن الطفل يعاني مما أسماه كبت الميول الجنسية ليس إلا أكذوبة أراد بها تبرير الإباحة، وأثار بها الخوف في النفوس حتىٰ يحول بين إعداد الشباب وتربيتهم وإعدادهم إعدادًا خلقيًا، وأن

ما يرمي إليه من ترك الميول حرة تسلك سبيلها إلي ما تشاء، وأن يُيَسَّرَ لها هٰذا السبيل ـ ليس إلا دعوة صريحة إلى الإباحية وقد تختلف المذاهب الغربية عن الماركسية في تفسير فرويد، ولكنهما يجتمعان في الواقع عند المادية والجبرية، ونظرية فرويد هي قمة الجبرية.

ووجه الخلاف الوحيد هو أن نظرية فرويد في نظر الماركسية وضعت؛ لتبرير النظرية الفردية ودعمها، غير أنهم يرون أن فرويد عامل هام يحقق أهدافهم في تحطيم المقدسات، وتلويث المجتمعات. وتصوير القيم والحدود، والضوابط الدينية والأخلاقية علىٰ أنها قيود ٱبتدعها المجتمع لحماية ذاته، فإذا تحطمت كسبت الماركسية نصف المعركة. ولا ريب أن المخططات كلها ملتقية، وأن الماركسية تتصل بنسب إلى الفرويدية.

وتلتقي الماركسية والفرويدية في أكثر من نقطة وأهمها:

النظرة المادية والحيوانية إلى الإنسان، تلك النظرة التي تنفي الجوانب الروحية والمثل العليا والأخلاق، وتؤمن بعالم الجسد وحده، وبالواقع الذي تدركه الحواس وحده، ولكنها تختلف مع الماركسية في تقديم أيهما: لقمة العيش أو الجنس.

وهكذٰا نري أن أبرز تفسيرين للتاريخ والإنسان، وهما الٱقتصادي والجنسي مصدرهما يهودي، والإسلام يرفض خضوع الإنسان للتفسير الٱقتصادي أو الجنسي أو المادي جملة.

والمعتقد أن الفكر الإنساني قد تجاوز هذين التفسيرين تمامًا بعد أن تمزقت النظريتان بالتناقضات، وثبت إخفاقهما بالتجربة، مما أكد عجزهما عن البقاء والاستمرار.

دور اليهود لانتشار الإباحية

لقد وضع اليهود نظرياتهم ومخططاتهم لإخراج المرأة من بيتها، وزجها في أي مكان للحصول علىٰ المال، لتحقيق لقمة العيش، وسد العوز، الذي خلقه المجتمع الجديد، المجتمع الصناعي، الذي أدىٰ إلىٰ هجرة الفلاحين إلىٰ المدينة، ومن ثم اضطرار المرأة إلىٰ البحث عن العمل حتىٰ لا تموت جوعًا؛ لأن العائل لم يعد باستطاعته سد عوز الأسرة، وغالبًا لم يعد بإمكانه إعالة هٰذه الأسرة، نتيجة استغلال رب العمل له.

ورويدًا رويدًا وحين اشتغلت المرأة في كل مكان- تحررت من سيطرة الرجل، وطالبت بالمساواة معه في كل شيء.

وعند ذلك رفع الرجل في وجه المرأة شعارات الدين والأخلاق والتقاليد. الذي لا يؤمن به حقيقة، لكنه مجرد سلاح شهره في طريقها حتىٰ لا تنافسه في ميادين الحياة.

وعند ذلك ماذا فعل اليهود!

لقد أشاروا علىٰ المرأة أن تتحرر من قيود الدين والأخلاق والتقاليد لتصل إلىٰ حقوقها(١)، فينبغي عليها أن تنسلخ من هٰذه القيود؛ لتنال حقوقها،

---

(١) جاء في بروتوكلات حكماء صهيون ما يلي:

يجب أن نعمل؛ لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا.

إن فرويد منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس؛ لكي لا يبقىٰ في نظر الشباب شيء مقدس؛ وليصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه؛ وعندئذ تنهار أخلاقه.

كما جاء فيها: لقد رتبنا نجاح داروِن وماركس ونيتشه بالترويج لآرائهم، وإن الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد.

ورد في خطاب راتجهون اليهودي عام ١٨٦٩ أمام قبر الحاخام ابن يهوذا في براغ والذي نقلته الاعتصام عدد أكتوبر ١٩٦٣ ما يلي: يجب علينا أن نمزق وحدة الأحزاب المصطنعة والتضامن السياسي والأفكار الثورية التخريبية بواسطة عملائنا=

وترتاح من سيطرة الرجل واحتقار المجتمع لها، وإذا تحررت المرأة من هٰذه الاعتقادات الخاطئة ربت أولادها علىٰ ذلك التحرر والانحلال وعند ذلك يتحقق الفساد في المجتمع الذي أراده اليهود ودبروه ثم وصلوا إليه؛ لأنهم علموا يقينًا أن الفساد لا يؤتي ثماره إلا بإفساد المرأة لأنها الأم ومربية الأجيال، ومهما أفسدوا الرجل، فلن يستطيعوا أن يصلوا إلىٰ غاياتهم المنشودة إلا بإفساد المرأة لأنها المربية للرجل والبنت سواء.

لقد أحرج اليهود صدر المرأة «ضد الدين والأخلاق والتقاليد لتنسلخ هي منها أولًا ثم لا تربي أبناءها عليها فيما بعد؛ لأن ذلك هو الضمان الوحيد لإفساد المجتمع فسادًا لا رجعة فيه!.

لقد جرب المخططون من قبل محاولة إفساد المجتمع عن طريق إفساد الرجل وحده فلم تنجح التجربة بالصورة المطلوبة. إن الشاب مهما فسد في فترة شبابه فإنه يعود إلىٰ ما لقنته له أمه في طفولته من مبادئ الدين والأخلاق والتقاليد، حتىٰ إذا أخذ يؤسس أسرة أسسها علىٰ تلك القيم، التي تلقاها من قبل ولم تفلح الفترة التي تفلت فيها في شبابه في تحويله إلىٰ المسار الجديد،

= الذين سينظرون إلينا نظرة العابد للمعبود ما دمنا نملك أكبر كمية من الرصيد الذهبي وما دمنا لن نحجز بناتنا ونساءنا عن أعدائنا الخوارج الملاعين .

يقول سرجي نيلوس: إن عودة رأس الأفعىٰ إلىٰ صهيون لا يمكن أن يتم إلا بعد تحطيم كل ملوك أوربا أي حينما تكون الأزمات الاقتصادية ودمار تجارة العملة. وقد أثرا في كل مكان. وهناك سنمهد السبيل لإفساد الروح المعنوية والانحلال الخلقي وخاصة بمساعدة النساء اليهوديات المتنكرات في صور فرنسيات وإيطاليات ومن إليهن.

وقد قرر المؤتمر اليهودي العاشر سنة ١٩١٢ أنه ليس من بأس أن نضحي بالفتيات اليهوديات في سبيل الوطن القومي. وإن تكن هٰذه التضحية قاسية مستنكرة؛ لكنها في الوقت نفسه كفيلة بأن توصل إلىٰ أحسن النتائج، وماذا عسانا نفعل مع شعب يؤثر البنات ويتهافت عليهن عن مجلة التضامن الإسلامي عدد مارس ١٩٧١ .

وعندئذ أدركوا أنه لابد من إفساد الأم ذاتها؛ لكي لا تلقن أطفالها تلك (المبادئ) التي تعرقل خطوات الشياطين وساروا بها تلك المسيرة الطويلة في طريق الفساد».

ولقد وقف في طريق ذلك بعض العقبات فما العمل لإزالة هٰذه العوائق؟!

«ولكن الحواجز أو بقايا الحواجز ما تزال تمنعها أو تبطئ خطواتها علىٰ الطريق فلتكن المعركة إذن حامية بين المرأة وبين الدين والأخلاق والتقاليد، لكي تحطمها بنفسها، ولكي تكون في مناعة كاملة منها حين تصبح أمًا ذات أطفال فلا تبذر في نفوسهم تلك البذور السامة التي يكرهها شعب الله المختار، أشد ما يكره من شيء علىٰ الإطلاق»!.

فخرجت المرأة للعمل، وخرجت لتتعلم، وخرجت لتختلط بالرجال ولتصبح ندًا للرجل في كل شيء، ونالت حريتها في كل شيء.

ولكن بعد كفاح طويل، مع الرجل ومع المجتمع، وضد القيم كلها الدين والأخلاق والتقاليد، والتي وقف الرجل فيها بوجه المرأة يحاربها بهٰذه القيم، وهنا اشتد موقف المرأة عداء ضد كل هٰذه القيم بما فيها الدين، وجند الشياطين من اليهود وغيرهم المرأة لمحاربة الدين، ونجحت في ذلك، وتحقق للشياطين ما يريدون من إبعاد المرأة (الأم) عن الدين وضمنوا تنشئة الأجيال بعيدًا عن حماه.

ولقد أغرىٰ حزب الشيطان المرأة بالمطالبة بحقها الطبيعي- كما زعموا في الحياة، وذلك بالخوض في جميع مجالاتها، فهي قد تعلمت وعليها أن تعمل خارج بيتها، فما نفع العلم الذي تعلمته إذا علقته في جدران المطبخ.

«وأغريت المرأة بكل وسائل الإغراء؛ لكي تهجر بيتها وتخرج إلىٰ المجتمع!

قيل لها إن حبسها علىٰ وظيفة الزوجية والأمومة ورعاية النشء هو

ٱمتهان لها، وإهدار لكرامتها، وتعطيل لطاقتها، وهو في الوقت نفسه تعطيل للمجتمع عن التقدم، فما يستطيع المجتمع أن يتقدم، ونصفه حبيس وراء الجدران، وقيل لها: إن الرجل هو الذي حبسها علىٰ هٰذه الوظائف أنانية منه؛ لتقوم علىٰ خدمته، ولينفرد هو بأمور المجتمع! وإنها منذ اللحظة ينبغي أن تثور علىٰ هٰذا الوضع المهين، وتوقف الرجل عند حده، وتفرض عليه ٱحترامها، وتفرض عليه المشاركة في أمور المجتمع، وإن الوسيلة لهٰذا كله هو أن تعمل، وإنها حين تعمل تصبح مثله تمامًا في كل شيء، فيتنازل عن أنانيته وغطرسته ويحترمها»!.

وبذلك ٱستقلت المرأة ٱقتصاديًا وتمردت علىٰ قوامة الرجل، كما تمردت علىٰ الدين والأخلاق والتقاليد، وانفلتت- كما أريد لها- بلا ضوابط ولا قيود.

وهب اليهود مسرعين إلىٰ ٱنتهاز الفرصة.. فنشطت بيوت الأزياء، وبيوت الزينة.

ومن ثم خرجت المرأة فتنة هائجة في الطريق، بما أظهرت من زينتها، وكشفت من فتنتها وصادقت الرجال والشباب، وتحطمت الأسرة، وانتفىٰ الزواج.

وهٰذِه فقرات من بروتوكولاتهم التي وضعوها؛ ليحققوا أملهم في السيطرة على العالم.

جاء في البروتوكول الثاني:

«لا تظنوا أن أقوالنا هٰذِه ثرثرة جوفاء..تفكروا واذكروا نجاح داروين، وماركس ونيتشه،فنحن الذين أوجدناهم، وتعلموا جميعًا ما كان لسموم هٰذِه المذاهب من أثر في أخلاق القوييم[1] وعقولهم»

---

(١) غير اليهود.

وجاء في البروتوكول التاسع:

لقد أفسدنا شباب القوييم وآدابه بما لَقَّنَّاهُ من المبادئ الهدامة والنظريات الزائفة، وحصلنا علىٰ نتائج باهرة من غير أن نمس القانون السائد نفسه..

وفي البروتوكول الثالث عشر:

أول فقرة«سنعمل للحيلولة دون قيام الأغيار بأي تفكير حقيقي نابع عن ذاتهم علىٰ توجيه ٱهتمامهم إلىٰ مجالات اللهو والألعاب والتسلية والإثارة الجنسية والقصور الشعبية.

ومثل هٰذا الٱهتمام سيصرف عقولهم تمَاما عن القضايا التي نجد أنفسنا مضطرين إلىٰ مكافحتهم فيها»

وجاء في البروتوكول الرابع عشر:

وقد نشرنا في بلدان تدعي الرقي أدبًا منحلًا دنسًا تغثىٰ منه النفس، وسنوالي بعد قيام مملكتنا لزمن يسير تشجيعه رجاء أن نجلي ما بينه وبين أدبنا من فوارق من المضمون النقي المحمود، وسيعد شيوخنا المهيئون لقيادة القوييم خطبًا وبرامج ومذكرات ومقالات تؤثر في عقول القوييم وتقودهم إلىٰ معارف وآداب تصوغهم الصياغة التي نريدها..[(١)]

يقول الأستاذ أنور الجندي:[(٢)]

وقد جاء هٰذا الٱتجاه في ظل مخطط بروتوكولات صهيون التي تستهدف السيطرة على العالم البشري بعد تدميره أخلاقيًا واجتماعيًا، وقد ٱستطاعت الصهيونية ٱحتواء الرأي العام الغربي المسيحي وتجريده من قيمة الروحية والأخلاقية، والسيطرة على الفكر العالمي عن طريق الإعلام والتعليم والصحافة، وزرع بذور الشك والريبة، ومن هنا ٱحتضنت كل الدعوات

---

(١) راجع بروتوكولات صهيون ترجمة الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، واليهودي العالمي هنرىٰ فورد.

(٢) «معلمة الإسلام» (١/ ٢١٣).

الخاصة بالإباحة والإلحاد والوثنية وفي مقدمتها دعوة فرويد وماركس ودور كايم وهي التي تهدم أسًاسا مفهوم الدين الحق، وكان فرويد هو الرجل الذي أراد أن يحطم ٱحترام الإنسان لنفسه تحطيمًا كاملًا، ومن يقرأ لفرويد يدرك تمامًا أنه ينفذ مخططًا يهوديًا جبارًا، حين أراد أن يصمم أن الجنس البشري كله بأنه جنس متحلل ينطوي علي أسوأ النوايا، وأخس الرغبات، حتىٰ إنه أقام مفهوم الجنس علىٰ أن الطفل يعشق أمة ويريد أن يقتل أباه، وكان من نتيجة فكرته ودعوته العمل علىٰ تنظيم جماعات من الناس يرونهم أحرارًا لا يخجلون من أعضائهم التناسلية حين يجتمعون في نوادي العراة، وقد كانت الماسونية الأداة الأولي؛ لإذاعة هٰذا الفكر الإباحي الوثني، فقد عمدت إلىٰ تلقين الشباب في طفولتهم أسس دعوات الجنس والانحلال وتعليمهم مبادئ تقديس أعضائهم التناسلية، ثم كانت الأنطلاقة الكبرىٰ في مجال الفن والأدب: فظهر دعاة الجنس الصارخ والأدب المكشوف: إميل زولا، لورنس، وأوسكار وايلد، وبودلير وفولتير، ٱنطلاقًا من دعوة فرويد المضللة التي تقول: إن الجنس هو الجذر الأصيل لجميع نشاطاتنا، وظهر ذلك في آثارهم وإنتاجهم.

كذلك ٱتجهت الدعوة إلىٰ هدم الأسرة بإعلان كراهية الأب وتحقيره في مختلف المواقف، وكراهية الأخ الأكبر، وإعلان الحرب على الوصاية والتوجيه والأبوة والعلاقة التي تقوم بين الأجيال، ووصفها بأنها صراع الأجيال لا لقاء الأجيال، ودعوة الشباب إلى التحرر من كل قيود التوجيه سواء من الأساتذة أو الآباء أو رجال الديني. وقد عجزت الآداب المسيحية عن معارضة هٰذا الاتجاه وذلك حين دمر اليهود التعليم الديني وأزعجوا رجال الدين المسيحي بأسلوب القتل والتخويف.

وعملت هٰذِه الآثار الأدبية الحرة علىٰ إفساد المجتمعات والاستهانة بالعفة والحصانة، ودعت إلىٰ شيوعية النساء والتسامح بين الرجال والنساء ما

به يطلق كل من الرجل والمرأة حرية الآخر وانطلقت إلىٰ أفق أشد خطرًا بأن قامت العلاقات دون قيد شرعي أو ضبط ٱجتماعي.

وقد قام (الهريواخيم دريش) وهو يهودي ألماني،عمره ستة وثلاثون عامًا بإصدار مجلة «سانكت باولي تسايتونج» في همبورج كما قام بإنشاء حزب سياسي جديد أسماه (حزب الجنس) وشعار هٰذا الحزب هو المطالبة بالحرية الجنسية للجميع. وتدريس العملية الجنسية للأولاد عمليًا وعلى الطبيعة في سن التاسعة، وإباحة الزواج المشاعي (وهو أن يتزوج جماعة من الرجال جماعة من النساء، ويتبادلون الزوجات فيما بينهم) وإباحة زواج الرجل الشاذ بالرجل الشاذ، والمرأة الشاذة بالمرأة الشاذة، والنظر إلى الخيانة الزوجية علىٰ أنها الأمر العادي والطبيعي والمأمون ودستور الحزب يهدف إلىٰ جعل حبوب منع الحمل والإجهاض حقوقًا مشروعة، والحل السياسي لأزمة العالم في نظر الحزب هو الحب بدل الحرب أي: الحب الجنسي علي طريقة الحيوانات.

ومجلة «الهريواخيم» تبيع مليون نسخة ومن أراد الٱحاطة بدور اليهود في نشر الإباحية والفساد في العالم فليطالع كتاب (اليهودي العالمي) تعريب الأستاذ خيري حماد. هٰذا الكتاب أعده المليونير (هنري فورد) ملك السيارات الذي أحس وهو في بداية طريقه بالنفوذ اليهودي يسعىٰ إلىٰ تحطيمه، ويحاول أن يسد عليه الطريق، فقرر أن يحارب خصومه بسلاحهم، فاستقدم لفيفًا من خيرة رجال البحث العلمي من الأمريكيين، ليقوموا بدراسات دقيقة وشاملة عن نفوذ اليهودية العالمية. فكان هٰذا الكتاب الذي أثار رد فعل عنيف عند اليهود، فقاموا بجمعه من الأسواق فور صدوره، وتعرض بسببه المليونير وزوجته وأسرته للتهديد والإرهاب والوعيد مما ٱضطره إلىٰ وقف نشره وتوزيعه، وأصبحت النسخ التي بيعت من الكتاب فور صدورها نادرة للغاية، حتىٰ إن النسخة الواحدة منه قد بيعت -كما قيل بثمانمائة دولار.

وقد عرىٰ هٰذا الكتاب الأساليب التي يتبعها اليهودي العالمي في تنفيذ البروتوكولات حرفيًا وقد قال (المستر فورد) نفسه: إن البيان الوحيد الذي يهمني الإفضاء به فيما يتعلق بهٰذِه التعاليم هو أنها تتفق مع ما وقع.. إنها تتفق مع أوضاع العالم حتى اليوم بل وتتفق مع الوضع اليوم.

وقال أيضًا: (على الشعب الأمريكي أن يدرك ولو مرة واحدة أن الأنحلال الطبيعي ليس هو الشئ الذي أصابه بل التهديم المدروس والمخطط، وإذا ما أدرك هٰذِه الحقيقة نجا واطمأن).

وقد أظهر الكتاب بوضوح كيف تولىٰ اليهود نشر الإلحاد والإباحية والدعارة في العالم، وكيف سيطر اليهود على المسرح والسينما والصحف والإذاعة والتلفزيون ودور النشر وجميع وسائل الإعلام، وكيف أحتكروا تجارة الخمور في العالم، وكيف أفسدوا الرياضة وحولوها إلىٰ نوع من أنواع القمار. ويخلص الكتاب إلى القول بأن معرفة حقيقة اليهود هي الطريق الوحيد لتحرير العالم من هٰذا الكابوس المخيف.

وهكذا كان اليهود وسيكونون من أبرز العوامل التي تسعر نار الجنس؛ لتلتهم العالم بأسره، وليس الغرب وحده، وذلك إن لم تتنبه دول العالم إلىٰ هٰذا السرطان الذي يعمل في الخفاء بتخطيط مدروس.

أثر المؤتمرات الدولية والعولمة الاجتماعية لنشر الإباحية

أصبحت «المرأة» و«الأسرة» محورين أساسيين من محاور عمل التجمعات والفعاليات الاجتماعية في العالم، ولدىٰ كثير من المنظمات والجمعيات (الحكومية وغير الحكومية) التي ترفع لواء ورداء الحرية والمساواة وحقوق الإنسان.

كما أصبح الشغل الشاغل لتلك التجمعات والمنظمات: السعي لعولمة الحضارة الغربية ممثلة في الحياة الاجتماعية لتلك الدول؛ وذلك من خلال تقنين الإباحية والرذيلة، ومن خلال محاولة تعميم الشذوذ باسم حقوق الإنسان والحرية الشخصية، وتقويض بناء الأسرة؛ لأنها- في زعمهم- أكبر عائق من عوائق التقدم والرفاهية؛ فهي أقدم مؤسسة اجتماعية يدعون أن الرجل يتسلط من خلالها علىٰ المرأة، ويمارس عليها أشكال القهر، ومن أجل التحرير المزعوم للمرأة فإنهم يرون ضرورة التخلص من شيء اسمه «الأسرة»، ولو أدىٰ ذلك إلىٰ التمرد علىٰ كل التعاليم الدينية، والمبادئ الفطرية، التي أرست دعائم الشعوب والأمم علىٰ مر التاريخ البشري.

تلك هي رؤيتهم التي دأبوا علىٰ بثها بكل وسيلة ممكنة، وذلك هو برنامجهم الذي لم يسأموا من السعي لتحقيقه في الواقع، وفرضه بالقوة مستعينين بأمور منها:

أولاً: وسائل الإعلام بمختلف أشكالها وأنواعها (المقروءة والمسموعة والمرئية)، وهذا الأمر معلوم للجميع ومشاهد علىٰ أرض الواقع.

ثانيًا: الاستعانة بمؤسسات الهيمنة الدولية، وفي مقدمتها هيئة الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، وهذا ما سيدور حوله الكلام إن شاء الله؛ حيث إنه يقع في دائرة الاهتمام والمتابعة الشخصية.

ففي السنوات الأخيرة- وخاصة في التسعينيات الميلادية، كما سيتبين ذلك بعد قليل- كثفت الحركات النسوية جهودها، وكذلك نشطاء حقوق

الإنسان- من أجل نقل تصوراتها وأفكارها من حيز الكلام التنظيري إلىٰ حيز التنفيذ العملي، ومن الأطر الثقافية والأخلاقية والاجتماعية- الخاصة ببعض الشعوب والحضارات الغربية- إلىٰ النطاق العالمي العام مستغلين طغيان موجة العولمة؛ وذلك بإقامة مؤتمرات من خلال هيئة الأمم المتحدة بعضها خاص بالمرأة، وبعضها الآخر تصبح المرأة فيه جزءًا مهمًا من قضاياها.

أولاً: أجهزة الأمم المتحدة المعنية بالمرأة:

هناك أجهزة وهيئات تابعة للأمم المتحدة معنية بالمرأة تشارك في الإعداد والتجهيز لهٰذه المؤتمرات، منها:

أ- لجنة مركز المرأة التابعة للأمم المتحدة.

ب- صندوق الأمم المتحدة للسكان.

ج- صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة.

د- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

هـ- المعهد الدولي للبحث والتدريب من أجل النهوض بالمرأة.

و- جامعة الأمم المتحدة.

ز- معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية.

ح- اللجنة المعنية بالقضاء علىٰ التمييز ضد المرأة.

ط- منظمة الأمم المتحدة للطفولة.

ي- مركز الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (الموئل).

ك- مفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين.

ل- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.

وهٰذه المنظمة الأخيرة التي تعرف باسم: «منظمة اليونسكو»، لها دور فاعل ومميز في هٰذه المؤتمرات من حيث الإعداد والمشاركة فيها؛ فقد قرر المدير العام لهٰذه المنظمة إنشاء لجنة استشارية معنية بالمرأة، وعهد إلىٰ هٰذه اللجنة بإعداد ما يمكن لهٰذه المنظمة الإسهام به في مؤتمر المرأة الرابع في

بكين ١٩٩٥م، وتهدف هٰذه المساهمة إلىٰ ما يلي:

- تعزيز نشاط اليونسكو وتفكيرها بشأن موضوعات المؤتمر الثلاثة: المساواة، والتنمية، والسلام، وإبرازها بصورة أوضح.

- تعزيز أهمية نوعية التعليم المقدم إلىٰ البنات والنساء علىٰ جميع المستويات، وفي جميع المجالات.

- إشاعة صور إيجابية عن المرأة تبرز مواهبها، وخبراتها، وقدراتها، وإسهامها الفعلي بصفتها عاملًا من عوامل التغيير الٱجتماعي.

- تعزيز إمكانيات المرأة في ٱتخاذ القرار في جميع مجالات ٱختصاص اليونسكو كالتربية، والاتصال، والعلوم، والثقافة، ومكافحة جميع أشكال التمييز والعنف تجاه المرأة.

- الإسهام في القضاء علىٰ القوالب الجامدة التي لا تزال تحدد أدوار وسلوك الرجال والنساء وتبقي- من ثم- علىٰ أشكال التفاوت والتمييز التي تستند إلىٰ الجنس.

ثانيًا: تاريخ موجز لهٰذه المؤتمرات:

بدأ ٱهتمام هيئة الأمم المتحدة بالمرأة منذ عام ١٩٤٦م، حين أنشئت لجنة مركز المرأة (وهي هيئة رسمية دولية تتألف من خمس وأربعين من الدول الأعضاء تجتمع سنويًا بهدف عمل مسودات وتوصيات وتقارير خاصة بمكانة المرأة وتقويم تلك الأعمال).

وقد أكد دستور هيئة الأمم المتحدة وميثاقها.

- الذي أبرم بتاريخ ٢٦/٦/١٩٤٥م- مبدأ عدم التفرقة بين الناس بسبب الجنس، فجعل للرجال والنساء حقوقًا متساوية، كما ورد في نصوص موادها: الأولىٰ والثامنة.

ونشير - هنا- إلىٰ تركيز الأمم المتحدة في ٱتفاقياتها ومؤتمراتها علىٰ قضية المساواة بين المرأة والرجل - بالمفهوم الغربي- بوصفها قيمة عليا من

القيم التي قامت عليها الحضارة الغربية، والتي أصبحت من القضايا المسلمة التي لا تقبل النقاش حولها، واستخدمت قضية المساواة هٰذه في تمرير كثير من القضايا التي تنادي بها الأمم المتحدة لعولمة النموذج الغربي للمرأة في جميع مجالات الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والإعلامية إلخ.

وقد أكدت المادة الثامنة هٰذا المفهوم؛ حيث جاء فيها: (لا تفرض الأمم المتحدة قيودًا تحد بها جواز ٱختيار الرجال والنساء للاشتراك بأي صفة وعلىٰ وجه المساواة في فروعها الرئيسية والثانوية.

وفي عام ١٩٤٨م صدر (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) شاملًا كافة حقوق الإنسان المدنية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي يجب أن يتمتع بها كل فرد رجلًا كان أو ٱمرأة.

ففي المادة الثانية- مثلًا- من هٰذا الإعلان: (لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في هٰذا الإعلان، دونما تمييز من أي نوع، ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو الرأي سياسيًا وغير سياسي، أو الأصل الوطني، أو الاَجتماعي، أو الثروة، أو المولد، أو أي وضع آخر).

كما أكدت الأمم المتحدة ضمن بنود دستورها (ل) و(م)، علىٰ حقوق المرأة السياسية والاجتماعية، وحقها في الزواج والاتفاق علىٰ الرضا بالزواج والتوصية بذلك، بالإضافة إلىٰ حماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ والمنازعات المسلحة.

وفي عام ١٩٥١م ٱعتمد المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية: (اتفاقية المساواة في الأجور بين العمال والعاملات).

وفي عام ١٩٥٢م أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة (الاتفاقية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة)، وذلك بناء علىٰ توصية اللجنة الخاصة بمركز المرأة.

وبالنظر إلىٰ (العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) المتفق عليه، والذي أصدرته الأمم المتحدة في عام (١٩٦٦م)، نجد أن المادة الثالثة من هٰذا العهد تنص علىٰ ما يلي (تتعهد الدول الأطراف في هٰذا العهد بضمان مساواة الذكور والإناث في حق التمتع بجميع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المنصوص عليها في هٰذا العهد).

وكذلك صدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة (العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية) في عام ١٩٦٦م، ونص في مادته الثالثة علىٰ ما يلي:

(تتعهد الدول الأطراف في هٰذا العهد بكفالة تساوي الرجال والنساء في حق التمتع بجميع الحقوق المدنية والسياسية المنصوص عليها في هٰذا العهد).

وفي عام ١٩٦٧م صدر (الإعلان الخاص بالقضاء علىٰ التمييز ضد المرأة)، وقد أقرته هيئة الأمم المتحدة مع توصية ببذل أقصىٰ الجهد لتنفيذ المبادئ الواردة فيه للحكومات والمنظمات غير الحكومية والأفراد، والذي ينص علىٰ حق المرأة الدستوري في التصويت، والمساواة مع الرجل أمام القانون، وعلىٰ حقوقها في الزواج والتعليم وميادين الحياة الاقتصادية والاجتماعية مع الرجل سواء بسواء.

وفي عام ١٩٦٨م عقد في طهران مؤتمر دولي لحقوق الإنسان تحت إشراف الأمم المتحدة، وسمي: (إعلان طهران ١٩٦٨م)، ونص في بنده الخامس عشر علىٰ أنه: (يتحتم القضاء علىٰ التمييز الذي لا تزال المرأة ضحية له في عديد من أنحاء العالم؛ إذ أن إبقاء المرأة في وضع دون وضع الرجل يناقض ميثاق الأمم المتحدة، كما يناقض أحكام الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والتنفيذ الكامل لإعلان القضاء علىٰ التمييز ضد المرأة ضروري لتقدم الإنسانية). أما البند السادس عشر من هٰذا الإعلام فكان من

ضمنه (أن حماية الأسرة والطفل تظل شاغلًا للمجتمع الدولي).

ثم بعد ذلك بدأت الأمم المتحدة في عقد مؤتمراتها الخاصة بالمرأة.

- فعقدت أول مؤتمر عالمي خاص بالمرأة وهو: (مؤتمر مكسيكو لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم)، وذلك في عام ١٩٧٥م في المكسيك؛ حيث حضرته ١٣٣ دولة، واعتمد فيه أول خطة عالمية متعلقة بوضع المرأة علىٰ المستوىٰ الحكومي وغير الحكومي في المجالات السياسية والاجتماعية والتدريب والعمل علىٰ حماية الأسرة.

كما ٱعتمدت خطة العمل العالمية لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم، للأعوام (١٩٧٦- ١٩٨٥م).

وفي عام ١٩٧٩م عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة مؤتمرًا تحت شعار: (القضاء علىٰ كافة أشكال التميز ضد المرأة)، وخرج المؤتمرون باتفاقية للقضاء علىٰ جميع أشكال التمييز ضد المرأة.

وجاءت هٰذه الٱتفاقية لأول مرة بصيغة ملزمة قانونيًا للدول التي توافق عليها، إما بتصديقها أو بالانضمام إليها، وقد بلغ عدد الدول التي ٱنضمت إلىٰ هٰذه الٱتفاقية مائة وثلاثًا وثلاثين دولة، إلىٰ ما قبل مؤتمر بكين عام ١٩٩٥م، وكان من أبرز مواد هٰذه الٱتفاقية:

- الٱعتراف بتساوي الرجل والمرأة في الميادين السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، أو في أي ميدان آخر، بغض النظر عن حالتها الزوجية.

- ٱتخاذ جميع التدابير المناسبة- بما في ذلك التشريعي منها- لتغيير أو إبطال القائم من القوانين، والأنظمة، والأعراف، والممارسات التي تشكل تميزًا ضد المرأة.

- تعديل الأنماط الٱجتماعية والثقافية للقضاء علىٰ العادات القائمة علىٰ فكرة تفوق أحد الجنسين، أو علىٰ أدوار نمطية للرجل والمرأة.

- القضاء علىٰ أي مفهوم نمطي عن دور الرجل والمرأة علىٰ جميع مستويات التعليم، وفي جميع أشكاله، عن طريق تشجيع التعليم المختلط وغيره من أنواع التعليم.

- تمنح الدول الأطراف المرأة في الشئون المدنية أهلية قانونية مماثلة لأهلية الرجل، ونفس فرص ممارسة تلك الأهلية.

- أن يكون للمرأة نفس الحقوق في أن تقرر بحرية وبشعور من المسئولية عدد أطفالها، والفترة بين إنجاب طفل وآخر.

- نفس الحقوق والمسئوليات فيما يتعلق بالولاية، والقوامة، والوصاية علىٰ الأطفال وتبنيهم.

- وفي عام ١٩٨٠ م عقدت الأمم المتحدة (المؤتمر العالمي لعقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم) في (كوبنهاجن) بالدنمارك وهو المؤتمر الثاني الخاص بالمرأة؛ وذلك لاستعراض وتقويم التقدم المحرز في تنفيذ توصيات المؤتمر العالمي الأول للسنة الدولية للمرأة الذي عقد عام ١٩٧٥م في المكسيك، ولتعديل البرامج المتعلقة بالنصف الثاني من العقد الأممي للمرأة.

- وفي عام ١٩٨٥م عقد (المؤتمر العالمي لاستعراض وتقييم منجزات عقد الأمم المتحدة للمرأة: المساواة والتنمية والسلم) في (نيروبي).

- المؤتمر الثالث الخاص بالمرأة- والذي عرف باسم: (استراتيجيات نيروبي المرتقبة للنهوض بالمرأة) وذلك من عام ١٩٨٦م حتىٰ عام ٢٠٠٠م، وقد شارك فيه سبع وخمسون ومائة دولة. وقد بين المؤتمر أهداف وغايات العقد الأممي، وشدد علىٰ صحتها بالنسبة إلىٰ المستقبل، وبين الحاجة إلىٰ اتخاذ تدابير ملموسة للتغلب علىٰ العقبات التي تعترض سبيل إنجازها أثناء الفترة ١٩٨٦-٢٠٠٠م.

- وفي عام ١٩٩٥م عقدت الأمم المتحدة (المؤتمر العالمي الرابع

المعنىٰ بالمرأة) في (بكين)، وقد دعت فيه إلىٰ مضاعفة الجهود والإجراءات الرامية إلىٰ تحقيق أهداف ٱستراتيجيات نيروبي التطلعية للنهوض بالمرأة بنهاية القرن الحالي.

ويعتبر هٰذا المؤتمر متميزًا عن المؤتمرات الأخرىٰ التي تبنتها الأمم المتحدة؛ حيث دعت فيه بصراحة وبوضوح إلىٰ العديد من الأمور التي فيها مخالفة للشريعة الإسلامية، بل فيها مخالفة للفطرة التي فطر الله - تعالىٰ- الناس عليها، مثل:

الدعوة إلىٰ الحرية والمساواة- بمفهومها المخالف للإسلام- والقضاء التام علىٰ أي فوارق بين الرجل والمرأة، دون النظر فيما قررته الشرائع السماوية، وأقضته الفطرة، وحتمته طبيعة المرأة وتكوينها.

وكذلك الدعوة إلىٰ فتح باب العلاقات الجنسية المحرمة شرعًا؛ ومن ذلك: السماح بحرية الجنس، والتنفير من الزواج المبكر، والعمل علىٰ نشر وسائل منع الحمل، والحد من خصوبة الرجال، وتحديد النسل، والسماح بالإجهاض المأمون، والتركيز علىٰ التعليم المختلط بين الجنسين وتطويره، وكذلك التركيز علىٰ تقديم الثقافة الجنسية للجنسين بسن مبكرة، وتسخير الإعلام لتحقيق هٰذه الأهداف.

كما أن في هٰذا المؤتمر إعلانًا للإباحية، وسلبًا لقوامة الإسلام علىٰ العباد، وسلبًا لولاية الآباء علىٰ الأبناء، وقوامة الرجال علىٰ النساء.

بالإضافة إلىٰ هٰذه المؤتمرات الخاصة بالمرأة فهناك مؤتمرات إقامتها الأمم المتحدة خاصة بالسكان، إلا أنها ناقشت في وثائقها قضايا متعلقة بالمرأة وبالعقد الأممي الخاص بالمرأة، وهي:

- المؤتمر العالمي الأول للسكان في (رومانيا) عام ١٩٧٤م. وقد ٱعتمدت في هٰذا المؤتمر خطة عمل عالمية، جاء فيها:

- الدعوة إلىٰ تحسين دور المرأة ودمجها الكامل في المجتمع.

- الدعوة إلىٰ مساواة المرأة بالرجل.
- الدعوة إلىٰ تحديد النسل، وتخفيض المرأة لمستوىٰ خصوبتها.
- (المؤتمر الدولي المعني بالسكان) في (المكسيك) عام ١٩٨٤م. وقد جاء في هٰذا المؤتمر:
- الدعوة إلىٰ إعطاء المرأة حقوقها المساوية لحقوق الرجل في جميع مجالات الحياة.
- الدعوة إلىٰ رفع سن الزواج، وتشجيع التأخر في الإنجاب.
- إشراك الأب في الأعباء المنزلية، وإشراك المرأة في المسئولية علىٰ الأسرة.
- الإقرار بالأشكال المختلفة والمتعددة للأسرة.
- الدعوة إلىٰ التثقيف الجنسي للمراهقين والمراهقات.
- الإقرار بالعلاقات الجنسية خارج نطاق الأسرة.
- تقديم الدعم للزناة والزانيات، بتقديم الدعم المالي، وتوفير السكن المناسب لهم.
- وفي عام ١٩٩٤م أقيم (المؤتمر الدولي للسكان والتنمية) في (القاهرة). وقد نوقشت في هٰذا المؤتمر قضايا شبيهة تمامًا بالقضايا التي سبق ذكرها في المؤتمر الرابع للمرأة ببكين؛ فقد أكد قضية المساواة بين الجنسين وأفرد لها فصلًا مستقلًا. وأما التنمية فإن عنوان المؤتمر أشار إلىٰ ذلك، فضلًا عن قضايا تنمية المرأة التي نوقشت في ثنايا المؤتمر.

ومؤتمر السكان والتنمية هٰذا يعد من المؤتمرات التي أثارت وثيقته ضجة واسعة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي؛ بسبب مخالفتها للشرائع السماوية وللفطرة السليمة.

كما أقيمت مؤتمرات أخرىٰ للأمم المتحدة نوقشت فيها بعض قضايا المرأة؛ فمن هٰذه المؤتمرات:

- (المؤتمر العالمي لتوفير التعليم للجميع) المنعقد في (جومتيان- تايلاند) عام ١٩٩٠م الذي تم فيه الإعلان العالمي لتوفير التعليم للجميع.

- (مؤتمر القمة العالمي من أجل الطفل) المنعقد في (نيويورك) عام ١٩٩٠م الذي أكد فيه ما ورد في ٱتفاقية حقوق الطفل التي ٱعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٨٩م. ومن ذلك: حق الطفل في حرية الفكر والوجدان والدين، والدعوة إلىٰ سلب ولاية الأباء علىٰ الأبناء؛ وذلك من خلال الدعوة إلىٰ تمكين الطفل من الحصول علىٰ المعلومات والمواد من شتىٰ المصادر الوطنية والدولية.

- (المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية) المنعقد في (ريودي جانيرو- البرازيل) عام ١٩٩٢م الذي أشير فيه إلىٰ حقوق النساء في التحكم في قدرتهن علىٰ الإنجاب، والدعوة إلىٰ إنشاء مرافق صحية وقائية وعلاجية للرعاية الصحية التناسلية تكون مأمونة وفعالة، وكذلك الدعوة إلىٰ تحديد النسل.

وكذلك المطالبة بتحسين مركزهن الٱجتماعي والاقتصادي، ومن ذلك وضع ٱستراتيجيات للقضاء علىٰ العقبات الدستورية، والقانونية، والإدارية، والثقافية، والسلوكية، والاجتماعية، والاقتصادية التي تحول دون مساواة المرأة بالرجل.

- (المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان) في (النمسا)، عام ١٩٩٣م. وقد حث هٰذا المؤتمر علىٰ تمتع المرأة تمتعًا كاملًا- وعلىٰ قدم المساواة- بجميع حقوق الإنسان السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها من الحقوق- بالمفهوم الغربي لهٰذه الحقوق، وأن يكون هٰذا الأمر أولوية من أوليات الحكومات.

وكذلك أكد علىٰ قضايا تخص المرأة مثل قضية المساواة التامة مع الرجل، وأهمية إدماج المرأة في عملية التنمية بوصفها فاعلة ومستفيدة من هٰذه العملية.

وكذلك حث هٰذا المؤتمر علىٰ ٱستئصال جميع أشكال التميز ضد المرأة- الخفية منها والعلنية علىٰ السواء- وطالب هٰذا المؤتمر بالتصديق العالمي من قبل جميع الدول علىٰ ٱتفاقية القضاء علىٰ جميع أشكال التمييز ضد المرأة بحلول عام ٢٠٠٠م.

-(إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن القضاء علىٰ العنف ضد النساء)، وذلك في عام ١٩٩٣م.

- (مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية) الذي أقيم في (كوبنهاجن) عام ١٩٩٥م الذي تم فيه الإقرار بأشكال الأسرة المختلفة، والدعوة إلىٰ المساواة بين المرأة والرجل، ومن ذلك إسقاط قوامة الرجل علىٰ المرأة داخل الأسرة، ودعوة الرجل لتحمل الأعباء المنزلية، ودعوة المرأة للخروج للمساهمة في سوق العمل، وكذلك إزالة القيود المفروضة علىٰ المرأة في وراثة الممتلكات.

- (مؤتمر الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية) (الموئل الثاني) الذي ٱنعقد في (تركيا) عام ١٩٩٦م ودعا إلىٰ كفالة مشاركة النساء- مشاركة تامة وعلىٰ قدم المساواة مع الرجال- في الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وكذلك الٱلتزام بهدف المساواة بين الجنسين في تنمية المستوطنات البشرية، وكذلك الٱلتزام بإدماج الٱعتبارات المتعلقة بنوع الجنس (جندر) في التشريعات، والبرامج والمشاريع المتصلة بالمستوطنات البشرية، عن طريق التحليل الذي يراعي نوع الجنس.

كما تم الٱعتراف بالأشكال المختلفة للأسرة وأيضًا دعا هٰذا المؤتمر إلىٰ أجراء إصلاحات تشريعية وإدارية؛ من أجل الحصول الكامل- وعلىٰ قدم المساواة- علىٰ الموارد الٱقتصادية، بما في ذلك الميراث، والائتمان.

(مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة عام ٢٠٠٠م المساواة والتنمية والسلام في القرن الحادي والعشرين) الذي ٱنعقد في (نيويورك).

وقد تضمنت وثيقة هٰذا المؤتمر التحضيرية ما يلي:

- الدعوة إلىٰ الحرية الجنسية والإباحية للمراهقين والمراهقات والتبكير بها مع تأخير سن الزواج، وأوجدوا مسمىٰ جديدًا للداعرات وهو: (عاملات الجنس)، وتشجيع أنواع العلاقات الجنسية خارج إطار الأسرة الشرعية (رجلًا وامرأة)، وتهميش دور الزواج في بناء الأسرة.

- إباحة الإجهاض.

- تكريس المفهوم الغربي للأسرة، وأنها تتكون من شخصين يمكن أن يكونا من نوع واحد (رجل + رجل، أو ٱمرأة + ٱمرأة).

- تشجيع المرأة علىٰ رفض الأعمال المنزلية، بحجة أنها أعمال ليست ذات أجر.

- المطالبة بإنشاء محاكم أسرية من أجل محاكمة الزوج بتهمة ٱغتصاب زوجته.

- إباحة الشذوذ الجنسي (اللواط والسحاق)؛ بل الدعوة إلىٰ مراجعة ونقض القوانين التي تعتبر الشذوذ الجنسي جريمة.

- فرض مفهوم المساواة الشكلي المطلق، والتماثل التام بين الرجل والمرأة في كل شيء بما في ذلك الواجبات: كالعمل، وحضانة الأطفال، والأعمال المنزلية، وفي الحقوق: كالميراث.

- المطالبة بإلغاء التحفظات التي أبدتها بعض الدول الإسلامية علىٰ وثيقة مؤتمر بكين ١٩٩٥م.

ويعتبر أهم هدف في هٰذا المؤتمر هو: الوصول إلىٰ صيغة نهائية ملزمة للدول بخصوص القضايا المطروحة علىٰ أجندة هٰذا المؤتمر، والتي صدرت بحقها توصيات ومقررات في المؤتمرات الدولية السابقة، تحت إشراف الأمم المتحدة.

ولأهمية هٰذا المؤتمر وتعويل التيار النسوي العالمي عليه؛ فقد أقيمت عدة مؤتمرات إقليمية لمتابعة توصيات مؤتمر بكين، والتمهيد لهٰذا المؤتمر

المسمىٰ: «المؤتمر التنسيقي الدولي للنظر في نتائج وتطبيق قرارات المؤتمرات الأممية للمرأة». ومن هٰذه المؤتمرات الإقليمية:

- اجتماع في نيويورك في عام ٢٠٠٠م، تحت شعار (بكين +٥)- إشارة إلىٰ السنوات الخمس التي مضت علىٰ مؤتمر بكين- وقد جرىٰ في هٰذا الاجتماع محاولة لإدخال تعديلات علىٰ وثيقة مؤتمر بكين.

- (مؤتمر المرأة الخليجية) في البحرين، في شهر مارس تحت شعار (الفرص، والمعوقات، والأدوار المطلوبة) الذي نظمته جمعية فتاة البحرين، وشارك فيه عدد من الشخصيات النسائية والرجالية من كل دول الخليج.

- (مؤتمر تونس) في ١٩٩٩م لدول المغرب العربي.

- (المؤتمر النسائي الأفريقي السادس) في ١٩٩٩م في أديس أبابا، نظمه المركز الأفريقي التابع للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية.

- مؤتمر - شبيه لما سبق- في عمان بالأردن، وفي بيروت، وذلك في أواخر عام ١٩٩٩م نظمته اللجنة الاجتماعية والاقتصادية لغرب آسيا.

ثالثًا: أهم السلبيات التي دعت إليها هٰذه المؤتمرات وهي كما يلي:

١- ما يتعلق بالجانب الأخلاقي والاجتماعي، ومن ذلك:

أ- الدعوة إلىٰ حرية العلاقة الجنسية المحرمة، واعتبار ذلك من حقوق المرأة الأساسية.

ب- توفير خدمات الصحة الجنسية والإنجابية للمرأة.

ج- نشر وسائل منع الحمل ذات النوعية الجيدة، ومنع حالات الحمل غير المرغوب فيه، والدعوة إلىٰ منع حالات الحمل المبكر.

د- الدعوة إلىٰ تحديد النسل.

هـ- الاعتراف بحقوق الزناة والزانيات.

و- الاعتراف بالشذوذ الجنسي.

ز- السماح بأنواع الاقتران الأخرىٰ غير الزواج.

ح- التنفير من الزواج المبكر، وسَنُّ قوانين تمنع حدوث ذلك.

ط- إنهاء تبعية المرأة والبنت من الناحية الاَجتماعية.

ي- سلب قوامة الرجال علىٰ النساء.

ك- سلب ولاية الآباء علىٰ الأبناء.

٢- ما يتعلق بالجانب التعليمي:

أ- تشجيع التعليم المختلط.

ب- الدعوة إلىٰ المساواة في مناهج التعليم.

ج- الدعوة إلىٰ التثقيف والتربية الجنسية.

٣- ما يتعلق بالجانب الصحي، وأهم السلبيات في هٰذا الجانب:

أ- الأمراض الجنسية، ومن ذلك:

- الدعوة إلىٰ أن يكون السلوك الجنسي المأمون، والوقاية من الأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي جزءًا لا يتجزأ من خدمات الصحة الجنسية والإنجابية، مع ضمان السرية والخصوصية للمراهقين والمراهقات فيما يتعلق بهٰذا الجانب.

- تيسير اَنتشار وتوزيع الواقيات الذكرية (الرفالات) بين الذكور علىٰ نطاق واسع وبأسعار زهيدة.

- القضاء علىٰ التمييز ضد الأشخاص المصابين بالإيدز.

- ضمان عدم تعرض المصابات بالإيدز للنبذ والتمييز بما في ذلك أثناء السفر.

- تقديم ما يلزم من الرعاية والتعاطف للرجال والنساء المصابين بالإيدز.

- الاَعتراف بهٰذه العلاقات الجنسية المحرمة، والتي تسبب هٰذه الأمراض الجنسية.

ب- الإجهاض، ومن ذلك:

- الدعوة إلىٰ يكون الإجهاض غير مخالف للقانون، وأن يكون مأمونًا طبيًا.

- الدعوة إلىٰ إلغاء القوانين التي تنص علىٰ اَتخاذ إجراءات عقابية ضد

المرأة التي تجري إجهاضًا غير قانوني.

- الدعوة إلىٰ أن يكون الإجهاض حقًّا من حقوق المرأة، وتيسير حصولها علىٰ هٰذا الحق، عندما تريد إنهاء حملها.

- الدعوة إلىٰ إنشاء مستشفيات خاصة للإجهاض.

- الدعوة إلىٰ قتل الأجنة داخل الأرحام، بحجة أنه غير مرغوب فيه.

ج- ختان المرأة، ومن ذلك:

- حث الحكومات علىٰ حظر بتر أجزاء من الأعضاء التناسلية للإناث.

- أن يكون التنفير الفعال من الممارسات الضارة- مثل بتر أجزاء من الأعضاء التناسلية للأنثىٰ جزءًا لا يتجزأ من برامج الرعاية الصحية الأولية.

- أن إزالة أجزاء من الأعضاء التناسلية للإناث يشكل ٱنتهاكًا للحقوق الأساسية للمرأة، ويعتبر من العنف والتمييز الواقع عليها.

- تضخيم الآثار السلبية الطبية، من جراء عملية ختان المرأة.

- سن وإنفاذ قوانين لمواجهة مرتكبي ممارسات العنف ضد المرأة، ومنها ختان الإناث.

٤- ما يتعلق بالجانب الٱقتصادي، ومن ذلك:

أ- التقليل من عمل المرأة داخل المنزل، واعتبار ذلك عملًا ليس له مقابل، ومن ثم فهو من أسباب فقر المرأة.

ب- الدعوة إلىٰ خروج المرأة للعمل المختلط.

ج- الدعوة إلىٰ مساواة المرأة بالرجل فيما يتعلق بالعمل (نوعية العمل ووقته).

د- دعوة الحكومات للقيام بإصلاحات تشريعية وإدارية لتمكين المرأة من الحصول الكامل علىٰ الموارد الٱقتصادية، كحقها في الميراث بالتساوي مع الرجل.

هـ- تيسير حصول المرأة علىٰ الٱئتمانات (القروض الربوية).

٥- ما يتعلق بالجانب السياسي، ومن ذلك:

أ- دعوة الحكومات والمنظمات لاتخاذ إجراءات من أجل مشاركة المرأة في الأنشطة السياسية.

ب- ضمان حق التصويت للمرأة، وحقها في الأنتخاب.

ج- تشجيع الأحزاب السياسية علىٰ تعيين مرشحات من النساء من أجل أنتخابهن علىٰ قدم المساواة مع الرجل.

د- الدعوة لإصدار تعليمات حكومية خاصة؛ لتحقيق تمثيل منصف للمرأة في مختلف فروع الحكومة.

هـ- الدعوة لتمثيل المرأة تمثيلًا منصفًا علىٰ جميع المستويات العليا في الوفود، كوفود الهيئات والمؤتمرات واللجان الدولية التي تعالج المسائل السياسية والقانونية ونزع السلاح، وغيرها من المسائل المماثلة.

و- حق المرأة في أن تكون رئيسة دولة، أو رئيسة وزراء، أو وزيرة.

رابعًا: أهم جوانب الخطورة في هٰذه المؤتمرات، وهي:

أ- أن القاسم المشترك بينها هو المرأة، ومساواتها التامة بالرجل في كافة مجالات الحياة المختلفة، وكذلك الجنس، والحرية المطلقة.

ب- أنها تستظل بمظلة الأمم المتحدة، وتستثمر شعارات العولمة وأدبياتها.

ج- أنها توظف سلطان الدول الكبرىٰ سياسيًّا واقتصاديًّا وحضاريًّا لفرض تنفيذ توصياتها.

د- أن الهدف النهائي لها هو: عولمة الحياة الأجتماعية بالمفهوم الغربي الإباحي(١).

---

(١) مجلة «البيان» السنة: السادسة عشرة، العدد: ١٧٠.

دور العلمانية في نشر الإباحية

الإباحية أصل الأسرة الإنسانية في نظر العلمانيين[(١)]:

في القرنين الأخيرين من العصر الحديث الذي نعيش فيه، ظهرت فلسفات غربية متعددة، توجهت في جملتها نحو القول بفرضية التطور، وقد حاولت تلك الفلسفات، إسقاط هٰذِه الفرضية التطورية علىٰ كل شئ، فظهرت فرضية التطور الكوني علىٰ يد إسحق نيوتن، ولابلاس، كما ظهرت فرضية التطور العضوي علىٰ يد لامارك، ودارون، كما ظهرت فرضية التطور الاجتماعي علىٰ يد هوبز، ودور كايم، كما ظهرت فرضية التطور الأسري علي يد سبنسر، وأرنست جروس، والأنثروبولوجي «باخوفن».

ويهمنا من ذلك، أن نسلط الضوء علىٰ فرضية التطور الأسري حيث يزعم سبنسر، وأرنست جروس، باخوفن، وإنجلز وغيرهم: أن الأسرة الإنسانية لم تبدأ بالزواج الذي عليه الناس اليوم، وأن الاتصال الجنسي بين الرجال والنساء بدأ بالشيوعية والإباحية المطلقة، ثم ترقىٰ إلى الأسرة الفردانية، والاختصاص الزوجي.

ويتدرجون بالزواج من مرحلة الأسرة، إلىٰ أسرة الأمومة، ثم أسرة الجيل أو القبيلة، ثم أسرة العشيرة، ثم الأسرة الزوجية الحديثة، التي نشهدها أو نشاهدها اليوم، فنوضح هٰذِه الأسر بإيجاز على النحو التالي:

أولًا: الأسرة البدائية:

يقول العلمانيون: إن الأسرة الإنسانية كانت في أطوارها الأولىٰ، أشبه بالأسرة الحيوانية إلىٰ حد ما، بل ترقت عنها، ويرىٰ جوهان جاكوب، ولويس

---

(١) مجلة «الشريعة والدراسات الإسلامية» السنة التاسعة العدد الرابع والعشرون ص١٦٨-٢٠٧، بتصرف، للدكتور/ رجب سعيد شهوان.

مورجان، أن العلاقات الجنسية كانت في هٰذِه المرحلة مشاعًا بين بني الإنسان، وكان الوصال الجنسي يتم بين الرجال والنساء بلا قيد، وكان التكاثر يجري بصورة عشوائية، وكان الرجال يحيون حياة تعدد الزوجات، والزوجات يعشن حياة تعدد الأزواج، ولم يكن هنالك حائل يعوق دون زواج الأب من بنته، والولد من أمه، والأخوة من الأخوات.

وفي هٰذِه المرحلة بالذات كان الآباء والأمهات مجهولين، ومع هٰذا فقد كان الأبناء -بطبيعة الحال- يتبعون أمهم، حتىٰ مرحلة الفطام، والاستقلال، وفي هٰذِه المرحلة، لم تكن هنالك غيرة على المرأة، فالغيرة عاطفة نشأت في تطور متأخر، كذلك لم تكن المحارم قد ظهرت، وإنما هي آختراع ثمين نشأ فيما بعد أيضًا.

يقول فريفيل: «لا تشكل الأسرة كيانًا آجتماعيًا خالدًا، ولقد طرأت عليها تبدلات عديدة عبر القرون، ويقول ماركس: (وفي الأزمنة البدائية كانت الأخت هي الزوجة، وكان ذلك يتمشىٰ مع الأخلاق)، ويقول إنجلز: (ولئن كان ثمة أمرٍ أكيد، فهو أن الغيرة عاطفة نشأت في عهد متأخر نسبيًا، وهٰذا يصدق علىٰ مفهوم المحرم».

ثانيًا: أسرة الأمومة:

ثم تطورت الأسرة البدائية من مرحلة السذاجة وضياع الأنساب، إلىٰ مرحلة أرقىٰ، فبينما كان الآباء والأمهات مجهولين في الأسرة البدائية، والنسل ضائعًا، بدأت تعرف الأم في هٰذِه المرحلة، وبدأ الأولاد يعرفون أمهم، ويتبعونها، وينتسبون إليها، بينما الأب مجهول حتى الآن، ولهٰذا تولت الأم في هٰذِه المرحلة من تاريخ الأسرة سلطة القوامة، وبرزت شخصيتها واضحة في سيادة البيت، وإدارة شئون الأولاد، حتىٰ صار الأبناء يرثون من جهتها، وكان النسب يعرف منها، ويلحق بها، لان معرفة الولد غير

ممكنة إلا من جهتها، يقول إنجلز.(في جميع أشكال الجماعية القديمة، لا يعرف من هو والده معرفة أكيده، أما والدته فتعرف معرفة أكيده)، ولهٰذا سميت الأسرة في تلك المرحلة بأسرة الأمومة. وكانت سلطة الخال بطبيعة الحال في هٰذِه الأسرة واضحة.

ثالثًا: أسرة القبيلة:

ثم تطورت أسرة الأمومة بسبب ظهور المجتمع القبلي، إلىٰ أسرة القبيلة ، وفي هٰذِه الأسرة تحولت العلاقات الجنسية من الإباحية المطلقة والانحلال الجنسي العام، إلىٰ حصر ذلك في أبناء القبيلة، مع تنظيم خاص بين الأجيال فيها، ولهٰذا تسمىٰ أسرة الجيل أيضًا؛ لأن تصنيف المجموعات الزوجية فيها كان يجري تبعًا لوحدة الأجيال، فالأجداد والجدات يمثلون الجيل الأول، وهم أزواج وزوجات لبعضهم بعضًا ليس غير، وأولادهم وبناتهم يمثلون الجيل الثاني، وهم أزواج لبعضهم بعضًا، ليس غير، والأحفاد والحفيدات يمثلون الجيل الثالث، وهم أزواج لبعضهم بعضًا، ليس غير، ثم أبناء الأحفاد وحفيداتهم.

يقول أرباب هٰذا التصور: إن المحرم هو الزواج بين جيل السلف وبين جيل الخلف، أي بين عموم أفراد طبقة وطبقة أخرىٰ، أما ممارسة الجنس بين الإخوان والأخوات من كل جيل فهي موجودة، وجائزة، يقول إنجلز:(في هٰذِه المرحلة، تتضمن علاقة الأخ بأخته: أن يمارس أحدهما مع الأخر الوصال الجنسي بصورة طبيعية).

ويقولون: لا يمكن ضبط العلاقات الزوجية بين الأجيال إلا في ظل تحول العلاقات الجنسية من المشاعية المطلقة، إلىٰ دائرة أدنىٰ، هي القبيلة، حيث يعرف فيها كل جيل من أجيال القبيلة،ويجري تصنيف العلاقات الجنسية بحسب تلك المعرفة بين الأجيال.

ويبدو أن سلطة القوامة في هٰذِه الأسرة صارت مختلطة، فأهالي جزائر صندويج يعتبرون الزوجات مشاعًا لقبيلتهم، ويطلقون لفظ العم والخال، والعمة والخالة بمعنىً واحد.

رابعًا: أسرة العشيرة:

ومع ٱستمرار التطور البشري في الاجتماع، تحولت القبيلة إلىٰ نظام أصغر، هو العشيرة، حيث شرعت العشيرة في تقييد الزواج بالتدريج، فبدأت بتحريم زواج الإخوة والأخوات من جهة الأم، ثم حرمت زواج الإخوة والأخوات من جهة الأب.

وفي هٰذِه المرحلة من تطور الأسرة، بدأ الأب يعرف، وتظهر سلطته علىٰ عموم أفراد الأسرة، وأخذت سلطة الأم تختفي، لتحل محلها سلطة شيخ العشيرة، وصار الأولاد ينسبون إلى العشيرة، وأصبح نساء العشيرة وأولادها ملكًا له، يتزوج من نسائها وفق سيادته المطلقة، وظل تعدد الزوجات ساري المفعول فيها.

وهنا يأسىٰ إنجلز على ٱنتقال السلطة للرجال، ويعتبر ذلك خسارة فادحة للمرآة. فيقول) كان القضاء علىٰ حق الأمومة- الهزيمة التاريخية لجنس الإناث؛ لأن الرجل تسلم دفة الأمور، وأصبحت المرأة منحطة المكانة، عبدة لشهوة الرجل، ومجرد أداة لإنتاج الأولاد).

خامسًا: الأسرة الزوجية:

ثم ظهرت الأسرة الزوجية القائمة على ٱختصاص بين رجل وامرأة، والعيش في كنف بيت واحد مستقل، وفي هٰذِه المرحلة ترقت الغيرة، واكتمل نظام المحرمات، وانتظم النسب والميراث، وأعطيت القوامة للرجال، وشئون البيت للنساء.

وقد نشأت هٰذِه الأسرة، نتيجة للانهيار التدريجي في شيوعية العشيرة، والتعقيد المتزايد في محرمات الزواج، والذي أدىٰ بدوره إلىٰ نقص في عدد المشاع من النساء، وتطور الظروف الاَقتصادية، وظهور المصانع، والمدن، والدولة.

يقول إنجلز: (فبينما كان الرجال لا تعوزهم النساء في ظل الأشكال السابقة للأسرة، وكانوا يملكون منهن عددًا فوق الكفاية، إذا بالنساء يصبحن نادرات ومطلوبات، ونتيجة لذلك، بدأ ظهور الزيجة الزوجية)، ويقول: (كانت الثروات كلما اَزدادت، تهب الرجل من جهة أخرىٰ مكانة في الأسرة أهم من مكانة المرأة).

وخلاصة القول في هٰذِه الفلسفة بشقيها المادي والماركسي: أن الاَختصاص الزوجي ليس أصل الأسرة البشرية، وأن نشأته قد جاءت في مرحلة متأخرة من حركة التطور الاَجتماعي البشري، وأن البشرية في مراحلها الأولىٰ، لم تعرف الزواج أو الاَختصاص الجنسي، وأن الزواج تحول من الشيوعية إلى الفردية، ومن الاَنتشار إلى التمركز، ومن التعدد إلى التوحد، ومن الإباحية إلى الأخلاقية، ومن الأسرة العامة إلى الخاصة، وأنه إذا كان الإنسان قمة النشوء والارتقاء العضوي، فإن الأسرة الزوجية قمة النشوء والارتقاء الاَجتماعي.

أدلة العلمانيين على الإباحية ومناقشتها

والأدلة التي ذكرها العلمانيون على الإباحية تتلخص فيما يلي:

أولًا: دراسة تطور الإنسان عبر التاريخ:

لقد ٱعتمد أرباب هٰذِه الفرضية علىٰ مقولة تطورية سابقة، وهي فرضية التطور البيولوجي التي نادىٰ بها لامارك، ثم دارون وآخرون، حيث (قاسوا المجتمعات البشرية على الإنسان كجسد بيولوجي، أفراده خلاياه، يخضع للنشوء والارتقاء، وحتمية الصراع الطبقي؛ لبقاء الأصلح، بقوانين طبيعية).

فكما أن الإنسان بدأ خلية ساذجة، من شرارة كونية، ثم كافح عبر سلسلة طويلة من النشوء والارتقاء من أجل البقاء، والسير نحو الأصلح في تخليق ذاته، وشكله البيولوجي، فكذلك الحال في أخلاقه وسلوكه الجنسي، فقد بدأ ٱتصاله الجنسي بشكل ساذج، يقوم على الشيوع والإباحية، ثم كافح عبر سلسلة طويلة من النشوء والارتقاء، حتىٰ وصل إلىٰ الزواج الفرداني، القائم على الاختصاص بين الزوجين، ليس غير.

ويناقش هٰذا الدليل بأن دراسة أصل الإنسان، وأصل زواجه، وأسرته، وعلاقاته الجنسية عبر التاريخ، لا تقوم على الاستبطان والاسترداد التاريخي، ولا على القوانين الطبيعية في التغيير، ولا على الاستنتاج والتخمين. فالإنسان كائن مكرم ومحترم، يجب أن تقوم دراسة أصوله، وأصول أسرته، علىٰ منهج محترم أيضًا.

والمنهج المحترم في أصل الإنسان هو: المنهج الذي يقوم على السند الصحيح، وعلىٰ مصداقية التلقي، وعلى المصادر الموثوقة في التسجيل والتدوين، أقول علىٰ سند التاريخ، لا فلسفة التاريخ؛ لأن فلسفة التاريخ مجرد وجهات نظر. مهما تسلحت بالأدلة والبراهين العقلية، تبقىٰ وجهات نظر قابلة للخطأ والصواب؛ ولأنها من ثمرات الاسترداد والحدس والاستبطان، ألا ترىٰ أن الفارق الحاسم بين الحقيقة التاريخية، وبين

المنظومة الأسطورية، يتجلىٰ في ضابط واحد هو السند الصحيح.

وإذا درسنا مقولة العلمانيين في أصل الإنسان وأسرته، نجدها من باب فلسفة التاريخ، لا من باب حقائقه؛ لأنها تفتقر إلىٰ سند صحيح، يوصل حال الإنسان المعاصر بالإنسان الماضي، وواقع الأسرة الحاضرة بماضي الأسرة الغابرة، وهٰذا هو الفارق الحاسم بين المسلمين وبين غيرهم في منهج البحث العلمي.

فمنهج البحث العلمي عند المسلمين يقول: (إن كنت ناقلًا فالصحة، وإن كنت مدعيًا فالدليل).

وقضية أصل الإنسان، وأصل علاقاته الجنسية، وأصل تكوينه الأسري، مسألة تاريخية، تقوم على السند الصحيح، والتلقي اليقين، ومنهج العلمانيين يقول: ليس بأيدينا سند في هٰذا الموضوع، وليس أمامنا إلا التكهن والاستنتاج والتخمين، يقول الأستاذ ويلز: (كيف كان الناس يفكرون؟ وفيما كانوا يفكرون في تلك الأيام السحيقة: من الصيد، والتجول، قبل أربعمائة قرن خلت؟ وقبل ٱبتداء الحرث والزراعة؟ تلك أيام تسبق بزمن مديد كل سجل مكتوب يدون الأنطباعات، والأفكار الإنسانية، لذا ليس أمامنا من سبيل إلا أن نركن إلى الأستنتاج والتخمين، دون غيرهما في إجابتنا عن هٰذِه الأسئلة....)، ويعترف إنجلز بنحو ذلك فيقول: (إن أسرة الجيل قد ٱنقرضت، وحتىٰ أخشن الشعوب التي يتحدث عنها التاريخ، لا تمدنا بأمثلة علىٰ هٰذا الشكل يمكن التثبت منها).

ويؤكد الشيخ عبد الله دراز قصور المنهج العلماني وعجزه بقوله: (إن طاقة البشر وطبيعة المخلوق، أعجز من أن تحصي مراحل الأسباب والغايات، وتتابع تسلسلها حلقة حلقة، حتىٰ تشهد بداية العالم ونهايته، وكان قصاراها أن تخطو خطوات معدودة إلى الأمام، وإلى الوراء، تاركة ما بعد ذلك إلىٰ ساحة الغيب الذي يستوي في الوقوف أمامها العلماء والجهلاء).

هٰذا عن سند التاريخ، أما دعوى الأسرة عبر التاريخ بقوانين طبيعية من النشوء والارتقاء، فهي مبنية علىٰ مقولة فاسدة، وهي: أن بداية الٱجتماع الإنساني جاء وليد نهاية الٱجتماعي الحيواني، وأن التطور الٱجتماعي جاء ٱمتدادًا للتطور العضوي، ومعلوم أن فرضية التطور العضوي أصبحت في عداد الفروض الساقطة. يقول «بريك واسمان» في كتابة «البيولوجية الحديثة»: إن البقايا المكتشفة في الحفريات، لا تؤكد-من وجهة نظر علم الوراثة-أية نظرية عن أصل الإنسان»، ويقول البروفسور فيرشو: (إن فكرة القرد الإنسان محض خرافة).

فليس لفرضية التطور الأسري قيمة في صدقها، وهي ٱنتفاخ علمي، مملوء بالأورام الإلحادية، وإنما تقبلها الغرب لأنه مولع بتصديق الأفكار الحرة أو الغريبة أو الشاذة، ولأنها أقرب تفسير للتحلل من فكرة الدين والإله، وفيها تدعيم لطريق الإباحية الجنسية، وهدم الأسرة الإنسانية، وعلىٰ كل حال فسقوط فكرة دارون في التطور العضوي، يعني سقوط فكرة سبنسر في التطور الأسري؛ لأن ما بني علىٰ ساقط فهو ساقط مثله، ولولا خشية الإطالة واللوم في الٱستطراد لناقشت هٰذِه المسألة مناقشة مستفيضة.

وإذا تبين فساد الحدس التاريخي، ونسبية القانون الطبيعي، وفقدان السند التاريخي، وقيام فكرة التطور الأسري، عند العلمانيين على الٱستنتاج والتخمين، وذلك في قضية ضاربة في أعماق الغيب، لا ينبغي التكهن والتخمين فيها؛ ٱحترامًا للإنسان، فلابد من الصيرورة في ذلك إلىٰ سند الوحي، وسجلات الدين الحق، فهي الحكم الفصل في هٰذا الموضوع العضل، وإليها يصار في بيان حقيقة فجر التاريخ الإنساني، والزواج الأسري الأول.

والقرآن الكريم هو ناموس الدين الحق وقاموسه؛ لأنه السجل الوحيد الذي نجا من التحريف والتخريف، قال تعالىٰ في وصف النصارىٰ

واليهود: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾، ولأنه الكتاب الذي تكفل الله بحفظه، مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾. وقوله تعالي: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾، فهو بحق وصدق المصدر الأول والأخير في تحقيق أصل الإنسان، وفي تحقيق أصل زواجه وتكوينه الأسري، فقد قصَّ علينا النشأة الأولىٰ للإنسان، كما أوضح لنا أصول النشأة الأولىٰ للأسرة الإنسانية، بين آدم وحواء، وبين أبنائه وبناته، وأنها قامت علىٰ قانون الزواج الشرعي، لا على الهيلمان الإباحي، وأن التكاثر البشري قام في جملته على الزواج الشريف، وبناءً عليه فإن ما وجد ويوجد في تاريخ البشرية من إباحية، هو درب من دروب الاستثناء، وغفلة الناس في غياب النبوات.

ثانيًا: دراسة القبائل الإنسانية البدائية:.

واعتمدوا أيضًا علىٰ دراسة القبائل البدائية، التي دلَّت علىٰ وجود ظاهرة الشيوعية الجنسية، وعلىٰ ظاهرة نكاح المحارم بين الأبناء والأمهات، وبين الإخوة والأخوات، وعلىٰ ظاهرة الزواج المشترك.

فقد ادعوا وجود الشيوعية النسائية في (كاليفورنيا، والبيرو، وبعض سكان أمريكا الجنوبية والوسطىٰ، وبين جماعة الكلان، وقد تسلطت الاشتراكية في النساء على اليونانيين في عهد جيكرويز، مؤسس أثينا قبل الميلاد، فلا يعرف فيهم والد ولده، ولا ولد والده وذكر سقراط أن النساء كن مشاعًا للحكام -هن وبناتهن- في ذلك الزمن، وكانت جماعة الكرمنة تتعاطىٰ نكاح المشاركة، فليس لأحدهم امرأة معينة، وكانت الاشتراكية في النساء شائعة في البلاد الصينية والتبت، منذ عهد المشرع جوجيه، قبل الميلاد، ويروي هيرودتس أخبارًا تدل علىٰ أن الرجال والنساء من الشعوب الأفريقية كانت تتزاوج وتتناكح دون تمييز، كالأنعام، وكانت قبائل النائر بالهند تتعامل بنكاح المشاركة، وقد عرفت شيوعية النساء عند بعض الأمم البدائية. مثل

قبيلة الأنسارنيس، وزنوج اللونيد، وسكان جزائر البيلان، وغيرها).

وأما ظاهرة نكاح المحارم (فقد ذكر بعض آباء الكنيسة: مثل«ترقليانوس»، و «اكلمندس الإسكندري»، و«كيرللس»: أن أهل مادي وفارس، كانوا يتزوجون أمهاتهم وأخواتهم،وأن كمبيس أول من تزوج بأختيه، من أهل فارس، وذكر القديس «ايرونيموس»: أن الماديين، والهنود، والفرس، والأحابيش، يتزوجون بأخواتهم، وأمهاتهم، وبناتهم، وقال«بطليموس»: إن أكثر سكان الهند، ومادي، وفارس، وبابل، وآشور، يتزوجون أخواتهم وأمهاتهم، وقال«استرابون»: إن الصقالبة لا يحرمون على الرجل ٱمرأة من النساء، فيزوجونه أمه وأخته، وقال«يستنيانوس»: إن الفنيقيين كانوا يتزوجون بأخواتهم، وأن الأخ بوادي النيل كان يتزوج أخته أيام البطالمة، وقد تزوجت الملكة كليوباترة بأخويها، وتزوج رمسيس الثاني ابنتيه، وتزوج بطليموس الثاني(فيلادلفس)-أحد الملوك المصريين القدماء- أخته أبروزي، وكان المجوس يتزوجون بناتهم. ومن عادة أهل جزيرة سيلان: أن الأخوات يتزوجن الإخوة وأن الإخوة يتزوجن الأخوات.

وأما ظاهرة الزواج المشترك فقد ذكروا: أن البريطانيين القدماء كانوا يشتركون كل عشرة رجال في زواج ٱمرأة واحدة، وكان أكثر ٱشتراكهم بين الإخوة، وفي قبيلة التودة بجنوب الهند إذا تزوج الرجل بفتاة صارت زوجة له ولكل إخوته البالغين، وصارت أخواتها زوجات له ولإخوته عندما يبلغن، والولد الأول يحسب للزوج الأول والثاني للثاني، وهلم جرا.

وكانت هٰذِه العادة جارية عند بعض الأحابيش، المقيمين علىٰ شواطئ البحر الأحمر، فالنسوة عندهم مشتركة، يجامعوهن من غير أن يقيموا معًا في بيت واحد، ومتىٰ كبر الأولاد في بيوت أمهاتهم، يجتمع الرجال، ويعطىٰ لكل منهم من شابهه من الأولاد، فيتبناه ويجعله وريثًا له.

وكان سكان جزيرة الملكة شارلوت لا يعرفون سنة الزواج، فكل ٱمرأة

من نسائهم تعد كل رجل من قبيلتها زوجًا لها، ولكنها لا تعتبر الأجانب هٰذا الآعتبار.

وكانت نساء الليبورنين مشتركة بينهم، وهم يربون أولادهم في بيت واحد، حتى السنة الخامسة. وفي السنة السادسة يجمعونهم، ويقابلونهم مع رجال قبيلتهم، ثم يسلمون كل ولد لمن شابهه من الرجال، فيتبناه ويعتني به، وكانت قبائل جنوب أسترالية الأصليين مقسومة إلىٰ فرقتين، فكل رجل من الفرقة الأولىٰ، زوج لكل آمرأة من الفرقة الثانية، وكل رجل من الفرقة الثانية، زوج لكل آمرأة من الفرقة الأولي، أما قبيلة الكاميلة الأسترالية فكانت مقسومة إلىٰ أربع عشائر، وكل رجل من العشيرة الأولىٰ، يعد نفسه زوجًا لكل آمرأة من العشيرة الثانية، وكل رجل من العشيرة الثانية، يعتبر زوجًا لكل آمرأة من العشيرة الأولىٰ، وهكذا الحال في العشيرة الثالثة والرابعة.

فهٰذِه الأمثلة تدل علىٰ أن الأسرة الإنسانية لم تبدأ بالزواج الشرعي الفرداني القائم على الآختصاص الزوجي، وإنما بدأت بالشيوعية الجنسية، ونكاح المحارم، ثم الزواج المشترك في نظام القبيلة والعشيرة، قبل أن يصل إلى الزواج الفرداني، الذي نشاهده اليوم.

ونوقش ذلك بأن الأدلة التي سبقت في الدلالة علىٰ إثبات الشيوعية الجنسية عند بعض الجماعات الإنسانية، معارضة بأدلة أخرىٰ، تثبت خلاف ذلك، فعلىٰ سبيل المثال: (هنالك بعض الشعوب البدائية كانت تصدر أحكامًا صارمة وقاسية جدًّا، علىٰ كل من تزوج من أمه أو أخته أو عمته، وأن الصينيين كانوا يعاقبون بالموت علىٰ كل من يطأ أمه أو أخته أو عمته، بل كان بعض الصينيين يحرمون الزواج من أقارب العائلة نفسها، ويجلدون المخالف في ذلك ستين جلدة، وكانت تنص تعاليم التشريع في الشعوب الآرية: علىٰ أن العلاقات الجنسية التي يمارسها رجل مع أمه أو ابنته أو كنته تعد جرمًا عظيمًا، من الدرجة الأولىٰ، لا يكفر عنه إلا بإلقاء فاعله في النار المستعرة،

وكذلك الحال بالنسبة لأسرة القبيلة.

فالتصورات التي قدمت علىٰ أن الأسرة الزوجية تطورت من أسرة القبيلة، معارضة بتصورات أخرىٰ تقول: إن الأسرة الزوجية تزامنت مع أسرة القبيلة. تقول إحدى المتخصصات: (ويجب أن نحذر من الآنزلاق في الاعتقاد بأن الشعوب القديمة والمختلفة، لم تعرف سوىٰ الأشكال الكبيرة من الأسرة الممتدة، أو المشتركة، من القبيلة أو العشيرة. ذلك أن الشواهد التاريخية، والاعتبارات المنطقية، تحملنا على الاعتقاد بأن تلك المجتمعات كانت تعرف -إلىٰ جانب الأشكال الكبيرة- نسبه عالية من الأسرة الصغيرة، التي تقوم في الأساس على الزوجين. وأولادهما المباشرين).

وإذا سلمنا بوجود الظاهرتين المتقابلتين في المجتمعات البشرية: ظاهرة الزواج، وظاهرة الإباحية، وظاهرة أسرة العشيرة، وظاهرة الأسرة الصغيرة، فلا يدل هٰذا على الشيوعية والإباحية. (وذلك؛ لأن الشعب لا يعد سائرًا علىٰ نظام المشاعية المطلقة، إلا إذا لم يكن فيه زواج عفيف، وعلىٰ هٰذا فوجود البغاء، بجانب الزواج، يعني عدم جواز وصف المجتمع بالمشاعية الجنسية، وإذا وجدت الإباحية الجنسية بين غير المتزوجين من الرجال والنساء، في بعض الشعوب البدائية، أو وجد نظام بغاء تقره بعض الشعائر أو التقاليد- بجانب الزواج- فإن هٰذا الآنحراف لا يهز القاعدة الأصلية، وهي الاختصاص الزوجي).

لقد ساق ابن الكلبي في كتابه«المثالب» أسامي صواحبات الرايات في الجاهلية، فسمي منهن أكثر من عشر نسوة مشهورات من البغايا، كن ينصبن علي أبوابهن رايات يعرفن بهن، فمن أراد دخل عليهن، وروت عائشة رضي الله عنها أربعة أضرب من نكاح الجاهلية وهي: نكاح الناس اليوم، ونكاح الاستبضاع، ونكاح الرهط، ونكاح البغايا.

فوجود أنكحة البغايا، والاستبضاع، والرهط، في المجتمع الجاهلي،

إلىٰ جانب النكاح الصحيح، لا يعني أن قريشًا كانت تعيش في إباحية جنسية مطلقة، ولا تهز هٰذِه الأنكحة القاعدة الأساسية في زواج العرب قبل الإسلام، وهي: النكاح، لا السفاح؛ لأن هٰذِه الأنكحة تظل من باب الاستثناء، والعادات الشاذة، لا من باب النظام العام.

وعلىٰ هٰذا فوقوف بعض الكشافة التاريخية، والبحاثة الاجتماعيين علىٰ قبائل إنسانية تمارس الشيوع الجنسي، درب من دروب الندرة والاستثناء، لا يهز قاعدة الزواج الصحيح، لأن المثل الفردي لا يصلح قانونًا اجتماعيًا، ولا علميًا، والحقائق والقوانين والنظريات تتكرر بالكثرة والاطراد، لا بالاستثناء والانفراد.

علىٰ أن هناك دراسات وآراء تنفي الشيوعية الجنسية، كأساس عام في تاريخ الحياة البشرية،وأن أدنىٰ القبائل الإنسانية سذاجة قامت على الاختصاص الجنسي، لا على الشيوع والإباحية، يقول أحد الباحثين: (إن نظام الشيوعية المطلقة لم نعثر علية في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، سواء في ذلك البدائي منها والمتحضر، فليس من بين المجتمعات الحاضرة والغابرة، التي وقفنا علىٰ نظمها عن طريق ملاحظتها، أو ملاحظة ما خلفته من آثار، أو عن طريق ما كتبه المؤرخون أو الرحالة، أو علماء الأنثوجرافيا، أو القانون.. ليس من بين هٰذِه، أي مجتمع أخذ بنظام الشيوعية المطلقة في علاقة الرجال بالنساء، فكان جميع نسائه حقًا مشاعًا لجميع رجاله).

ويقول الإمام الفخر الرازي: (اعلم أن حرمة الأمهات والبنات-يعني على الآباء والأبناء-ثابتة من زمن آدم ﷺ إلىٰ هٰذا الزمان، ولم يثبت حل نكاحهن في شيءٍ من الأديان السماوية، بل إن زردشت رسول المجوس قال بحله، إلا أن أكثر المسلمين اتفقوا علىٰ أنه كان كذابًا، أما نكاح الأخوات فقد نقل أن ذلك كان مباحًا في زمن آدم ﷺ لأولاده، وإنما حكم الله تعالىٰ بإباحته علىٰ سبيل الضرورة).

ومن الإشكالات الواردة علىٰ دراسات الشعوب البدائية، أن أصحابها ٱنطلقوا من مسلمات خاطئة، فقد ٱفترضوا أن الإباحية الجنسية التي عليها تلك الشعوب هي بدايتهم الحضارية، والحق أن وقوف بعض البحاثة من التاريخيين والاجتماعيين علىٰ أحوال بعض القبائل التي تمارس الجنس بصورة عشوائية، لا يلزم منه أن تكون أصولها الأولىٰ كذلك، (فقد أثبت كثير من المؤرخين أن فترات التقهقر والركود والانحطاط لكثير من الأمم قد سبقت بمدنيات زاهرة وكذلك العكس)، فاليمن علىٰ سبيل المثال لو درست واقعيًا لدلت علىٰ أنها دولة نامية، مع أنها في زمن معين، وسد مأرب، كانت أم الحضارات العربية، ورغد العيش في الزراعة والتجارة. بينما لو درست أمريكا واقعيًا لدلت علىٰ أنها أكبر دولة تتربع علىٰ عرش الحضارة المادية الحديثة، مع أنها في الماضي أرض موات، تقطنها جماعات من الهنود الحمر المتخلفة، وكم من بلد كانت في الماضي قمة التنسك، وهي اليوم قمة التهتك، وكم من بلد على العكس من ذلك.

ولو جعلنا واقع الشعوب الذي يقرره الباحثون والكشفيون هو المقياس، وجعلنا هٰذا الواقع مرآة تعكس أصول حضارات الشعوب، فمعناه أن الشعوب الغربية التي تمارس الإباحية الجنسية في قرنها العشرين، تعتبر في عداد القبائل البدائية التي لم تعرف قط في تاريخها الماضي، معنىٰ العفة والزواج الصحيح، وهٰذا منطق يرفضه البحاثة الغربيون في حق أنفسهم وشعوبهم، فأولىٰ بهم ألا يعمموه علىٰ غيرهم من الجماعات الإنسانية.

وهٰذا إن دل علىٰ شيء فإنما يدل علىٰ أن ما يقع عليه علماء الأجناس والتاريخ والاجتماع من إباحية في بعض أحوال الشعوب، ليس إلا حلقات خاصة من التاريخ، تستطيع أن تفسر البيئة التي وجدت فيها، دون غيرها من البيئات، ولا يجوز تعميمها على الجماعات الإنسانية كلها، أو التاريخ البشري كله.

ومن المسلمات الخاطئة، أنهم اَفترضوا أن الغيرة نشأت عند الإنسان في فترة متأخرة، ومعنىٰ كلامهم أن الغيرة كانت معدومة في الإنسان، ثم وجدت، وترقت فيه بصورة تطورية، فقد كان في حياته البدائية الساذجة فاقدًا الغيرة على المرأة، وفي أسرة القبيلة أو الجيل وجدت الغيرة، ثم تنامت فيما بعد بين الرجل وزوجته، حتىٰ وصلت إلىٰ ما هي عليه من الخصوصية الزوجية، أي إن قانون النشوء والارتقاء عمل علىٰ إيجاد الغيرة وتطورها طردًا نحو الأفضل ولكن شواهد الحس والخبرة علىٰ خلاف ذلك، فالغيرة عند القبائل البدائية حادة وعنيفة، وقد تؤدي في كثير من الأحيان إلىٰ قتل المرأة العاشقة وعشيقها، والبدوي القابع في الصحراء أشد الناس غيرة على العرض، وعند اَفتراض الخطأ فيه، يريق علىٰ جوانبه الدم، فإذا ما ترك باديته واستقر في القرىٰ والأرياف خفت غيرته عن البادية، فإذا ما ترك الأرياف واستقر بالمدينة خفت غيرته عما كانت عليه في البادية والريف أضعافًا مضاعفة، وهٰذا يعني أن قانون النشوء والاَرتقاء عمل على العكس، لا على الطرد في إيجاد الغيرة وتكوينها.

علىٰ أن هنالك ما يثبت أن قانون الغيرة جبلّة في خلق الإنسان وطبيعته منذ ساعة خلقه وتكوينه، فيحدثنا القرآن الكريم عن قصة صراع الأخوين : قابيل وهابيل على أختهما، والتي اَنتهت بقتل أحدهما للأخر قال تعالي: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾، ولو بدأ الزواج شيوعية أو مشتركة بين الأخوة كما يقولون، لتزوجها الأخوان معًا، وانتهي الإشكال بلا سفك دماء، وإنما نصب الله تعالي هٰذا الخبر في القرآن الكريم، لتبقىٰ الغيرة أكبر عائق في تقبل العقل البشري لفرضية التطور الأسري، وقيام العلاقات الأسرية في البداية على الإباحية الجنسية.

ومن الإشكالات الواردة علىٰ دراسة الشعوب البدائية: عدم الأمانة في طريق البحث العلمي، وعدم المصداقية في نتائجه، فبعض الباحثين

الاْجتماعيين يفترضون النتائج المسبقة في أذهانهم، ويتحمسون لها، ثم يعمدون إلى اْختيار قطاعات بشرية خاصة، تتوافق مع أهوائهم، ثم يقومون بتعميمها علىٰ سائر الأجناس البشرية، باسم البحث العلمي، والمنهج التجريبي، والموضوعية.

وهٰذِه شهادة شاهد من أهلهم علىٰ ذلك. يقول العالم الأمريكي (هيلبرونز): إن كل عالم اْجتماعي لا يمارس موضوع تحليله إلا من خلال رغبة في نفسه-ظاهرة أو مستترة-ويحاول العالم الاْجتماعي اْنتقاء البيانات التي تتوافق مع وجهة نظره المسبقة؛ لاستخلاصها-للإثبات.

إن الاْدعاء بالحياد الكامل هو نوع من النفاق، وعلىٰ هٰذا ينبغي للعالم الاْجتماعي أن يعلن عن اْنتماءاته، وتفضيله نظامًا اْجتماعيًا على الآخر، شريطة أن يكون هٰذا واضحًا ظاهرًا، لا مستترًا مخبوءًا.

ونضيف إلىٰ هٰذِه الشهادة، شهادة ثانية: تؤكد علىٰ أن الدراسات الإنسانية في الغرب أخذت توجه عن قصد ضد الدين، وضد حقائقه الثابتة، وأصبح العالم الموضوعي» هو الذي يقدم فكرة ضد الدين والإله، ويدعم العلوم والتجارب التي تناقض الأفكار الدينية.

تقول الكاتبة الأمريكية المهدية مريم جميلة: (إن ما يسمىٰ بالعقل، برعاية المدنية الغربية، يجب دائمًا أن يحرض ضد الوحي، وليس بجانبه أبدًا، وبالتالي فإن ما يسمىٰ بالبحث العقلي والعلمي يسمح له أن يتقدم في اْتجاه واحد، وهو طريق المادية).

وهٰذِه شهادة ثالثة تؤكد هٰذِه الوجهة العلمانية في البحث العلمي الاْجتماعي في العصر الحديث.

يقول العالمان (ماكس راينشتاين)، (وفولوفرام موللر):.

«من المؤكد في جميع الأحوال أن هناك عنصرًا أساسيًا لم يتراجع ولم ينتكس، ذلك هو إضفاء الطابع العلماني علىٰ شئون الأسرة وقضاياها،

وسيطرة الحكومات الجديدة على القواعد المنظمة لحياة تلك الأسرة».

ونحن لا نقصد من وراء هٰذِه الأقوال معاداة البحث العلمي واستفزازه، وإنما نهدف إلىٰ تنقيته من الزيف والتزوير والحتمية، وذلك باعتقادنا أن ميدان العلم التجريبي ينطبق على الطبيعة الجامدة غير الناطقة، لا على الطبيعة المدركة؛ لأن الأولىٰ محايدة. أما الثانية فتعبث في الحياد. وأنه إذا كانت التجارب في العلوم البحتة قطعية، فإنها في العلوم الاجتماعية نسبية.

وأخيرًا نقول: إذا كان العقل يجيز الاستدلال بالمعقول على المجهول، فإن ما بأيدينا من تراث تاريخي مكتوب للبابليين والآشوريين والكنعانيين والفينيقيين والهكسوس والفراعنة، ينقض ما قاله البحاثة الاجتماعيون العلمانيون، ويؤكد ما قاله القرآن الكريم: من أن البشرية بدأت حياتها الأسرية بالزواج العفيف.

ثالثًا: دراسة أسرة الأمومة:

وادعي أرباب هٰذِه الفرضية: أنهم لحظوا في دراساتهم للشعوب البدائية، أن المواليد في البداية، كانوا يجهلون آباءهم وأمهاتهم، ثم تطورت المسألة بالنشوء والارتقاء نحو الأفضل، فبدأت الأم تعرف أبناءها، والأبناء يعرفونها ويتبعونها، وينتسبون إليها، فبدأت تظهر سلطة الأم وقوامتها على الأسرة في هٰذِه المرحلة.

وقد أستقيت فكرة أسرة الأمومة، التي يسود فيها نظام سيادة الأم على الأبناء، من المؤرخ الأغريقي «هيرودوت» الذي أشار إلىٰ أن أبناء قبائل «اللايكرن» كانوا يرثون أسماءهم عن أمهاتهم، ثم جاء «لافيتو» أحد رجال الدين الجزويت، الفرنسيين، فنشر بحثًا عن الهنود الحمر بالأمريكيتين سنة ١٧٢٤ محاولًا فيه إثبات نظام الأمومة عندهم، ثم جاء الأنثروبولوجي «باخوفن»، فألف كتابه «حق الأم» قرر فيه سيادة الأم في نظام الأسرة القديم، وأعلن ذلك نظرية له سنة ١٨٦١م. وقد أثبت روبوتسون

سميث في كتابه«القرابة والزواج في بلاد العرب» نظام أسرة الأمومة عند العرب، كذلك أثبت أبخرت في كتابه «نظام الزواج والأسرة عند العبرانيين»، كما كشف بعض الباحثين عن وجود هٰذا النظام عند جماعة المينوية بجزيرة كريت، وعند التروسكيين، وعند الكلتيين، وأبناء إقليم الباسك، شمال فرنسا، وعند سكان جزر التروبرناند، وعند قبائل الأفيكيو، وعند بعض الشعوب الإفريقية، الواقعة جنوب الصحراء الكبرىٰ، كذلك وجدوا هٰذا النظام عند شعب «النايار»، الذي يعيش علىٰ ساحل المالايار، حيث عرف نظام تعدد الأزواج، والانتساب للأم، وظهور سلطة الخال.

ونوقش ذلك بأن دراسة أسرة الأمومة، ومحاولة إثبات سيادة الأم وسلطتها عليها عند بعض الشعوب والقبائل القديمة، فالدراسات فيها متناقضة، فقد عارض علماء آخرون القول بأسرة الأمومة، وأثبتوا أن نظام الأبوة السائد بين أكثر شعوب العالم، فهو السائد بين الصينيين القدماء، و اليابانيين القدماء، والهندوس والعبريين القدامىٰ، والجرمان أسلاف الألمان، والإغريق والرومان، و السلافيين، والعرب القدماء، وعند شعوب التابالا والباجندا وغيرهم من الشعوب الأفريقية.

وعلىٰ فرض وجود أسرة الأمومة عند بعض القبائل و الشعوب، فلا يلزم من ذلك سيادة الأم وسلطتها في الأسرة، فقد أثبت «أوبلر»في دراسته لإحدى القبائل التي تأخذ بنظام الأنتساب للأم من الهنود الحمر: (إن الزوج الذي يكتشف خيانة زوجته له، ولا يبدي مشاعر الحقد والانتقام منها، يعتبر زوجًا عديم الرجولة)، كما لاحظ بعض الباحثين في مجتمعات الأمومة، أن الرجال هم أصحاب السلطة، وهم الذين يشغلون مواقع المسئولية في الأسرة، وكل ما في الأمر، أنه في نظام الأمومة يكون النسب من جهة الأم، وتظهر سلطة الخال في توجيه الأبناء، وهٰذا يعني أن وجود نظام أسرة الأمومة عند بعض الشعوب لا يغير من طبيعة نظامها الداخلي، وسيادة الأب فيها.

ومما يؤكد ٱنفكاك مسألة النسب عن مسألة السلطة: أن المرأة كانت تنسب في الغرب إلىٰ أبيها قبل الزواج وبعده، ثم أصبحت تنسب في العصر الحديث إلىٰ زوجها بعد الزواج، ثم بدأت تطالب بحقها في الٱحتفاظ بنسبها الخاص، مستقلًا عن الزوج، ومع هٰذا لم تتغير السيادة في الأسرة بتغير النسب، بل ظلت قوامة الأسرة في يد الزوج، وهٰذا يدل علىٰ أن مسألة النسب شئ، ومسألة القوامة شئ آخر.

وقد حاول «باخوفن» إثبات نظام الأمومة، وأنه يقوم علىٰ نظام متميز عن نظام الأبوة؛ ليصل إلىٰ تقرير سيادة الأم وسلطتها، ولٰكن دراسته عورضت بدراسات أخرىٰ، فقد لاحظ كل من (بيلز) و(هويجر) في كتابهما «مقدمة في الأنثرولوجيا العامة»: أن العشائر التي تقوم علىٰ نظام الٱنتساب للأم، تشبه إلىٰ حد كبير، العشائر التي تقوم علىٰ نظام الٱنتساب للأب، وأن شكلي العشائر متشابهان في البناء، وفي الوظيفة، وأنهما لا يختلفان إلا من حيث جهة النسب، وقد نوقش سبب هٰذا الٱختلاف بإفاضة، دون أن ينتهي النقاش إلىٰ نتيجة مقنعة، بل أدت كثرة الأراء إلىٰ تشويش الموضوع، بدلًا من تجليته).

ومن الٱعتراضات الواردة علىٰ أسرة الأمومة: ٱنطلاق أصحابها من مسلمات نسبية، أو خاطئة. فقد ٱفترضوا أن أسرة الأمومة هي أصل حياة تلك القبائل، وبداياتهم الحضارية، مع أن الشواهد المتاحة أوضحت أن النظام الأمومي قد يسبق في بعض المجتمعات بالنظام الأبوي في حين أن النظام الأبوي يكون في مجتمعات أخرىٰ هو الأسبق.

ومن تلك المسلمات النسبية، أو الخاطئة أيضًا: الٱستدلال بالنظام الأمي على المشاعية الجنسية، مع أنه لا تلازم بينهما فقد لاحظ الباحثون في العشائر الأسترالية التي تسير على النظام الأمي، أنه لا يوجد فيها أي أثر للشيوعية الجنسية، أو صعوبة تعيين الأب.

وعلىٰ هٰذا فيمكن القول: إنه لا نظام الأمومة دليل على الإباحية الجنسية، ولا نظام الأبوة دليل على العفة الجنسية؛ لأن الإباحية أو العفة، مسألة نسبية، فقد تتولىٰ سلطة الأسرة آمرأة وتكون أعف وأطهر نساء العالمين، كمريم ابنة عمران، التي أحصنت فرجها، وقد يتولى الرجل سلطة الأسرة، وتقع الخيانة الزوجية في أسرته، وأيضًا لا نظام الأبوة دليل علىٰ ضياع نسب الأم، ولا نظام الأمومة دليل علىٰ ضياع نسب الأب، ففي كلا النظامين يمكن التعرف علىٰ أقرباء الأم أو الأب بسهولة.

أما أسىٰ إنجلز وحزنه علىٰ ذهاب أسرة الأمومة، وانتقال السلطة للرجال، واعتبار ذلك خسارة فادحة، للمرأة، وانحطاطًا لها، فعلىٰ فرض التسليم له بذلك، فلماذا لا يكون العكس مأساة وحزنًا كذلك؟ ولماذا لا يكون بقاء السلطة في يد المرأة خسارة فادحة وانحطاطا ومهانة للرجل؟ فيصير هو الآخر عبدًا لشهوة المرأة، وخادمًا لها ولأولادها؟

ونحن نضع هٰذِه الأعتراضات من باب الرد على الخصوم، وإلا فالمسألة في الإسلام لا تطرح من خلال الصراع والنقيض بين الزوج والزوجة، وإنما من باب الحب والتكميل، فكل من الزوجين سكن نفسي للآخر، قال تعالي: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾، وكل منهما يكمل الآخر، وهما شريكا حياة، كل منهما يعمل علي شاكلته، لتحقيق السعادة المشتركة بينهما، بوصف الشريعة المقدسة.

وأعتقد-متواضعًا- أن الفخر بأسرة الأمومة خديعة منكرة؛ لأن السيادة لا تهم المرأة، فحقيقة الفطرة في المرأة تقوم علىٰ أن التضحية بالقوامة، مع تحصيل الزوج، خير من التضحية بالزوج لتحصيل القوامة، ولأن المرأة مخلوقة من ضلع الرجل في الأصل، فتميل بالطبع إلىٰ تقبل قوامته عليها. ولأن إلقاء الأبناء علىٰ أمهاتهم ليس من باب مكاسب المرأة وسلطتها، بل من زيادة

همومها وغمومها، وهٰذا يعني أن أسرة الأمومة في الحقيقة ليست إلا أسرة النساء الأرامل، في الماضي والحاضر، أو أسرة النساء الضائعات المشردات في المجتمع.

ولعل دفاع باخوفن و إنجلز، وغيرهما عن أسرة الأمومة، دفاع مغشوش، يراد به استلاب شرف المرأة وتحريرها وتحقيق رغباتهم السافلة منها، لا تحقيق مصلحة المرأة وسيادتها فالجدل العلمي حول أصل نظام الزواج والأسرة، لم يقتصر على الجدة والعملية، وإنما خرج إلىٰ دائرة الجدل السياسي، واستغل سلاحًا؛ لتأييد دعاوىٰ معينة، ومن ثم أثرت السياسة علىٰ آراء بعض العلماء، فنحن نعرف أن فردريك إنجلز قد اعتنق وجهة نظر باخوفن في سيادة الأم وأسبقية قرابة الأمومة علىٰ قرابة الأبوة، لتحرير المرأة، وفي تركيا دعا «زيا اكوب» إلىٰ إبراز دور المرأة وتحريرها، علىٰ أساس أن الأتراك القدماء كانوا يعرفون نظام سلطة الأم في الماضي البعيد، بظنون تاريخية وأثرية.

رابعًا: ظاهرة التشابه في الغريزة الجنسية:

وعزز العلمانيون مقولتهم بجملة من الظواهر المشتركة بين الأسرة الإنسانية، والأسرات الحيوانية ونحوها، وعلىٰ رأس تلك الظواهر دافع الغريزة الجنسية فالأغنام والأبقار وسائر الفصائل الحيوانية، والطيور والأسماك تلبي رغباتها الجنسية بمطلق الإباحية، وطالما اشترك الإنسان مع الحيوان في هٰذِه الغريزة، فلابد أنه مارسها في فتراته الغابرة بالمشاعية والإباحية.

ونوقش ذلك بأن هٰذا التشابه الظاهري يجب ألا يحجب عن نظرنا فروقًا هامة وجوهرية، تميز الغريزة الإنسانية عن الغريزة الحيوانية .

فالغريزة الجنسية في عالم الحيوان والطير والأسماك سليقة تلقائية، لا تخرج فيها عن حركتها التقليدية، فلا يخرج كل حيوان أو طير أو سمك عما

رسم له من قانون الممارسة الجنسية، ولهٰذا لا تجد حيوانًا يشتهي غير نوعه من الحيوان، أو يمارس شهوته بشذوذ جنسي مع حيوان آخر، بينما تجد قوم لوط قد حادوا عن السليقة الطبيعية في الجماع إلى اللواط، قال تعالي: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

ولو كان النشوء والارتقاء نحو الأصلح هو الذي يحكم الغريزة الجنسية، لكان الأولىٰ بالحيوان أن يفعل ذلك، ويكون الإنسان قد أقلع عنه، وكذلك لو كان التشابه في الغريزة الجنسية جوهريًا بين الإنسان وبين الحيوان، للزم أن يتبع أحدهما الآخر في ذلك، ولٰكن العكس هو المشاهد، مما يدل علىٰ أن هنالك فروقًا جوهرية بين الغريزة الجنسية عند الإنسان وعند الحيوان، فالحيوان يمارس الجنس بعبودية قهرية وجبرية لا يحيد عنها، بينما يمارس الإنسان غريزته الجنسية بعبودية طوعية واختيارية، قد يمتثل لها و قد يخرج عنها، ولهٰذا ٱحتاج الإنسان دون الحيوان للرسل والرسالات؛ لتصحيح مسار غريزته الجنسية في خط العبودية.

وأيضًا الغريزة في الحيوان بهيمية، فغالب الكائنات الحية تمارس الغريزة الجنسية دونما ٱهتمام بالقيم الخلقية، ومواراة السوءات في الواقع الجنسي، بينما تعتبر هٰذِه التحوطات من أهم القيم الخلقية وأقدسها عند الإنسان، ولهٰذا ٱتفق العقلاء علىٰ أنه يجب أن يحاط اللقاء الجنسي بين الزوجين بسياج من الآداب والتستر والحشمة، والبعد عن المكاشفة والمصارحة.

وفارق آخر، وهو أن الغريزة الجنسية في الأسرات الحيوانية تقوم على الإباحية، بينما تقوم الغريزة الجنسية في الأسرة الإنسانية على الٱختصاص والفردانية، وقانون الحلال والحرام من النساء، فليس المهم في الإنسان أن يلبي غريزته بأي شكل من أشكال الفوضىٰ، وإنما المهم بالدرجة الأولىٰ، أن يلبيها بشكل معين ومقنن: من وحدة الشعور، والانضباط في المحرمات،

والمباحات من النساء، والإنسان الذي يمارس الأشواق الجنسية خلاف هٰذا القانون، يعتبر خارجًا عن معنى الإنسانية الصحيحة(وإنك مهما فكرت وترويت في ذلك لم تفقه لكل هٰذا التدبير من غاية، سوىٰ أن الفطرة تريد للإنسان -بخلاف سائر الأنواع - أن يتحضر ويتمدن).

وقد يعترض العلمانيون علىٰ هٰذا التستر في الجماع والحياء، والحشمة، والوقار، ولدت وتنامت مع تطور الزمن، والجواب عن هٰذا، أن ستر العورة والحشمة والحياء وجدت مع وجود آدم نفسه ﷺ.

قال تعالي: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾. قال ابن عباس: ورق التين، وقال مجاهد، كهيئة الثوب، وهٰذا يعني أن الحشمة وستر البدن فطرة إنسانية وجدت منذ آدم-ﷺ-وزوجه حواء، وأن السفور والعراء ٱرتداد عن السليقة الآدمية، إلى السلوكية الحيوانية.

خامسًا: ظاهرة التشابه في غريزة الأمومة:

ومن تلك الظواهر المشتركة، ظاهرة التشابه في غريزة الأمومة بين الأسرة الإنسانية والأسرات الحيوانية،ونحوها، فالابن الإنساني فلذة كبد أمه، والرضاعة قمة إخلاص الأم لوليدها، وموت الأبن أكبر حسرة تضرب عقلها وتكسر قلبها، يقول العلمانيون: هٰذِه الظاهرة موجودة في الأسرات الحيوانية أيضًا، فإنك إن رحت تذبح عجلًا أمام أمه هاجت، وربما ترقرق الدمع في عينيها، وإن أخذت من قطة أبناءها راحت تتبعك بالمواء الحزين، ولو أخذت فراخًا من عش طير لاحقتك الأم بالزقزقة والتحليق، وهٰذا التشابه يؤكد الصلة بين أسرة الأمومة في الإنسان والحيوان، وقيام الأتصال الجنسي الإنساني في فترة من الماضي علىٰ نمط الحيوان.

ونوقش ذلك بأن التشابه بين الإنسان وبين الحيوان، من ناحية الشعور بالأمومة وحنو العاطفة، لا يعني تساويهما، فالإنسان يحتفظ بالذاكرة الخالدة للأمومة، ويكتنز العواطف المستمرة للأبوين، كما يحيط الأمومة بفكرة

المقدسات الخلقية، وقانون المحرمات المؤبد، فلا تتلاشىٰ مع السنين، فالأب لا يتزوج ابنته أو أخته، والابن لا يتزوج أمه ولا أخته، مهما امتدت السنون، وذلك بخلاف الحيوان، فإنه لا يحتفظ بذاكرة خلقية، ولا يعرف قانون صون الشرف بين المحرمات في أغلب الأحوال، حيث نلحظ كثيرًا من أنواع الحيوان تنزو علىٰ أمهاتها وأخواتها، بغريزة فوضى الشيوع الجنسي، وتجاهل الأمومة. «فالديك يزاوج أمه، وعماته، وأخواته، وبناته، ولا ينفر من ذلك ولا يأباه، وهٰذا شأن الكلب، والتيس، والثور، والحمار، وغيرها من الحيوانات الداجنة، أما الأفيال والأسود والقرود، فتجمع بين الأنثىٰ و أخواتها وبناتها؛ لأن الذكر القوي يطرد الذكور الأخرىٰ، ويستقل بالإناث وحده.

وقد يقول العلمانيون: إن إباحة النكاح بين الإخوة والأخوات كان معروفًا في تاريخ الأسرة الإنسانية بين أبناء آدم وبناته «**كانوا أربعين ولدًا في عشرين بطنًا، في كل بطن ذكر وأنثىٰ، وتزاوجوا حتىٰ كثروا**» فجوابه، أن هٰذا في حكم المباح في التشريع الإلهي، لا من باب الإباحية الشيوعية؛ لأن الأخت كانت زوجة لأخيها من بطن آخر، دون غيره، يعني لم تبح الأخوات للأخوة علي وجه الفوضىٰ، بل علىٰ وجه من التنظيم الخاص، لظروف تقديرية، لا تحمل في طياتها أي مضمون إباحي، ثم نسخ هٰذا الحكم التشريعي في الرسالات اللاحقة، فهو أشبه بكثير من الأحكام التي أبيحت ثم حرمت كالخمر، والمتعة، وقد تقدم بيان ذلك.

ومن الفوارق أيضًا، أن عاطفة الأمومة في الإنسان، تتصف بالاستمرار والمصداقية، وليست آنية أو مؤقتة، فحاجة الوليد الإنساني إلىٰ عناية الأبوين وحنوهما ورعايتهما له، تمتد إلىٰ فتره طويلة، ولهٰذا يولد الطفل الآدمي أضعف من سائر أبناء الحيوانات الأخرىٰ، توكيدًا للروابط والمسئوليات، كما تتقوىٰ العواطف الإنسانية بين الأبناء وبين والديهم مع الزمن، فيحرص الإنسان علىٰ تقدير أبويه في الشيخوخة، ويبذل لهما أقصىٰ الخدمات، في

حين أننا نجد عواطف الأمومة في الأسرة الحيوانية قصيرة، بحيث لا تتعدىٰ لحظة الميلاد إلى الفطام، ثم لا تلبث أن تتلاشىٰ. علاوة علىٰ أن عاطفة الأمومة في الحيوان لا تزال محاطة بشئ من الغموض والإبهام، فبعض الأمهات: كالقطط والكلاب والأرانب والفئران تلتهم بعض مواليدها فور لحظة الميلاد، وبعضها يقتل ذكره صغاره، كبعض أنوع الدجاج.

سادسًا: ظاهرة التشابه في غريزة التناسل: ومن تلك الظواهر المشتركة:

ظاهرة التشابه في غريزة التناسل، حيث لاحظوا أن من وظيفة الزواج عند الإنسان حفظ النوع واستمراره، وهٰذِه الظاهرة موجودة في عالم الحيوان، والطير والأسماك أيضًا، ومن الملاحظ أن تلك العوالم تسعىٰ لتحقيق النوع بالزواج العشوائي، والمشاعية العامة، فلا يمنع أن يكون الإنسان في الماضي قد جرىٰ علىٰ هٰذا النسق العشوائي، لحفظ النوع أيضًا.

ونوقش ذلك بأن هٰذِه الظاهرة تتم في الحيوان بصورة تلقائية، بينما تخضع هٰذِه الظاهرة في الإنسان لقانون الأنساب والأسماء، ألا تري أن التناسل لحفظ النوع لا يكفي وحده في تحديد صلة القرابة، وتقدير النسب، لبقاء النوع عند الإنسان، فالأطفال غير الشرعيين، علىٰ سبيل المثال، لا تشفع لهم غريزة التناسل في ثبوت صلة الدم، ويظلون خارج الأسرة، وإن كانوا من حيث التكاثر امتدادًا لبقاء النوع الإنساني، وهٰذا إن دل علىٰ شيء فإنما يدل علىٰ أن صون النسب وحفظه في قانون التناسل، خصيصة إنسانية، قال تعالي: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾، وقال تعالي: ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**».

أضف إلىٰ هٰذا، أن النكاح في الحيوان عملية بيلوجية صرفة، لا تتم

عن وعي، ولا أثر للذكاء أو التعلم أو البحث عن المستقبل فيها، وذلك بخلاف الإنسان، فالأسرة الإنسانية من آدم عليه السلام إلىٰ يومنا هٰذا، ٱستطاعت المداومة علىٰ حفظ النوع الإنساني بالزواج والتناسل، وذلك بخلاف الأسرة الحيوانية، فيحدثنا العلم عن ٱنقراض سلالات حيوانية صغيرة أو كبيرة وعلىٰ رأسها عالم الدينصورات، وهٰذا إن دل علىٰ شيء فإنما يدل علىٰ أن فكرة التناسل لحفظ النوع غائبة عن ذهن الأسرة الحيوانية، وأن التكاثر بينها يتم بصورة عفوية.

سابعًا: ظاهرة التشابه في الٱجتماع الأسري:

ومن تلك الظواهر المشتركة، ظاهرة الٱجتماع الأسري، فالأسرة الإنسانية ظاهرة ٱجتماعية، بمعنىٰ أن الزواج أساس الأسرة، والأسرة أساس الٱجتماع الإنساني، وهٰذِه الظاهرة -في نظر العلمانيين- موجودة في عالم الحيوان والطير والسمك وغيرها، فالمتجول في الغابات يجد عالم القردة في تجمع أسري خاص، وعالم الزرافات في تجمع أسري خاص، وهكذا في سائر الأنواع، والناظر في الصحراء يجد قطعان الغزلان أوالحمار الوحشي، كلًا في تجمع أسري خاص، والسابح في البحار يجد قطعان سمك السلمون في مجتمع خاص، وكذلك سمك في تجمع خاص، وسمك السردين في تجمع خاص، ويقول العلمانيون: إن الزواج يجري بين كل طائفة من الجماعات الحيوانية بطريقة عشوائية، وهٰذا يدل -بقاسم التشابه الٱجتماعي المشترك بين الإنسان وبين الحيوان أن الزوج بين أفراد الأسرة الإنسانية في مراحلها الباكرة، ما قبل القبيلة -وفي القبيلة- كان يمارس بطريقة عشوائية.

ونظرًا لوجود بعض الظواهر المتشابهة بين الإنسان، وبين الحيوان، في الغريزة الجنسية، وغريزة الأمومة، وغريزة التناسل، وغريزة الٱجتماع الأسري، فقد راح كثير من علماء النفس يجرون التجارب على الحيوان؛

لاستنباط السلوك الإنساني، مثل كلب بافلوف، وحمامة سكنر، وقردة الجشطالت، وغير ذلك من نظريات التعلم الحديثة، ٱعتقادًا منهم بوحدة الأصول المشتركة بين الإنسان والحيوان، في السلوك من جهة ومصداقية الٱستجابات الصادرة عن الحيوان وحيادها من جهة أخري.

ونوقش ذلك بأن ظاهرة التشابه في غريزة التجمع الأسري بين الإنسان وبين الحيوان، فإنها إن تشابهت في الظاهر، فهي مختلفة، لا في درجة التطور فحسب-كما يقول التطوريون-، بل في جوهر الأمر وحقيقته.

فالاجتماع الحيواني يتحقق بالمعاشرة، والاجتماع بين ذكر وأنثىٰ، أو بين قطيع نوعي من الحيوان لقيام أسرة أو جماعة، وهٰذا علىٰ خلاف الإنسان، فإن المعاشرة والاجتماع بين ذكر وأنثىٰ تحت سقف واحد لا يكفي لقيام أسرة إنسانية، فلو ٱجتمع ذكر وأنثىٰ تحت سقف واحد وتعاشرا معاشرة الحب أو الزنا -وبخاصة في مجتمع طاهر ومحافظ- فإن هٰذا الٱجتماع لا يشكل مفهومًا محترمًا، أو صحيحًا، لقيام أسرة إنسانية فاضلة، بل تحديًا وهدمًا لها؛ لأن الأسرة الإنسانية لا تقتصر على الٱتحاد البيلوجي فحسب، وإنما هي أولًا وقبل كل شئ وحدة خلقية، تنظمها مجموعة من القواعد والالتزامات الٱجتماعية والتشريعية، ولا يكفي فيها مجرد غريزة الٱجتماع.

ومن الفوارق بين التجمع الإنساني وبين التجمع الحيواني: أن التجمع في الأسرة الإنسانية يتم وفق الإرادة الإنسانية، فهنالك بعض الأسر الإنسانية تختار نظام التبني، فتعطي للابن المتبنىٰ جميع حقوق الٱبن الشرعي، وهناك أسر أخري ترفض الوليد، أو تتبرأ منه، ولا تعترف به، وذلك بخلاف الأسرة الحيوانية، فإنها لا تعرف عملية الضم أو الحذف، فلا تعرف الٱختيار والتبني، ولا الطرد والتخلي، مما يؤكد أن الأسرة الإنسانية وحدة ٱجتماعية مقصودة، لا وحدة ٱجتماعية تلقائية.

ومن الفوارق أيضًا: أن التجمع الأسري لدى الحيوان عشوائي، ليس له

نسق عام. (فمن الحيوان ما لا يهتم في أسرته إلا بنفسه، ولا علاقة لذكره بأنثاه، حيث يفارقها بعد اللقاح، ولا يجتمعان مرة أخرىٰ إلا بالصدفة: كالكلاب والقطط. ومنها ما يقوم الذكر بشأن أولاده، كبعض ذكور الأسماك، ومنها ما تتعدد زوجاته، كتيس الأغنام، ومنها ما لا يتزوج الذكر إلا بأنثىٰ واحدة، كالبط البري، ومنها ما يقوم الذكر بالأنثىٰ مدة رقادها على البيض، كالحمام والغراب، ومن الطيور ما تقل غيرته علىٰ أنثاه، كالبجع، ومنها ما يقبل التناكح على الشيوع لا يعرف للإتلاف النوعي صفة، ومن القردة نوع يتناكح على الشيوع، ومنها نوع شديد التمسك بالزوجة كالشمبانزي، والغوريلا، والجيبون، أما الحشرات فأكثرها لا يطيل الزواج).

فهٰذا التناقض والفوضىٰ في الأسرة الحيوانية غير معروف، ولا معتبر في الأسرة الإنسانية؛ لأنها لا تقوم علىٰ ميثاق غليظ، وقيم رفيعة، وضوابط دقيقة، ونسق عام، الخارج عنها خارج عن الجماعة الإنسانية.

ومن الفروق الحاسمة بين الغريزة الأسرية في الحيوان وبين الغريزة الأسرية في الإنسان: أن الغريزة الحيوانية مهما أوتيت من عبقرية، فهي تكرارية، فالعصفور لا يزال يبني عشه علىٰ طريقة أسلافه منذ مئات السنين، والنحل يتجمع في مملكة منظمة، ويصمم ثقوب أقراصه الشمعية بأدق المقاييس الهندسية، ولكنه مع مرور الزمن، ظل علىٰ ذلك التنظيم التقليدي، دون أن يخطو به إلى الأفضل درجة واحدة، وذلك بخلاف الإنسان، فإنه يتجه في غرائزه الأسرية والاجتماعية نحو التعقل والاستمرارية والوصول بأسرته إلى الأفضل يقول الدكتور الدمرداش سرحان:(قد ينطوي سلوك الحيوان علىٰ قدر كبير من المهارة والإتقان، كما في حالة جماعة النحل التي تعيش معيشة اجتماعية، تعد مثالًا لروعة النظام والدقة، وتقسيم الأعمال، ولكنه سلوك غريزي، يتصف بالثبات، ولا يكاد يتناوله تغيير ولا تبديل، فنحلة اليوم تعيش كما كانت تعيش أجدادها منذ ملايين السنيين، وكما سوف

تعيش أحفادها بعد ملايين السنين، وذلك بخلاف سلوك الإنسان، فإنه يتغير ويتبدل في ضوء الذكاء والتفكير).

ثامنًا: العامل الاقتصادي في عملية التطور الأسري:

على الرغم من اتفاق أرباب الفلسفة التطورية المادي الغربي، والماركسي الشرقي، علىٰ تطور الزواج من الإباحية إلى الفردانية، فإن الفلسفة المادية الغربية ترجع هٰذا التطور إلىٰ عوامل وقوانين طبيعية بينما تعزو الفلسفة الماركسية هٰذا التطور إلىٰ عوامل وقوانين اقتصادية، فالماركسيون يربطون التطور الأسري بالظروف الاقتصادية، وأنماط الإنتاج، ويفسرون حياة الأسرة وعملها نشاطًا اقتصاديًا في إطار خدمة الجماعة، فقبيلة الكلان كانت تعيش في شيوعية جنسية، ووحدة اقتصادية، حيث كان أفرادها يشتركون في عملية الإنتاج؛ لإعاشة الجماعة. ويتدرجون بالأسرة: من الرعاة إلىٰ نمط الصيادين إلىٰ نمط الزراع، إلىٰ نمط الإقطاع، إلىٰ نمط الصناعة اليدوية، ثم إلىٰ نمط الآلة الحديثة، التي كانت سببًا مباشرًا في قيام الزواج الفرداني، والأسرة الحديثة - يقول جان فريفيل: (وهٰذا التطور الأسري يتحدد في التحليل الأخير بالعامل الاقتصادي)، ويقول إنجلز: (وكانت الزيجة الوحدانية-أول شكل للأسرة-مبنية علىٰ أحوال اقتصادية)، ولا يقف الماركسيون بالعامل الاقتصادي عند هٰذا الحد، بل يرونه الفاعل الأساسي، في حركة التغيير البشري كلها.

المناقشة: والقول بان العامل الاقتصادي هو الغريزة الأقوىٰ لدي الإنسان، وهو العنصر الفاعل في تغيير الأسرة وتطور المجتمعات، بل في تطور أنماط الحياة كلها، فيه نظر وخلاف؛ لأن هنالك من رجح عليها غريزة الجوع، وهنالك من رجح غريزة الجنس، وهنالك من رجح غريزة التدين.

فالغزالي -رحمه الله- كان يرىٰ أن غريزة الأكل والطعام، وشهوة البطن، أقوىٰ غرائز الإنسان، ولهٰذا كفل الله تعالي له هٰذِه الغريزة بقوله

تعالىٰ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾، وشكر الإنسان ربه عليها في قوله تعالي: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾، قال الغزالي -رحمه الله تعالىٰ-: (فأعظم المهلكات لابن آدم: شهوة البطن، فبها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلىٰ دار الأفتقار، والبطن على التحقيق، ينبوع الشهوات، ومنبت الأدواء والآفات، إذ يتبعها شهوة الفرج، وشدة الشبق إلى المنكوحات، ثم تتبع شهوتي الطعام والنكاح: شدة الرغبة في الحياة، والمال: اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات، ثم يتبع أستكثار المال والحياة، أنواع الرعونات، وضروب المنافسات، والمحاسدات، ثم يتولد بينهما آفة الرياء، وغائلة التفاخر، والتكاثر، والكبرياء، ثم يتداعىٰ ذلك إلى الحقد، والحسد، والعداوة، والبغضاء، ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى أقتحام البغي، والمنكر، والفحشاء، وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة، أو ما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء.

أما فرويد: فيري أن الغريزة الجنسية -أعني شهوة الفرج- هي أقوي الغرائز، وهي الموجهة لسلوك الإنسان منذ طفولته حتىٰ شيخوخته، وحاول أن يفسر من خلال مدرسة التحليل النفسي، سلوك الإنسان في كل مرحلة من مراحل عمره، بأنه شكل من أشكال الغريزة الجنسية.

أما الشاطبي فيرىٰ أن الدين أقوىٰ الغرائز وأهمها لدى الإنسان، فقد شرع الله الأحكام الشرعية توكيدًا له، وأقام التدابير حماية له، ولهٰذا جعله الشاطبي علىٰ رأس الضروريات الخمس، وهي حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ العقل، وحفظ المال.

وعندي أن أهمية الغرائز تتفاوت من حال إلىٰ حال، ومن شخص إلىٰ شخص، فالجائع أو العطشان تطغو عنده غريزة الطعام أو الشراب علىٰ غيرها، والفقير أو المسكين تطغو عنده غريزة حب المال والتملك علىٰ غيرها، والكبت الجنسي يطغو بالغريزة الجنسية علىٰ سائر الغرائز، والمحروم

من دينه وحرية عبادته تطغو عنده غريزة التدين علىٰ غيرها، والعقيم تطغو عنده غريزة البنوة، وحسرة الولد علىٰ غيرها من الغرائز، وهكذا في سائر الغرائز، وهٰذا يعني أن عنصر الحرمان في غريزة ما، هو الذي يحرك تلك الغريزة، ويجعلها تطغو علىٰ سائر الغرائز.

ولكن في الظروف الطبيعية التي يكون الإنسان فيها قد ٱستوعب غرائزه كلها، وفي ظل تكافؤ الفرص والحياد بينها، تجد أن غريزة التدين تطغو وتتفوق علىٰ غريزة البطن والفرج والمال، وسائر الغرائز الأخرىٰ.

نعم قد تصدق مقولة فرويد علىٰ جماعة من الناس في مرحلة المراهقة ليس غير، وما ذلك إلا لأن تلك المرحلة قطعة من جنون الصبا، حتىٰ إذا ما تزوج الإنسان وصارت له زوجة وذرية عادت غريزة الجنس إلىٰ أحوالها المعتدلة، وظهرت غريزة التدين عليها، بل الملاحظ أن كل الغرائز تبدأ عظيمة، ثم تصغر شيئًا فشيئًا، إلا غريزة التدين، فإنها تبدأ صغيرة ثم تتعاظم شيئًا فشيئًا، حتىٰ تملأ مساحة النفس كلها؛ وما ذلك إلا لأن غريزة التدين هي الغريزة الإنسانية الخالدة. قال تعالىٰ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾.

وإذا لاحظت مجتمعًا منكفئًا علىٰ شهوة الفرج والبطن والمال، فلا تخدعنك قوة هٰذِه الغرائز أو تفوقها على الدين، فإنها أثر من آثار تعمية الشعوب، وتوهين غريزة التدين وقهرها في تلك المجتمعات الإباحية.

وأما ربط الأسرة الإنسانية عند إنجلز بالتطور الاقتصادي، وأنه كلما تقدم الاقتصاد ازدادت سلطة الرجال، وأدىٰ الأمر إلىٰ نقصان النساء، وزيادة الطلب عليهن، فالقياس الإجرائي خلاف ذلك، حيث من المفروض ألا تنتقل السلطة إلى الرجال، بل تتأكد سلطة المرأة، وتزداد سيادتها؛ لأن القاعدة الاقتصادية، تقول: (كلما زاد الطلب، زادت قيمته)، قال ابن تيمية: (ومعلوم أن الشئ إذا قل، رغب الناس في المزايدة فيه)، وهٰذا يعني أن زيادة الطلب

على المرأة وندرتها، يقتضي زيادة مكانتها، لا نقصانها، وزيادة مكاسبها، لا خسارتها، وزيادة سلطة أمومتها، لا تلاشيها، وذلك علىٰ خلاف قول إنجلز، وهٰذا إن دل علىٰ شيء فإنما يدل علىٰ أن العامل الاَقتصادي عمل العكس، أو على الأقل لم يعمل شيئًا.

وهكذا يتبين لي باطمئنان ويقين صحة وجهة نظر الإسلام: أن الزواج أصل الأسرة الإنسانية، وفساد وجهة نظر العلمانيين أن الإباحية أصل الأسرة الإنسانية، وذلك لأن أدلة العلمانيين لم تقف علىٰ قدم، ولأن هٰذِه المسألة من قضايا الغيب الضارب في أعماق التاريخ، فلا تعرف يقينًا بالاكتشافات والتخرصات، وإنما يصار فيها إلى السند والتلقي الصحيح، وهو القرآن الكريم، ولأن القول: إن الزواج العفيف هو أصل الأسرة الإنسانية، فيه اَحترام لآدمية الإنسان، وفيه صون للأسرة الإنسانية عن الفجور والابتذ١ل والزوال.

العفة والكبت

يقول الدكتور/ محمود ناظم نسيمي[(١)]:

هل للعفة الجنسية مضار الكبت علىٰ صحة الإنسان النفسية؟

ذلك سؤال يتردد في خاطر شبابنا المثقف وعلىٰ ألسنة بعضهم، ويتطلب جوابًا علميًا مدروسًا؛ لأن تبرير الأعمال بحجة التخلص من الكبت ومضاره تعلل بها جاهلون أو ناسون لحقيقة الكبت ومزاياه، وتستر بها آخرون مزيفون؛ لتغطية أعمالهم الضالة وسلوكهم المنحرف.

فعلينا أن نعرف الكبت، وأن نتعرف علىٰ آثاره النافعة، وأن ندرس العلاقة بين العفة والكبت عند الأخلاقيين، وأن نستعرض مضار الفوضى

---

(١) مجلة البيان ص٢٠.

الجنسية، وبذلك نتأكد أن العفيف يجني آثار الكبت النافعة الشائعة، ولا تصيبه الآرتكسات الضارة النادرة.

تعريف الكبت:

الكبت: هو إخفاء الإنسان ما لا يليق من نزعاته وميوله وقذفه بها من غير إرادة واضحة في اللاشعور. و بذلك يتخلص من الرغبات الخطرة ومن الدوافع المتضاربة ومن النزاع بين مختلف الميول.

وهو آلية عقلية لا شعورية لا مناص منها في حياة العقلاء؛ لعدم تمكن أي إنسان من تحقيق رغباته كلها كاملة على التمام فثبات العسكري في المعارك الضارية يعني كبت الميل إلى الهرب حفاظًا علىٰ حياته. وإن الأمين عندما يزهد في آختلاس مال كثير مغرٍ يتيسر نيله بطريق مستور غير مشروع فإنه يضبط غريزة التملك فيه ويكبت رغبته الثانوية بمحرم، وأن الطالب عندما يثبت على الدراسة، وخاصة قرب الآمتحان، فإنه كثيرًا ما يكون كابتًا ميولا ورغبات مقابل الرغبة بالنجاح.

ويجب أن نفرق تفريقًا حاسمًا بين الكبت اللاشعوري وبين عدم الإتيان بالعمل الغريزي فهٰذا مجرد تعليق للعمل كما يقول فرويد.

آثار الكبت: للكبت آثار، منها النافع ومنها الضار، ولا تحدث الآثار الضارة أعني العقد والإضرابات العصبية إلا في الحالات الشديدة النادرة، وعند ذوي النفوس الضعيفة.

أما السوِيّ فأنه يجني ثمرة الكبت المفيدة حيث يحل نزاعه النفسي الحادث بوجود رغبتين متضادتين فيخفي ما لا يليق منهما.

والكبت بمنعه الغرائز السافره والميول غير المقبولة آجتماعيًا يعمل على المحافظة على العرف الأدبي والاجتماعي، وهكذا يساعد الشخص على التلاؤم مع التقاليد والقواعد الآجتماعية وقوانين الدولة وأنظمة المجموعة التي ينتسب إليها.

وإذا ضعف الكبت شعر الشخص بقلق مزعج؛ وذلك لاستمرار الرغبات الخطرة والدوافع المتضاربة في ساحة الشعور.

علاقة العفة بالكبت:

العفة خلق إنساني كريم يمنع صاحبه من إتيان الفواحش، فهي من الأخلاق، والأخلاق من الميول العالية أو المثالية لها أساس أو ٱستعداد فطري عند الإنسان لتقبلها. وتختلف قوتها من شخص إلىٰ آخر، تغزيها الحياة الٱجتماعية، وينميها التوجيه الخلقي والتربية الدينية.

وفي علاقة العفة بالكبت يجب أن نفرق بين الميل الجنسي الذي هو نزعة أساسية فطرية وبين الرغبة بإرواء ذلك الميل بطريقة معينة وفي ظرف معين، فهٰذِه رغبة ثانوية.

فالمسلم لا يستقذر الميل الجنسي الأساسي الفطري، ولا يستقذر العمل الغريزي لذاته كما يفعل بعض الرهبان، بل إنه يعتقد أن ذلك الميل صفة كمال في الإنسان تحفظ له نوعه وتبقي خلافته في الأرض، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ويعتقد أن له أجرًا بإروائه بطريق مباح؛ لقوله ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك لو وضعها في الحلال كان له أجر**».

فإذا لم يتيسر للمسلم إرواء ميله الجنسي بصورة مباحة، فعلق العمل والإرواء إلىٰ ظرف آخر فلا يعني ذلك أنه كبت ميله الجنسي الأساسي فإنه باق ومحترم. أما زوال الرغبات الثانوية (للإرواء بصورة محرمة) عن ساحة شعوره فإنه كبت هادئ ناشئ عن ٱصطدام تلك الرغبات الثانوية بمقتضيات الدين والأخلاق والعرف الٱجتماعي مع بقاء الميل الجنسي الأساسي غير مكبوت يعده صاحبه بالإرواء بطريق مشروع، و يلطف ما ينشأ عن ذلك الميل من رغبات ثانوية بالميول الٱجتماعية والمثالية وبالمراقبة الشعورية، فهو كبت

لطيف يتسم بهدوء ولا يؤثر بضرر ما علىٰ مستقبل نفسية المتدين العفيف.

بل إنه يشعر بارتياح ولذة؛ لاجتنابه ما حرم الله؛ ولقربه من رضاء الله تعالي، ولغياب الرغبة الثانوية بمحرم، وقلما تعاوده هٰذِه بالشدة الأولىٰ.

إن العفة كما يشهد التاريخ كانت خلقًا قويًا عند الصحابة والتابعين وأجدادنا الفاتحين ومع ذلك كانوا سباقين في ميادين العلم والعمل والجهاد، لم تتعقد نفوسهم ولم تضطرب أعصابهم ولم تفشل مساعيهم.

أما صاحب الفحشاء فإنه إذا كبت رغبة جنسية ثانوية بالميول بمحرم (في عرف المجتمع أو الدين) فإنما يكبتها لغاية دنيوية، إما حفاظًا علىٰ سمعته، أو حذرًا من نقمة من يمس عرضه، أو خوفًا من عقاب قانون يناله إذا ٱفتضح أمره. فكبته في هٰذِه الأحوال شديد على النفس يعقبه ألم من وجود أو تخيل المانع، ثم حزن على الفرصة الفائتة كلما تحركت رغبته الجنسية وذكرته بما أحجم عنه.

فشتان بين كبت الفاحش وكبت العفيف.

مضار الفوضى الجنسية:

إذا أردنا سلامة شبابنا من آثار الكبت الجنسي النادرة فليس الحل بإطلاق عنان الرغبات الجنسية وحرية ممارسة شهواتها، فإن ذلك يئول إلىٰ أضرار تلحق الفرد والمجتمع.

تحدث الأضرار التي تلحق الفرد من ٱستغراقه في الشهوات واستعبادها له بحيث تصبح شغله الشاغل وهمه المقعد المقيم، فتصبح بعد فترة جوعه دائمة لا تشبع ولا تستقر، ومعنىٰ ذلك أنه أضحىٰ أسير هوى جنسي، والأهواء الجنسية أشد الأهواء خطرًا وأقلها نفعًا باعتراف علماء النفس.

هٰذا وأن الفواحش لهي السبب الرئيسي للعدوىٰ بالأمراض الزهرية ولما ينتج عنها من تعطيل عن العمل وصرف للأموال في التداوي، وفي ذلك ضرر للفرد والمجتمع.

أما الأضرار الأخرى التي تلحق المجتمع فهي عزوف الشباب الفاسق و الشابات الفاسقات عن الزواج الشرعي وتهربهم من مسئولية بناء الأسرة لبنة المجتمع. وهي أيضًا ٱستنفاد الطاقة الحيوية التي خلقها الله تعالي لأهداف شتىٰ في هدف واحد قريب، وإهمال الأهداف الأخرى الجديرة بالتحقيق فضلًا عن تحطيم كيان الأسرة، وفك روابط المجتمع، وتحويله إلىٰ جماعات متفرقة لا يجمعها رابط ولا هدف مشترك.

أفيجوز لعاقل أن يتناسىٰ مضار الفواحش والفوضى الجنسية، وهي مضار كثيرة الحدوث ملموسة الآثار تلحق الفرد والمجتمع، ثم يتستر بعد هٰذا بمضار الكبت التي لا تحدث إلا نادرًا في الحالات الشديدة وعند ذوي النفوس الضعيفة؟!

يقول دكتور / عمر سليمان الأشقر[1].

تحت عنوان(الكبت الجنسي).

ولا أحب أن أنتقل عن هٰذا الموضوع حتىٰ أبين الأكذوبة القائلة بأن الكبت الجنسي ليس له علاج إلا بالخلطة بين الجنسين، ويزعمون أن الخلطة توصل المتخالطين من الرجال والنساء إلىٰ حالة ينعدم فيها هٰذا الكبت.

والجواب أن ما يشاهده المارون في ديار الغرب فضلًا عن المقيمين فيه، أن المخالطة هناك لم تزد الأمر إلا ٱشتعالًا، الٱختلاط لم يحل مشكلة الكبت الجنسي، وإنما فتح باب السعار الجنسي.

وأنا أقول: إن هٰذا لا يحتاج إلىٰ دليل، فقد أصبح هٰذا أشهر من أن يستدل عليه،فقد تواتر بالمشاهدة وبما ينقله القادمون، وبما تكتبه الصحف والمجلات ولقد بلغ السعار الجنسي حدًّا أصبحت المرأة في مدن الغرب لا

---

(١) «المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم» ص٣٣.

تأمن أن تسير علىٰ قدميها في ساعات الليل، بل قد تخطف في وضح النهار، ومع ذلك فالزنا مباح ونوادي الفجور ونوادي العراة تملأ المدن والضواحي. ثم هَبْ أن بعض الذين يعيشون هناك أصبحوا لا يتأثرون برؤية الجنس الآخر، ولا تثور عاطفتهم وإن رأوا الأجساد العارية والجمال الفتان، أترىٰ هٰذا الوضع صحيحًا؟!

ألا يصبح هٰذا مرضًا يحتاج إلىٰ علاج وهو المرض الذي يسمي البرود الجنسي.

والأفراد الذين يصابون بالبرود الجنسي، والمجتمعات التي تصاب به- تبتكر من أفانين الشذوذ ما تستثير به العاطفة الباردة، فينتشر هناك اللواط والسحاق، وأنماط لا تعرف، كل ذلك بحثًا عن طريقة جديدة تثير العواطف الخامدة، والشهوة النائمة.

إن الطريقة التي عالج بها الإسلام ما أودعه الله في فطرة الرجل و المرأة من ميل كل منهما إلى الطرف الآخر يتمثل في قول الرسول ﷺ : «**يا معشر الشباب من أستطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء**».

إن علاج ما أسموه بالكبت الجنسي لا يكون بالانطلاقة الحيوانية بلا معيار ولا ضابط. العلاج يكون بمنهج سليم في هٰذا الأمر يشبع العاطفة المشبوبة، ويصون كرامة الرجل و المرأة، ويقوي الأواصر والروابط الكريمة وينمي الفضيلة، ويحفظ الحياة، وهو الزواج فإن لم يستطع فيوجه طاقته إلى العبادة والطاعة حتىٰ يغنيه الله من فضله.